

محمد رابعة

سلسلة قراءات معاصرة (4)



الشيخ والسيد

1965_1978

دار القبس للنشر الإلكتروني
ص ب: 42 أولاد موسى / 35011 بومرداس
الهاتف: 0662.20.73.78

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

البقرة 286

بدأت كتابته على الكمبيوتر في شهر أكتوبر 2014 و أنهيت في 10 - ماي - 2015 ، دون المقدمة و
المراجعة و التصحيح ، و تم التصحيح وإعادة التصحيح ، و التدقيق في شهر أكتوبر 2019 و الحمد
لله رب العالمين .

- رغم تصحيح و تدقيق الكتاب عدة مرات ، نعتذر عن بعض الأخطاء المحتملة .

الطبعة الإلكترونية الأولى: جانفي 2020

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و خاتم المرسلين ، و على آله و أصحابه أجمعين ، أما بعد ، فمن كان يظن أن ذلك الطفل الأشقر الطويل النحيل الفقير ، الحافظ لكتاب الله ، و الذي كان طالبا بمدرسة الكتانية بمدينة قسنطينة التي كان يشرف عليها حزب الشعب الجزائري ، و الذي قرر بعيدا عن عائلته أن يهاجر مشيا على قدميه الى مصر رفقة أصدقائه لمتابعة الدراسات العليا في الأزهر الشريف ، هو نفسه الذي جنده المجاهد أحمد بن بلة و أرسله للتكوين العسكري العالي بالأردن و العراق ثم كلفه بعملية جريئة و خطيرة لتمويل الثورة بالسلاح و الذخيرة ، تعرف تاريخيا بعملية باخرة دينا نسبة الى أميرة أردنية ساهمت بقسط كبير في تمويلها ، و بمجرد وصول الباخرة سالمة غانمة الى شواطئ المملكة المغربية حيث كان في استقبالها الشهيد البطل العربي بن مهيدي و مؤسس المخابرات الجزائرية العقيد بوصوف ، أين تم ترقية الطالب محمد بوخروبة على الفور الى رتبة عقيد ، و منحه الإسم الثوري هواري بومدين ليواصل زحفه الثوري منتقلا بين القاعدتين العسكريتين الغربية بوجدة المملكة المغربية و غار الدماء بالحدود الشرقية ، الى أن يصل الى رتبة قائدا للأركان و مسؤولا عاما عن الثورة بإجماع زملائه العقداء و السياسيين ، و هي المهمة التي جعلت منه مطلع الستينيات و حتى بعد إستعادة السيادة الوطنية أبا روحيا للثورة و مؤسسا للجيش الوطني الشعبي ، ثم مؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة في طبعها الثانية ، قصة حياة و مسيرة الرئيس الراحل هواري بومدين فيها الكثير من الغرابة و العجب و قليل من الغموض ، فالرجل عندما وصل الى القاهرة رفقة زميله محمد الصالح شيروف ، و تحت ضغط الفقر و الحاجة ، دخل في صراع لفظي مع قادة جمعية العلماء المقيمين بالقاهرة ، و تشابك جسدي مع ممثلي حركة إنتصار الحريات الديمقراطية محمد خيثر و آيت أحمد بدرجة أقل ، و في القاهرة وجد ضالته في جماعة الإخوان المسلمين ، كما أكد رفيق رحلته فلم يكتف بالتعاطف القلبي معها كجمعية ذات طابع ثقافي تربوي إجتماعي ، و سياسي ، تحولت فيما بعد الى رقم صعب في المعادلة الدولية ، لكنه إنخرط في صفوفها ، و تحصل على بطاقة الإنخراط ، و دفع الإشتراكات السنوية ، و بالتالي فقد كان مقتنعا

بأفكارها و مبادئها و مواقفها ، و كان ملتزما بحضور جميع نشاطاتها و فعالياتها المنتظمة و الدورية المناسباتية ، و من دون شك فقد إلتقى برموز الجماعة في ذلك الوقت ، محمد الغزالي ، سيد قطب - - ، إلخ - - لكن فجأة يختفي الطالب محمد بوخروبة عن أنظار زملائه الجزائريين المقيمين بالقاهرة ، و ينقطع عن الدراسة سواء في الجامع الأزهر أو الثانوية الخديوية ، و لا أحد يعلم بالضبط أين قضى تلك الفترة الفاصلة بين إختفائه و ظهوره كمجاهد مرافق لسفينة محملة بالأسلحة و الذخيرة قادمة من الأردن نحو سواحل المملكة المغربية ، ما نعرفه عن الرئيس هواري بومدين هو القليل جدا ، و حتى أقرب المقربين إليه لا يعرفون عنه أكثر ما نعرف نحن عامة الناس ، و ذلك راجع أولا لطبيعته الكتومة و للظروف المحيطة عادة بالقادة و المؤسسين الكبار ، و لذلك فنحن في هذا الكتاب المتواضع لن نتعرض لتفاصيل حياته الشخصية إلا بالقدر الذي يعيننا على محاولة فهم و تحليل طبيعة النظام السياسي الذي إرتبط به من شهر جوان سنة ١٩٦٥ الى أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٧٨ و قد جاء الكتاب في أربعة ٤ فصول ، الفصل الأول بعنوان من مدرسة الكتانية الى قيادة الأركان و نقدم فيه سيرة الرئيس من يوم ولادته الى غاية تعيينه قائدا لأركان الجيش ، الفصل الثاني بعنوان التصحيح الثوري ، حتمية سياسية أم مغامرة عسكرية ، و ندرس فيه حركة ١٩ جوان ٦٥ التي أوقفت المسار الديمقراطي الفتى ، و أدخلت البلاد في نظام شبه عسكري دام أكثر من عشر سنوات ، الفصل الثالث ، نتناول فيه موضوع الثورات الثلاث الثقافية و الصناعية و الزراعية ، أما الفصل الرابع ، فندرس فيه طبيعة الصراع داخل أروقة النظام بين الإطار الإسلامي للدولة الجزائرية الحديثة ، الذي نص عليه بيان أول نوفمبر ، و الاشتراكية كخيار إقتصادي ، تحول الى عقيدة و مرجعية تطارد الإسلام في عقر داره ، و هذا الكتاب هو مجرد محاولة بسيطة و متواضعة لقراءة تاريخ جزائر ما بعد الإستقلال ، بعيون الجيل الذي ولد مع ولادة الدولة الجزائرية الحديثة ، أتمنى أن يكون إضافة نوعية للمكتبة التاريخية الوطنية ، و أن يتقبله الله علما ينتفع به و يجعله صدقة جارية تنفعنا يوم لا ينفع مال و لا بنون .

الفصل الأول (1)

من مدرسة الكتانية
الى قيادة الأركان

بغض النظر عن الطريقة التي وصل بها الى السلطة و مدى صدقية و منطقية الأسباب و المبررات و الحجج التي قدمها الفريق الذي أطاح بنظام اول رئيس منتخب للجمهورية الجزائرية المستقلة ، و بغض النظر عن الأخطاء السياسية الجسيمة التي إرتكبها الرئيس المطاح به ، فيمكن القول أن الرئيس الراحل هواري بومدين سيظل و سيبقى رمزا كبيرا من رموز الجزائر الحديثة و شخصية سياسية عالمية تمكنت من وضع بصماتها على أوراق التاريخ المعاصر ، بشهادة الخصوم قبل الأصدقاء ، فهو الذي وضع الأسس الصلبة للدولة الجزائرية الحديثة بشكلها الحالي ، و هو منظر و مصمم المحاور الكبرى للمشروع التنموي الشامل و المواقف الثابتة من كل القضايا الإقليمية و الدولية ، و مؤسس النواة الأولى للجيش الوطني الشعبي .

- شخصية الرئيس

هواري بومدين هو إسم ثوري مستعار لقبه به الشهيد العربي بن مهيدي فجمع بين إسم إحدى جبال مدينة قالمة المشهور بجبل هواره و لقب الولي الصالح المدفون بمدينة تلمسان الشيخ الذي تسميه العامة سيدي بومدين و إسمه العائلي هو محمد بوخروبة ولد في ٢٣ أوت ١٩٣٢ في دوار بني عدي بولاية قالمة أي بعد ١٤ سنة من ولادة الرئيس الأسبق ، عندما بلغ سنته الرابعة أدخل الى المدرسة القرآنية القريبة من مسكنه العائلي ، و بعد بلوغه السن القانوني للدراسة النظامية و هو ست سنوات سجل في السنة الأولى لمتابعة التعليم الإبتدائي بمدرسة المايير سنة ١٩٣٨ بمدينة قالمة مع متابعتة لحفظ القرآن الكريم بالمدرسة القرآنية حتى حفظه كاملا و عمره ١٦ سنة ونظرا لنباهته و ذكائه الحاد أختاره معلم المدرسة القرآنية لمساعدته في تحفيظ القرآن و تلقين مبادئ اللغة العربية لأبناء قريته ، و لما أصبح شابا توجه الى مدينة قسنطينة و سجل في المدرسة الكتانية ، و هي مؤسسة تربوية تضمن تعليما متوسطا و يتخرج الطالب منها بعد حصوله على شهادة الأهلية، كانت تحت وصاية حركة إنتصار الحريات الديمقراطية إداريا و جامع الزيتونة من الناحية البيداغوجية ، و لما بلغه إستدعاء من السلطات الإستعمارية لأداء الخدمة العسكرية رفض تأدية هذه الخدمة تحت العلم الفرنسي ، مفضلا القيام بمغامرة غير محسوبة العواقب في سبيل العلم ، حيث أقترح على زميله محمد الصالح شيروف فكرة السفر مشيا على الأقدام الى مصر لمواصلة التعليم العالي في الأزهر الشريف ، و بعدما إقتنع زميله بهذه الفكرة الغريبة و بصعوبة حاول إقناع زميلين آخرين بنفس الفكرة، ثم توجه رفقة زملائه الثلاثة ، محمد الصالح شيروف، محمد العربي موني، و محمد الأخضر، من مدينة قسنطينة الى مدينة تبسة عبر الحافلة ، و بقوا مدة ثلاثة أيام في ضيافة مناضل من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية الذي رافقهم الى غاية الحدود التونسية ، ثم واصلوا رحلة العذاب و الأمل مشيا على الأقدام في إتجاه مصر، فكانت الرحلة قاسية ، و دون علم العائلة و لقوا متاعب جمة في الطريق و اضطروا للتكر في زي الشيوخ و ممارسة الرقية الشرعية أثناء مرورهم بقبائل الطوارق حتى يتحصلوا على بعض المال ، كما تنكر محمد بوخروبة في زي شاب ألماني حتى تمكنوا من اجتياز عدة حواجز أمنية دون متاعب ، مستغلا لون بشرته الذي يميل الى الأحمر الفاتح و لون شعره ، لكن رفيقيه لم يتمكنوا من مواصلة الرحلة ، فاصر رفقة صديقه محمد الصالح شيروف على إتمام الشوط الأخير من الرحلة مهما كلفهما ذلك من متاعب جسدية و نفسية ، و وصلا الى مشارف القاهرة أخيرا بعد رحلة مضنية و متعبة دامت ثلاثة اشهر و نصف ، قطعوا خلالها ٥٠٠ كلم مشيا على الأقدام ، و سنتعرف خلال الفصول القادمة ، ان هذه الرحلة المتعبة ، كانت خطوة في مسار طويل

- قاهرة المعز..

في مساء يوم ١٥ . فيفري . ١٩٥٢ وصل الشاب محمد بوخروبة الى مصر، و مكث مدة ثلاثة أيام في زاوية السيد البدوي ، ثم دخل قاهرة المعز التي كانت تعج في ذلك الوقت بمختلف التيارات الفكرية و السياسية ، و تعيش مخاضا عسيرا ، أنتج بعد ذلك ثورة بيضاء أطاحت بالملك فاروق على يد الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب ، و تغيرت طبيعة النظام من الملكية الدستورية الى جمهورية اشتراكية تعتمد نظام الحزب الواحد ، قامت الثورة المصرية بعد مخاض طويل و تحالف إستراتيجي لم يصمد كثيرا بين جماعة العسكر بقيادة محمد نجيب و جماعة الإخوان المسلمين ، و كانت قبل ذلك ملتقى لجميع التيارات و الأفكار، يلجأ إليها كل المضطهدين و المستضعفين في الأرض من المفكرين و العلماء و الدعاة ، في تلك الأجواء عاش محمد بوخروبة مرحلة هامة من حياته في قاهرة المعز و عاش تحت ظلال الثورة و عايش تحولات المجتمع المصري في ظل النظام الإشتراكي الذي حاول في البداية تسويق فكرة العدالة الإجتماعية و محاربة الإقطاعية و البورجوازية و تحقيق التنمية الشاملة ، ثم تحول الى نظام إستبدادي متشدد مع الخصوم و الأصدقاء و شرعت ثورة الضباط الأحرار في أكل أنبأها و تحييدهم كما تفعل القطط السمان عندما تجوع . فبدأت بالإنقضاض على الرقم الأول في ثورة الضباط الأحرار اللواء محمد نجيب ، بتنظيم إنقلاب أبيض سمح لضباط الأحرار بتغيير الواجهة و تسليم مشعل القيادة الى الضابط الشاب جمال عبد الناصر. ثم شرعوا في فتح النار على حلفائهم من جماعة الإخوان المسلمين ، و كانت الرصاصة الأولى التي أطلقها الثوار قد إستهدفت المفكر الإسلامي الكبير سيد قطب الذي كان هو العضو المدني الوحيد في مجلس الثورة ثم أعقبتها محاولات لإستدراج جماعة الإخوان المسلمين الى العنف ، و ثم جاءت مسرحية المحاولة الفاشلة و المفبركة لإغتيال الزعيم عبد الناصر لتقطع شعرة معاوية و حبل الوصال بين العسكر و الإخوان المسلمين . و هكذا بدأ الثوار حكم مصر بثورة جانبية إستتصالية إستهدفت حلفاءهم من الإخوان حتى يتمكنوا من الإنفراد بالحكم دون ضجيج أو معارضة أو مطالب مشروعة ، و فكانت ثورة الضباط الأحرار مجرد تغيير للواجهة و الأشخاص و الوجوه ، و أعادت المجتمع المصري مائة سنة الى الوراء الى عصر الإستبداد و تكميم الأفواه ، فألغت العمل بالدستور الليبرالي و أدخلت البلاد في حالة طوارئ ، و حرمت الشعب المصري من أبسط مقومات الحياة الطبيعية و هما حرية الرأي و التعبير و حرية النشاط السياسي للجميع ، كل هذه الأحداث و التطورات المتسارعة ، عايشها الشاب محمد بوخروبة بكل جوارحه و تعايش معها و من دون شك سيكون لها دور كبير في تشكيل شخصيته الفكرية و السياسية ، التي ستؤثر بطبيعة الحال على مستقبله السياسي و رؤيته للأحداث و إدارته للأزمات ، فحاول أن يستفيد في بداية حياته من الواقع السياسي و الثقافي بكل زخمه و مؤثراته ، فتعرف عن قرب على العديد من الشخصيات الجزائرية السياسية و الفكرية التي إحتضنتها قاهرة المعز في ذلك الوقت ، البشير الإبراهيمي و الفضيل الورثلاني ، من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و حسين آيت أحمد و محمد خيضر، و فيما بعد أحمد بن بلة من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، و شخصيات فكرية مستقلة كالمفكر الإسلامي الجزائري العظيم مالك بن نبي ، بالإضافة الى الطلبة الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراساتهم العليا في إطار بعثة جمعية العلماء ، قام الشاب محمد بوخروبة و زميله شيروف بالتسجيل في جامع الأزهر الشريف عملا بنصيحة الأستاذ الشاذلي المكي من أجل الإستفادة من المساعدات المالية التي يقدمها عادة الأزهر للطلبة العرب

وقد إستهواهما نمط التعليم الحديث الذي كانت تقدمه الثانوية الخديوية فقررا التسجيل بها. بالموازاة مع دراستهما في الأزهر الشريف و التي لم تستمر سوى أشهر قليلة ، و كانت المشكلة الثانية التي واجهتهما في القاهرة بعد إجتيازهما عقبة التسجيل في الأزهر و في الثانوية الخديوية هي مشكلة السكن التي لم تكن مطروحة بالنسبة للطلبة النظاميين ، و عن ظروف الإقامة بالقاهرة و المتاعب التي واجهتهما يقول الأستاذ محمد الصالح شيروف . للشروق اليومي ع ٣٠ . ديسمبر - ٢٠١٣

بعد عدة أيام من وصولنا الى القاهرة ، إتصلنا بمكتب جمعية العلماء المسلمين و طلبنا الإنضمام الى البعثة فرفضوا طلبنا دون مبررات مقنعة . فقمنا بالإتصال بالسيد حسين آيت أحمد و محمد خيضر ممثلي حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، حيث كان الراحل محمد خيضر صريحا و مباشر معنا فطلب منا دعمه في الحصول على رئاسة مكتب الحركة ، مقابل منحنا شقة تساعدنا على الإستقرار في القاهرة ، فوافقنا دون تردد على الصفقة ، و كان عند وعده فمنحنا شقة جميلة بشارع عبد اللطيف رقم ١٩ لكن ظهرت مشكلة أخرى مرتبطة بطبيعة النظام الخارجي للدراسة بالثانوية الخديوية حيث يتولى الطالب الإنفاق على نفسه و توفير مصاريف الأكل و الوجبات الأساسية و بالنظر الى أن عائلة محمد بوخروبة لم تكن ترسل له المصروف الشهري نتيجة للفقر ، لم تعد منحة الأزهر تكفي حتى لمصاريف أسبوع واحد ، و لذلك كنا نكتفي بوجبة واحدة في اليوم ، إما الغذاء أو العشاء ، و ما لم يكن في الحساب قد وقع ، فمحمد خيضر لم ينجح في إفتكك رئاسة مكتب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة ، و فاز عليه حسين آيت أحمد، و بعد أربعة أشهر من الإقامة بتلك الشقة المريحة وسط القاهرة . و ذات ليلة و في حدود الساعة الثامنة مساء بعد صلاة المغرب تفاجأت أنا و محمد بوخروبة بطرق عنيف على باب الشقة ، و لما فتحت الباب دخل محمد خيضر و حسين آيت أحمد و كان الأول في حالة غليان شديد و هو معروف أصلا بعصبيته و ميله لإستعمال العنف لأتفه الأسباب ، و إن كان أحمد هادئا بطبعه و لم يتفوه بكلمة فإن خيضر رفع صوته و أمرنا بترك الشقة فورا ، كان آيت أحمد هادئا يتابع المشهد بصمت ، بينما رفض محمد خيضر مجرد الحوار أو التفاهم ، و تصاعد غضبه و دخل في شجار عنيف مع محمد بوخروبة ، تبادلا خلاله اللكمات و إستمر الشجار الى غاية الحادية عشر ليلا ، و في اليوم الموالي ذهبنا الى الشيخ البشير الإبراهيمي فنصحنا بطلب تعويض من مكتب المغرب العربي لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، و أثناء المحادثات وصلنا الى قبول ١٠٠٠ جنية مصري كتعويض ، و هو مبلغ يسمح لنا بإستئجار شقة متواضعة بإحدى الأحياء الشعبية .ثم طرأت مشكلة أخرى و تتعلق هذه المرة بنفاذ السيولة المالية التي كانت بحوزتنا ، لدرجة أننا لم نذق طعم الأكل لمدة أربعة أيام كاملة ، و كنا نرى أن الحل سيكون بعون الله بيد الشيخ البشير الإبراهيمي ، ذهبنا إليه في مكتبه ووجدنا معه السادة الفضيل الورثلاني ، أحمد بيوض و الشيخ الغسيري ، تكلم محمد بوخروبة بلهجة صارمة و حزينة موجهها كلامه الى الشيخ الإبراهيمي ، قائلنا نحن طالبة جزائريون نعيش في ظروف سيئة للغاية و بحاجة الى مساعدة عاجلة ، و كان رد الشيخ الإبراهيمي مفاجئا و صادما لنا ، قال بلهجته المعتادة أنتم إخترتم من الأول حزب الشيطان ، فأنتم و حزب الشيطان في سقر، و هي أسوأ درجات جهنم ، فلم يترك زميلي محمد هذه الإهانة تمر مرور الكرام ، فرد على كلام الشيخ الإبراهيمي بنبرة غاضبة و لكنها هادئة فقال إنكم تجمعون الأموال من المملكة العربية السعودية ، و من الأردن ، و من العراق لدعم التعليم العربي في الجزائر، و هذه الأموال هي حق معلوم للطلبة الجزائريين بالخارج و في

هذه اللحظة تدخل الفضيل الورتلاني و أمرنا بالإنصراف و بمثل هذه الظروف إنتهت علاقتنا بالشيخ البشير الإبراهيمي ، في القاهرة تفتحت أعين الشاب محمد بوخروبة الذي إستفاد من قراءته الحرة للتاريخ الإسلامي و لطبيعة الصراع بين المسلمين و النصراري. و وجد في أجواء القاهرة فرصة للنضال و التكوين . و رغم إنقطاع حبل الود بينه و بين النخب السياسية و الفكرية الجزائرية التي كانت متواجدة بالقاهرة و التي كانت تحركها في الغالب أطماع و حسابات سياسية ، و بقدر إبتعاده عن محيط السياسيين حاول التقرب من الطلبة الجزائريين المقيمين بالقاهرة و إستفاد من تجربته المريرة مع النخب السياسية و الثقافية التي لم يجد لديها ما كان يتمناه من دعم و مساعدة مادية و معنوية ، فقرر أن يكون في خدمة الطلبة الجزائريين الجدد كأول نشاط إجتماعي تطوعي يقوم به في حياته ، بالموازاة مع متابعة دراسته النظامية بالأزهر الشريف و التي لم تدم طويلا و دراسته بالثانوية الخديوية ، يقول الأستاذ عبد القادر نور أول مدير عام للإذاعة الوطنية عن يومياته الأولى بالقاهرة و لقائه الأول بالطالب محمد بوخروبة الذي سيكون له شأن عظيم في تاريخ الجزائر المعاصرة ، وصلت الى القاهرة يوم ٤ . نوفمبر ١٩٥٤ و لحسن حظي قابلت محمد بوخروبة مع شخص آخر أعرفه و هو يوسف زرقان ، نزلت بالقرب من الأزهر الشريف لعلي أجد أحدا من الطلبة الجزائريين أستأنس به ، و توقفت قليلا أمام أحد اروع الفضاءات الثقافية الحرة في القاهرة ، و هو عبارة عن معرض يومي لمختلف الكتب القديمة ،لمحت صديقي يوسف زرقان رفقة محمد بوخروبة و لما إقتربت منهما بادرنى بوخروبة بالسؤال عن سبب مجيئى الى مصر ، فقلت له أنني قصدتها من أجل مواصلة دراستي العليا ، لكن التسجيلات قد تكون إنتهت و الثورة الجزائرية قد إندلعت، فدلوني على قادتها هنا بالقاهرة لأنني أريد المشاركة في الكفاح المسلح ، فقال بوخروبة بنبرة حادة لا يمكنك أن تقوم بأي نشاط حتى تتمكن من تسوية إقامتك بالقاهرة بطريقة قانونية ، قلت في نفسي إنه يحاول عرقلتي و إحباطي، لكنه واصل كلامه بنفس النبرة الجادة ، قدم أوراقك الى إحدى الكليات المتواجدة بالقاهرة ، قلت له نحن في بداية شهر نوفمبر و إنتهى موعد التسجيلات و بدأت الدراسة ، فأخبرني بان كلية دار العلوم قد فتحت مسابقة خاصة بالطلبة المشاركة و بإمكانك المشاركة فيها ، إذا كنت ترغب في ذلك ، قدموني الى الأستاذ الشاذلي المكي و هو من القادة الأوائل للحركة الوطنية ، فتح مكتبا بالقاهرة لدعم القضية الوطنية سنة ١٩٤٧. كان موعد المسابقة قريب جدا فطلب مني الإسراع في تحضير أوراق الملف ، و شاركت في المسابقة و نجحت و دخلت كلية العلوم التابعة لجامعة القاهرة ، و لم يهنأ بوخروبة بالا إلا بعدما تأكد بأنني نجحت في المسابقة ،سبحان الله و كأن القدر قد هيا هذا الإنسان منذ الصغر ليكون خادما للجزائريين، و سمعت من بعد أن بوخروبة كان يقدم المساعدة الممكنة لكل القادمين الى القاهرة من الجزائريين و يقوم بخدمتهم سواء كانوا طلبة أو حجاج أو عابري سبيل أو مجرد زوار عادين ، إلتزمت بتنفيذ نصائح و توجيهات الطالب بوخروبة ، و لما تأكد من تسوية وضعيتي القانونية بمصر أرسلني الى مكتب ممثلي الثورة الجزائرية بشارع عبد الخالق ثروت في القاهرة ، فإلتقيت ب حسين آيت أحمد و أحمد بن بلة ، و محمد خيضر، و قدمت نفسي و ساعدوني على الإنخراط في صفوف الثورة .

- في ضيافة الجزائريين

يبدو أن العناية الإلهية كانت تحضر هذا الشاب الجزائري الفقير الى اداء أدوار هامة و مؤثرة ليس في تاريخ الجزائر و حسب و لكن في تاريخ العالم الثالث ، و لذلك لم تكن الظروف الإجتماعية

و السياسية في صالحه دوما ، و حتى بعد هجرته من الوطن مرغما و هاربا من آداء الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي ، لم يجد لدى رجال السياسة و الدين ما كان ينتظره من ترحاب و مساعدة و تشجيع . و قد تكون حادثة الشقة و موقف بعثة العلماء من اول الدروس الميدانية و العملية التي تعلمها في بداية حياته، و أول رسالة مشفرة إلتقطها عقله الصغير مفادها أن هناك فرق كبير بين الشعارات التي ترفعها بعض الشخصيات السياسية و الفكرية ، و بين سلوكياتهم في واقع الحياة ، و قد يحترار الكاتب أو المحلل و يعجز عن فهم بعض المواقف و التصرفات و حتى السلوكيات التي رافقت الحركة الوطنية و ثورة التحرير المجيدة ، خاصة عندما تصدر من شخصيات سياسية و فكرية تاريخية هي بالنسبة لجيل الإستقلال قامات كبيرة شامخة ترتقي في بعض الأحيان الى مرتبة . الملائكة الأخيار . كالموقف السلبي لبعثة جمعية العلماء بالقاهرة الراض لتقديم المساعدة الضرورية ، و إحتضانها و ضمها الى قائمة الطلبة الجزائريين الذي كانوا يزاولون دراساتهم العليا بالقاهرة في ظروف جد مريحة ، حسب ما يذكر الأستاذ محمد الصالح شيروف ، و هو شاهد و مصدر موثوق يمكن الإعتماد عليه بالنسبة للمعلومات التي تغطي فترة تواجده مع محمد بوخروبة بالقاهرة ، و الذي أكد في أكثر من مناسبة و لعدد من وسائل الأعلام المكتوبة و المسموعة بعض المعلومات التاريخية التي ظلت لفترة طويلة من الزمن طي الكتمان أو حتى ضمن الطابوهات ، و هي معلومات جد خطيرة يمكن تصنيفها ضمن غرائب و طرائف تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المجيدة . و لكن عند التوقف عند هذه المشهد قليلا لتحليله من عدة جوانب نصل الى عدة إستنتاجات قد تضرب بمصادقية هذه الرواية من أصلها

أولا من الواضح و المؤكد تاريخيا أن الشيخ البشير الإبراهيمي ليس مجرد رجل دين بالمفهوم الكنسي المسيحي أو حتى الإسلامي التقليدي، فهو شخصية فكرية تتمتع بصفات المفكر الأكاديمي الشامل في المفهوم الإسلامي ، فهو رجل دين و سياسة و فكر و ادب ، يجسد بشخصيته نموذجا للمفكر الإسلامي المعاصر ، كما يجسد المبدأ الإسلامي القائل ديننا سياسة و سياستنا دين و بالتالي فإنه يدرك أكثر من غيره جذور و مقومات الحركة الوطنية بشقيها السياسي و الفكري منذ ظهورها مطلع عشرينات القرن الماضي ، و ان البعد الإسلامي كان حاضرا في أدبيات الحركة الوطنية من نجم شمال إفريقيا الى جبهة التحرير التاريخية التي فجرت الثورة، و يدرك أكثر من غيره أن حزب الشعب أو وريثه حركة إنتصار الحريات الديمقراطية من ناحية المبادئ و الأفكار و الخطاب السياسي و المواقف المعلنة لم يكن في يوم من الأيام - حزبا للشيطان - بدليل أن الشيخ البشير الإبراهيمي و هو يمثل التيار الإسلامي في الجزائر قد سعى الى التحالف مع فرحات عباس و إطرادات من حزب الشعب من أجل تأسيس حركة أحباب البيان التي عبرت عن إنصهار مختلف القوى الوطنية اليسار و اليمين و الإسلامي الوسطي في تيار واحد من أجل الدفاع عن إستقلال الجزائر و معلوم أن عباس فرحات كان قبل مجازر الثامن ماي ١٩٤٥ يتبنى مواقف إندماجية متطرفة بلغت درجة إنكار وجود الأمة الجزائرية عبر التاريخ .لكنه تراجع عنها و إندمج في طريق الثورة.

- إن وصف حركة إنتصار الحريات الديمقراطية من طرف الشيخ الإبراهيمي، بحزب الشيطان فيه نوع من المبالغة و التشدد و التطرف في حق هذه الحركة الوطنية الأصيلة التي خرجت من رحم حزب الشعب الجزائري ، سليل نجم شمال إفريقيا ، احد أهم تنظيمات الحركة الوطنية ، وفيه نوع من التناقض مع مواقف سابقة للشيخ البشير الإبراهيمي الذي سبق و أن أبرم تحالفا سياسيا مع الأستاذ

عباس فرحات ومجموعة من إطارات حزب الشعب، من أجل تأسيس حركة أحباب البيان و الحرية ، بعد مجازر الثامن ماي ٤٥ .

. صحيح أن محمد خيضر تراجع عن إتفاقه مع بوخروبة و زميله و حاول إفتكاك الشقة منهما و إخراجهما منها بالقوة ، لكن في النهاية سلم لهما تعويضا قدره ١٠٠٠ جنيه مصري مكنهما من إستئجار شقة اخرى في حي شعبي ، أي ان الرسالة المشفرة التي يمكن أن تفهم من كلام الأستاذ محمد الصالح شيروف هي أن . ممثلي حركة إنتصار الحريات الديمقراطية - بالقاهرة كانا أرحم بالطالبيين الجزائريين محمد بوخروبة و زميله من بعثة جمعية العلماء ، التي إستقبلتهما بشكل لا يليق بمكانتها و دورها و أهدافها ، و عجزت عن إستيعابهما كطالبين جزائرين مغامرين قطعاً مسافة ٥٠٠ كلم مشياً على الأقدام من أجل العلم و المعرفة ، و من دون ان يثمن الشيخ الإبراهيمي هذا الجهد الكبير و يحتقي بأصحابه و يشجعهم ، فيستقبلهم بكلمات قاسية تثبط عزيمتهم و تشعرهم باليأس و الإحباط، خاصة وهما في فترة عمرية ميزتها الأساسية أنها مفعمة بالأمل و الإرادة و حب المغامرة و الإقبال على الحياة من أجل المستقبل .

. لو فرضنا جدلاً أن هذه الواقعة قد حدثت بنفس التفاصيل التي يرويها الأستاذ شيروف فإننا لا نزكي على الله أحد ، و نعتبر موقف الشيخ الإبراهيمي إن حصل موقف غير مقبول من الناحية الدينية و الوطنية و الإخلاقية ، و هو موقف غريب و سلبي بعيد كل البعد عن طبيعة المسلمين و أخلاقياتهم، و حتى أعراف و تقاليد العرب و الإنسانية جمعاء ، التي تحث على مساعدة عابر السبيل و إغاثة الملهوف و المحتاج ، كما يعتبر التخلي عن مساعدة مهاجر جزائري في بلد آخر جريمة إنسانية و أخلاقية و عار على كل إنسان بسيط ، فما بالك إذا كان هذا الإنسان هو شخصية إسلامية وطنية ، نذرت نفسها من الصغر في سبيل خدمة أبناء الوطن من خلال جمعية خيرية و لم تطلب من أي احد جزاء و لا شكورا ، و بغض النظر عن صحة هذا الموقف أو بطلانه فإنه لا ينقص من قيمة الشيخ الإبراهيمي و لا من وزنه الثقيل في تاريخ الجزائر الحديث ، فسيظل الشيخ الإبراهيمي في عيوننا رمزا شامخاً و أحد أهم أركان الثورة الثقافية و العلمية الجزائرية التي أنجبت بدورها رموزاً و إطارات كانوا وقوداً لثورة التحرير الكبرى .

. إن الموقف الإيجابي للشيخ الإبراهيمي كمثل لجمعية العلماء المسلمين من الثورة بمجرد إندلاعها، يعتبر جد متناقض مع موقفه من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية التي كانت إمتداداً لحزب الشعب، ثم إنجبت جبهة التحرير الوطني ، فالمبادئ و الأفكار و الأدبيات السياسية التي كانت تتردد في حزب الشعب هي نفسها التي تبنتها حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، واللجنة الثورية للوحدة و العمل التي فجرت ثورة اول نوفمبر المجيدة ، و كانت قبل ذلك تمثل جناحاً محايداً بعد إنشطار حركة إنتصار الحريات الديمقراطية الى شطرين متصارعين . مصاليين و مركزيين . و كانت تمثل جيل الشباب المتحمس لتجاوز الصراعات الداخلية و الإسراع في مقارعة الإستعمار باللغة التي يفهمها جيداً ، ثم ما لبثت هذه اللجنة أن تبنت تسمية جديدة و هي جبهة التحرير الوطني ، لكن دون أن تغير من مبادئ و أهداف حزب الشعب الجزائري الذي كان سباقاً لرفع مطلب الإستقلال و كان مستعداً للإشغال فتيل الثورة في الفاتح من شهر جانفي سنة ١٩٥٥ ، حسب ما يقول المؤرخ رابح بلعيد الذي أكتشف معلومات التي تؤكد أن مصالي الحاج كان يخطط لإعلان الثورة لكن رفاقه الشباب في الجناح الثالث سبقوه إليها ، و لم يستشيروه في الموضوع أصلاً ، و ظلت القضية ، قضية وقت فقط

- في قلب الأحداث

و يمكن أن نستنتج من رواية الأستاذ شيروف زميل الطالب بوخروبة و رفيق رحلته من الجزائر الى القاهرة، أن علاقتهما بالنخب الجزائرية السياسية و الفكرية التي هاجرت مبكرا الى مصر قد وصلت الى طريق مسدودة ، و لم يجدا أمامهما سوى الأستاذ الشاذلي المكي الذي حاول توجيههما و مساعدتهما قدر الإمكان ، لكن على ما يبدو و من خلال تتبع مسارات الأحداث و تطوراتها فإن طبيعة هذه العلاقة بين الطرفين لم تؤثر كثيرا على شخصية الطالب محمد بوخروبة و على مساره النضالي و علاقته بتلك الشخصيات خاصة بعد تغير المعطيات و انفجار الثورة المباركة ، و في القاهرة التي جمعت في ذلك الوقت أطيافا مختلفة من النخب الجزائرية حاول محمد بوخروبة أن ينسج شبكة من العلاقات الجديدة مع الطلبة الجزائريين من مختلف الأطياف و كان يمضي وقته بين الدراسة في الأزهر الشريف و الثانوية الخديوية ، كما حاول الاستفادة من مختلف التظاهرات الثقافية و الفكرية الدورية المنتظمة التي كانت تنظمها جماعة الإخوان المسلمين ، و كان حريصا على الإستماع الى المحاضرات التي كان يلقيها رواد الجماعة و منظرها حسين الهضيبي، سيد قطب، محمد الغزالي ، يوسف القرضاوي ، و البشير الإبراهيمي و الفضيل الورثلاني و هما من أركان جمعية العلماء تخلوا طواعية عن عباءة السلفية و تبنا أفكار و مبادئ الجماعة التي حاولت تقديم الإسلام الى العالم برؤية حديثة ، و حسب رواية الأستاذ شيروف فإن علاقة محمد بوخروبة لم تتوقف عند مجرد حضور نشاطات و فعاليات جماعة الإخوان المسلمين ، بل تعدت ذلك الى الإنخراط في صفوفها بشكل رسمي ، و في هذا الإطار يؤكد الأستاذ شيروف في حديثه ليومية الشروق - ٣٠ - ديسمبر - ٢٠١٣ و بكل وضوح صحة إنخراط الطالب محمد بوخروبة في صفوف جماعة الإخوان المسلمين قائلا الحمد لله أن أرشيف الإخوان يؤكد إنتماء محمد بوخروبة للجماعة على مدار السنوات الأربع الأخيرة التي قضاها في القاهرة ، كنا نملك بطاقة الإنتماء للجماعة و نحضر حديث الثلاثاء باستمرار ، حيث كان يلقي سيد قطب ، و عمر التلمساني ، و حسن الهضيبي و الفضيل الورثلاني ، و البشير الإبراهيمي و الشاذلي مكي محاضرات ، لم نكن نحرص على حضور هذه الفعاليات من باب الفضول أو الحضور الشكلي بل كنا مقتنعين بأفكار و مبادئ و المشروع السياسي للجماعة ، و يمكن أن نتوقف قليلا للتعقيب على هذه المعلومات الجديدة التي أعلن عن الأستاذ شيروف لأول مرة، و تحليل أبعادها و تأثيراتها على شخصية الرجل الذي حكم البلاد فيما بعد .

. أولا ليس غريبا أن تجذب أفكار و مبادئ الإخوان المسلمين الثورية التجديدية عقول شبان جزائريين فقراء و غرباء ، فارين من بلدهم المسلم المغتصب من طرف الإستعمار الكافر ، و ليس غريبا أن يجدا في فكر الجماعة تنوعا بين شدة و ثورية سيد قطب ، و ليونة الهضيبي ، كما ليس من الغرابة بمكان أن تكون تحليلات الشيخ محمد الغزلي الهادئة و حلوله المبتكرة لمشكلات العالم الإسلامي ، أكثر الأفكار جذبا و تأثيرا على الشاب بوخروبة ، كما أثرت على أجيال من الأمة الإسلامية .

. تؤكد هذه المعلومات فشل النخب السياسية و الفكرية المقيمة في القاهرة في ذلك الوقت .في إستقطاب الطلبة الجزائريين بالخارج ، و إحتوائهم و تكوينهم عقائديا و سياسيا، و تنظيمهم داخل أطر شبانية ، إستعدادا لثورة قادمة لامحالة .

. عدم وجود تنسيق أو تعاون بين بعثة جمعية العلماء و مكتب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية

بسبب هاجس الزعامة و المنافسة السياسية و هما من الأمراض المزمنة التي أرهقت الحركة الوطنية و الحياة السياسية فيما بعد ،

. إنخراط محمد بوخروبة في صفوف جماعة الإخوان المسلمين و إقتناعه بمبادئها و أفكارها و رؤيتها التجديدية للإسلام ، هو من جهة أخرى إيمان عميق بقدرة الإسلام على إبتكار حلول جديدة لمشكلات العالم المعاصر ، خاصة فيما يتعلق بتحقيق العدالة الإجتماعية بين مختلف شرائح المجتمع، و يبدو لي أن كتابات منظري جماعة الإخوان المسلمين العدالة الإجتماعية في الإسلام - أول كتاب يصدره المفكر الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب، و الإسلام و الإشتراكية للأستاذ مصطفى السباعي، و الإسلام و أوضاعنا الإقتصادية للشيخ محمد الغزالي ، كانت من بين الكتب التي قراها الطالب محمد بوخروبة بإهتمام و عمق و أثرت فيه بشكل كبير، خاصة كتاب الإسلام و الإشتراكية الذي حاول مؤلفه التوفيق بين النظرية الإشتراكية في بعدها الإقتصادي و الإجتماعي و بين نظرية الإسلام في العدالة الإجتماعية ، و هذا ما سنلاحظه في ما بعد ، بعد وصول الطالب محمد بوخروبة الى رئاسة الدولة الجزائرية . و هذا ما إنعكس في تفكيره و رؤيته للإسلام و مكانته في الدولة و المجتمع . و يمكن أن نتصور ان الطالب محمد بوخروبة قد إلتقى وجها لوجه أكثر من مرة بأقطاب جماعة الإخوان المسلمين من مختلف الأجيال و المدارس ، و تحدث معهم حول حاضر و مستقبل العالم الإسلامي ، و سنى في الفصول القادمة مدى تأثير هذه العلاقة العضوية الحميمية بجماعة الإخوان المسلمين على تفكير و رؤية الطالب محمد بوخروبة للأحداث التي تطورت بسرعة في إتجاه لم يكن مبرمجا من قبل ، و سنى أن مروره بجماعة الإخوان المسلمين كان مرحلة إيجابية و مهمة و ضرورية في حياته ، بالنظر الى ما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامي الناضج من شحن عقلائي لطاقة الفرد ، و تعبئة معنوية تجعل المسلم جاهزا للتضحية بالنفس و النفيس من أجل الوطن. مستحضرا مسلسل الجهاد الإسلامي ضد الكفر و الطغيان منذ فجر الإسلام الى ثورة الأمير عبد القادر و الثورات الشعبية التي أعقبتها ، وكان قادتها و روادها و جنودها من شيوخ الزوايا و طلبتها ، و لذلك كانت القاهرة المعز محطة هامة في حياة الطالب محمد بوخروبة الذي تختلف المصادر في تحديد مدة مكوثه بها و تاريخ و ظروف تجنيده في صفوف الثورة و ملابسات و حيثيات الانقلاب المفاجيء في حياته البسيطة ، من طالب فقير كان همه الوحيد مواصلة التعليم العالي في أرقى جامعة إسلامية عالمية .الى شخصية وطنية قامت بأدوار رئيسية وفاعلة ليس في تاريخ الجزائر و حسب و لكن تركت بصمات على تاريخ الإنسانية قاطبة ، ففي الوقت الذي يصير رفيق رحلته و زميله بالقاهرة الأستاذ محمد الصالح شيروف و هو المصدر الوحيد المقرب و الموثوق أن محمد بوخروبة ظل مرتبطا بصفة رسمية بجماعة الإخوان المسلمين طيلة الأربع سنوات التي قضاها بمصر و تمتد من تاريخ دخولهما الى القاهرة في شهر فيفري ١٩٥٢ الى غاية شهر فيفري ١٩٥٦ اي بعد سنة و ثلاثة اشهر من قيام الثورة الجزائرية المباركة ، هناك رواية أخرى يذكرها الأستاذ عبد القادر نور أول مدير عام للإذاعة الوطنية . تشير الى مغادرته للقاهرة في ظروف غامضة، حيث يقول الشاهد ليومية الشروق ٨ . جانفي ٢٠١٤ . لكنه لم يبق معنا كثيرا ، و في ١٥ فيفري ١٩٥٥ غادرنا نهائيا الى غاية سنة ١٩٥٧ عندما جاء أو عمران الى القاهرة ، فسمعنا بأن بوخروبة تمكن من إدخال باخرة محملة بالأسلحة الى الجزائر، أما السيد علي بوهزيلة ابن خال محمد بوخروبة .فيحدد في شهادته ليومية الشروق ٣١ . ديسمبر ٢٠١٤ . شهر أفريل ١٩٥٥ كتاريخ فاصل بين مرحلتين هامتين في حياة الطالب محمد بوخروبة إنتقل فيه من مقاعد الدراسة الى ساحة الثورة ، و هنا تتفق شهادتي السيدين نور و بوهزيلة في تحديد تاريخ مغادرته القاهرة و دخوله الجزائر، و هو تاريخ تجنيده في صفوف الثورة . و هكذا يمكن تقسيم هذه المرحلة

الهامة في حياة الطالب محمد بوخروبة الى قسمين الأول يمتد منذ قدومه الى مصر الى غاية ١٥ . فيفري ١٩٥٥ تاريخ إحتفائه عن أنظار زملائه الطلبة على الأقل ، حسب الأستاذ عبد القادر نور في شهادته ليومية الشروق ع ٨ جانفي ٢٠١٤ و الذي نقلنا منها الفقرات السابقة بتصرف ، و أن بداية ظهوره العلني على مسرح الأحداث و في قلب الثورة كان سنة ١٩٥٧، بذلك تبقى بالنسبة للباحث الفترة الممتدة من منتصف فيفري ١٩٥٥ الى غاية ديسمبر ١٩٥٦ عبارة عن مساحة بيضاء أو فترة غامضة في حياة الطالب محمد بوخروبة ، إختلفت حولها العديد من المصادر والشهادات التاريخية التي تناولت هذه المرحلة الهامة من حياته ، إذا إعتدنا رواية الأستاذ نور، أما إذا أخذنا بعين الإعتبار رواية الأستاذ شيروف و قد تكون أكثر دقة بحكم علاقته بالمعنى ، يكون الطالب بوخروبة قد عاش بالقاهرة أربع سنوات كاملة كانت تعتبر أجمل فترات حياته القصيرة . قضاها في متابعة الدراسة بالأزهر الشريف والثانوية الخديوية و بين جماعة الإخوان المسلمين كمناضل و متعاطف و مشارك في مختلف فعاليتها و أنشطتها الفكرية و الدعوية و التربوية و الرياضية ، و قد ذهب مصادر أخرى الى أنه إستفاد من تكوين شبه عسكري في إحدى المعسكرات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين. لكن و رغم ذلك يبقى تاريخ إنضمامه الى الثورة غامضا و غير محدد بدقة حيث إختلفت المصادر التاريخية و الشهادات التي تحدثت عن هذا الموضوع ، و ذهب في اتجاهات مختلفة يمكن إيجازها في ما يلي

- رواية تؤكد أن الطالب محمد بوخروبة إنضم الى صفوف الثورة من أول يوم إعلنت فيه، ولكنه ظل محتفظا بهذا السر لنفسه و لم يفشيه حتى لأقرب رفاقه و زملائه، خاصة و أنه بطبيعته شخص متحفظ و حريص على السرية الى درجة كبيرة.

- رواية أخرى تشير الى أن أحمد بن بلة الذي كان بمثابة المشرف العام على الثورة الجزائرية ، تمينا و تسليحا ، هو الذي تمكن بصعوبة كبيرة من إقتناع الطالب محمد بوخروبة بالإنضمام الى صفوف الثورة ، لا لشيء و لكن وجد لديه إصرار كبير على طلب العلم و في أكبر الجامعات العربية و الإسلامية.

- باخرة دينا

كنا قد عرفنا أن القدر قد ساق الطالب محمد بوخروبة و زميله الى مكتب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، و عرفنا قصة النزاع حول الشقة و عمل الطالبين بنصيحة الشيخ البشير الإبراهيمي التي آتت أكلها و أنقذتهما من التشرد في شوارع القاهرة ، و عرفنا قبل ذلك ان الأستاذ الشاذلي المكي كان قد وضع نفسه في خدمة الجزائريين القادمين الى القاهرة و تتبع خطاهم الى غاية الإطمئنان على وضعيتهم القانونية و الإجتماعية و الدراسية ، لكن هناك شخصية سياسية بارزة كانت ضمن تشكيلة مكتب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية . لكنها لم تظهر على مسرح الأحداث سوى مع بداية الثورة ، و لم تذكر لنا المصادر و الشهادات التي صدرت حتى الآن . جانفي ٢٠١٥ علاقة الطلبة الجزائريين الجزائريين المتواجدين بالقاهرة بأحمد بن بلة ، سوى معلومات شحيحة تؤكد وضع المخابرات المصرية أعضاء مكتب الحركة و ممثلي جبهة التحرير فيما بعد تحت مجهر المراقبة عن بعد ودراسة شخصياتهم و أفكارهم و إتهاماتهم ، من خلال تصرفاتهم اليومية و علاقاتهم بالوسط السياسي و الثقافي المصري ، و تؤكد تركيز النظام المصري بشكل مكثف على أحمد بن بلة لدرجة أن إختار له شقة في نفس العمارة التي يقيم بها مسؤول المخابرات المصرية ، و ربما وجدت فيه صفات و مميزات لم تكن متوفرة في بقية المناضلين الجزائريين اللاجئين في القاهرة في ذلك الوقت ، و ليس هناك معلومات أو تفاصيل عن كيفية و ظروف تجنيد الطالب هواري بومدين من طرف أحمد بن بلة ، سوى أنه أفتعه بصعوبة للمشاركة في صفوف الثورة ، و ساعده للحصول على تكوين عسكري عال في العراق و الأردن ، و كانت أول عمليه يقوم بها المجاهد محمد بوخروبة لصالح الثورة هي باخرة دينا حيث إلتقى بالمجاهدين العقيدين العربي بن مهدي و بوصوف فمنحاه

الإسم الثوري هواري بومدين . و قد أعجب المجاهد الشاب بالإسم الثوري الجديد ، لما يحمله من مضامين و إحياءات روحية و إنسانية ، و تقبله بصدر رحب ، وبوصوف كان نائباً لبن مهدي على رأس الولاية الخامسة التي كانت محطة هامة في مسيرة هواري بومدين العسكرية و بعد إستشهاد العربي بن مهدي في شهر مارس ١٩٥٧ أصبح العقيد بوصوف بصفة آليّة قائداً للولاية التاريخية الخامسة و العقيد هواري بومدين نائباً له . و بعدما تم تعيين العقيد بوصوف عضواً في لجنة التنسيق و التنفيذ في إطار التعديل الذي أجري بالقاهرة على مقررات مؤتمر الصومام . أصبح العقيد هواري بومدين قائداً للولاية التاريخية الخامسة ، و في سنة ١٩٥٨ أصبح قائداً لأركان الجيش بالغرب بدعم صريح من طرف العقيد بوصوف في مواجهة غير معلنة مع العقيد القبائلي كريم بلقاسم ، الذي كان يخطط للسيطرة على الجيش بتتصيب ضباط مقربين منه إديولوجيا و جغرافيا على قيادتي الأركان الشرقية و الغربية ، و هي الخطة التي تظن لها رفيقيه العقيد بوصوف و بن طوبال و أفشلاها .

- قيادة الأركان... أو الطريق نحو السلطة -

يرى كثير من المحللين و المؤرخين و صناع التاريخ الجزائري الحديث ، أن الأسس الإيديولوجية و المبادئ العامة لنظام الحكم الجزائري و توجهاته الكبرى قد تم صياغتها من طرف الثلاثي بن مهدي ، بوصوف ، بومدين ، لمواجهة مخاطر الفرنسة أو البربرية التي كانت تشكل بدورها أهم مقومات و مبادئ جماعة الصومام ، و أن أول لبنة وضعت لتحقيق هذا الهدف كانت بطبيعة الحال إختيار شخصية عسكرية و سياسية من الجيل الثاني للثورة مثقفة و معربة و متفتحة على الآخر، لتولى أهم منصب عسكري في أي جيش من جيوش العالم ، و هو قيادة الأركان العامة ، و لم يكن من السهولة بمكان تحقيق هذه الخطوة و تمريرها لولا وجود عقيد متمرس في المخابرات و آخر إكتسب خبرة معقولة في الأمن الداخلي و هما بوصوف و بن طوبال اللذين نجحا في إيقاف زحف العقيد القبائلي كريم بلقاسم و فرملة إندفاعاته نحو السيطرة على الجيش لتحقيق أهداف و مصالح بعيدة المدى ، من جهة و الحيلولة دون تحقيق بعض أهداف مؤتمر الصومام غير المعلنة ، حيث أن أكبر خطر سياسي و أممي كان بإمكانه تهديد الإستقلال الوطني الذي كان قادما لامحالة بعد زوال الإستعمار هو سيطرة تيار بربري فرنكوفوني لائكي مقرب من فرنسا على مفاصل النظام ، و إعلان دولة الأمازيغ التي تشمل كل المغرب العربي ، تتولى عملية تطهير عرقي و تصفية الوجود الإسلامي بشمال إفريقيا و العودة الى فترة الجاهلية و ما قبل الإسلام ، لأن مشكلة بعض السياسيين البربر الأساسية على ما يبدو هي الوجود العربي الإسلامي في بلاد البربر و كان هذه البلاد هي ملكية خاصة بهم أو وقف على سلالتهم فقط ، دون بقية الأجناس ، و لذلك كانت هذه الفكرة المسمومة منبوذة من جميع تيارات و أجنحة الحركة الوطنية من مصالي الحاج و جمعية العلماء و حتى من البربر الأحرار الذين يطالبون بسحب ورقة البربرية من كل التجاذبات السياسية ، بإعتبارها احد المقومات الأساسية المشتركة للشعب الجزائري ، لكن قبل ذلك لنبدأ من ظروف تأسيس قيادة الأركان و كيف تمت العملية ؟ يقول الرائد رابح زراري المدعو عز الدين في شهادته ليومية الخبر ٣٤ . جويلية ٢٠١٢ . خلال إنعقاد دورة المجلس الوطني للثورة في مدينة طرابلس الليبية ، أواخر شهر ديسمبر ١٩٥٩ و بداية شهر جانفي ١٩٦٠ تقرر إنشاء هيئة الأركان العامة في ٠٦ - جانفي - ١٩٦٠ و تم تتصيب العقيد هواري بومدين كمسؤول سياسي و عسكري ، و تم تعيين نوابه الثلاثة و هم أحمد قايد و علي منجلي ، و عز الدين زراري و تمركزنا في بلدة غار الدماء ، بالحدود الجزائرية التونسية

و عن الظروف السياسية و العسكرية التي شجعت العقيد هواري بومدين على التفكير الجدي في السلطة ، في ظل تنافس شديد بين القادة السياسيين و العسكريين، يضيف نفس المصدر قائلاً الباءات الثلاثة كانوا يمثلون الشرعية التاريخية على الورق فقط ، لأن بومدين كان على رأس جيش منظم و منضبط يضم أكثر من ٣٠٠٠٠ مقاتل مسلح بشكل جيد ، و في لياقة بدنية جيدة ، مدعمين من الولايات التاريخية الأولى و الخامسة و السادسة ، في حين أن الباءات الثلاثة خرجوا من داخل الجزائر و فقدوا سيطرتهم على جيش التحرير، و الولايات التاريخية المساندة لهم أنهكتها الحرب . . . في سنة ١٩٦١ نجحنا في إعادة تنظيم الجيش مما أكسب هيئة الأركان قوة معنوية إضافية ، فمن كان في ذلك الوقت يستطيع مواجهة قيادة الأركان ، و خلال الأزمة التي حصلت بين قيادة الأركان و الحكومة المؤقتة بسبب الطيار الفرنسي الذي أسقطنا طائرته و نجا بأعجوبة و رفضنا تسليمه ، قلت للعقيد هواري بومدين ماذا لو قطعوا عنا التمويل؟ فقال لي عندي ٥ ملايين فرنك فرنسي ، و هذا المبلغ الكبير الذي كان بحوزته لم يكن لإستعماله الشخصي. و لكن هذا يؤكد أن كان يفكر في السيطرة على الحكم ، فأول إنقلاب عسكري على الحكم كان في سنة ١٩٥٧ و الإنقلاب الثاني كان في سنة ١٩٦٢ و للتعقيب على هذه المعلومات و الأفكار التي أدلى بها الرائد عزالدين احد نواب قائد الأركان العامة العقيد هواري بومدين ، ليومية الخبر الجزائرية نورد الملاحظات التالية .

اولا يقول الرائد عزالدين أن المجلس الوطني للثورة هو الذي عين العقيد هواري بومدين كقائد لهيئة الأركان و كمسؤول سياسي و عسكري ، و تحت كلمة سياسي و عسكري يمكن أن نضع عدة أسطر، وعند تحليل و تفسير هذه العبارة بالنظر الى توقيت صدورها و ملابسات القرار، يمكن ان نخرج بنتيجة هامة و هي أن أعضاء المجلس الوطني للثورة و هو الذي كان يملك الجزء الأكبر من الشرعية الثورية . و افقوا بتاريخ ٠٦ . جانفي . ١٩٦٠ و بالأغلبية على تعيين العقيد هواري بومدين قائدا عاما لهيئة الأركان ، و من مهامها الطبيعية في كل جيوش العالم الإهتمام بالجانب العسكري التقني ، في حين يجمع منصب وزير الدفاع الجانبين العسكري و السياسي، لكن أعضاء المجلس الوطني للثورة المجتمعون في مدينة طرابلس الليبية أضافوا لقائد الأركان مسؤولية سياسية ، ليصبح في نهاية المطاف هو الذي يمثل السلطة السياسية و العسكرية .

. ثانيا في هذه الدورة كما تقول المصادر التاريخية تم عرض تقرير قيادة أركان الشرق التي كانت تحت قيادة محمدي السعيد ، و قيادة أركان الغرب التي كان يقودها العقيد هواري بومدين ، و قد لاحظ أعضاء المجلس الوطني الذين كانوا يتابعون التقارير بإهتمام شديد أن هناك تباين كبير بين الأوضاع على الأرض بمنطقتي الشرق و الغرب ، ففي الوقت الذي فشل العقيد القبائلي محمدي السعيد الذي عينه كريم بلقاسم على رأس قيادة أركان الشرق في تأدية مهامه الرسمية نتيجة لموجة الرفض و الإحتجاج التي قوبل بها من طرف ضباط و جنود المنطقة الشرقية ، و لم يتمكن من السيطرة على الأوضاع ، فإن التقرير الذي قدمه العقيد هواري بومدين عن فترة نشاطه و إدارته لقيادة أركان الغرب ، قوبل بإرتياح كبير لدى المجتمعين ، و سبقته أصداء عن إستقرار الأوضاع و قدرة العقيد الشاب على التنظيم و توحيد الصفوف ، و الإجتهد في توفير كل الشروط المساعدة على التركيز على هدف واحد فقط ، و هو ضرورة الإنتصار على الإستعمار وإجباره على الخروج من هذه البلاد العربية المسلمة .

- في مؤتمر طرابلس

مؤتمر طرابلس هو أحد المحطات الهامة في تاريخ الجزائر الحديث ، و في أروقتة تم تحديد المعالم الكبرى للدولة الجزائرية المستقلة ، حيث تذكر العديد من الشهادات التاريخية أنه كان لقاء عاصفا و حاسما و حازما ، أحييت فيه النخب السياسية كل الخلافات التي كانت مؤجلة بحكم الواقع الثوري . و حاول كل طرف أن يفرض قناعاته على الآخر ، و في النهاية تبلور إتجاهين سياسيين حاول كل منهما أن يجد له حليفا من الجيش يسانده في تمرير فكرته داخل المؤتمر و من ثم في الواقع . إتجاه تشكلت ملامحه بعد مؤتمر الصومام و أبرز شخصياته من منطقة القبائل إنقسم فيما بعد الى جناحين الأول هو تحالف العقيد كريم بلقاسم و محمد بوضياف، والثاني بقيادة حسين آيت أحمد الذي حاول أن يجعل من العقيد القبائلي محند أولحاج حليفا عسكريا ، و إتجاه ثان تبلور هو الآخر بعد مؤتمر الصومام و تشكلت ملامحه مباشرة بعد تعيين العقيد هواري بومدين قائدا للأركان ، حاول في البداية عزل محمد بوضياف عن حلفائه و إحتوائه من خلال إقتراحه كرئيس للجمهورية و مرشح الجيش ، لكنه رفض العرض لأسباب إيديولوجية و مبدئية متمسكا بحلفائه و بالشرعية الثورية ، والدولة المدنية المثالية الطوباوية التي لا تمنح أي دور أو تأثير للعسكريين على الواقع السياسي ، ثم تحول الإتجاه مباشرة الى الشخصية الإحتياطية التي كانت تتوفر فيها جميع مواصفات رئيس للجمهورية الجزائرية في ذلك الوقت ، زيادة على التوافق السياسي و الإيديولوجي بين العقيد هواري بومدين و الزعيم أحمد بن بلة ، هناك توافق بينهما حول رفض مؤتمر الصومام و كل تبعاته ، و تمسك عميق و صادق بالإنتماء العربي الإسلامي للجزائر ، بخلاف مجموعة القبائل و حلفائها التي كانت تعتبر عروبة الجزائر محل شك ، و تتمسك بالإنتماء البربري قبل كل شيء و قد تحول مؤتمر طرابلس الذي لم تختتم أشغاله بصفة رسمية الى غاية اليوم ، الى جلسات عتاب و محاسبة ، و ملاسنات تجاوزت كل الحدود ، و حلبة صراع بين متحضرين للسلطة تخندقوا في كرسي المعارضة و بين حكومة سابقة فاقدة للسيطرة على أي شيء ، يقول الأستاذ علي هارون عضو فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في حصة حوارية بثتها قناة النهار الجزائرية ، في إجابته عن سؤال حول موقف العقيد هواري بومدين مما حصل في مؤتمر طرابلس من مناوشات و ملاسنات بين جميع الأطراف المتصارعة على السلطة ، أن العقيد هواري بومدين كان جالسا في كرسيه يتربص الوضع بهدوء تام و يستمع الى جميع التدخلات ، و لم يتأثر بتطور الخلافات و حدثها ، و حتى في تلك اللحظات التي فقد فيها أحمد بن بلة أعصابه و دخل في تلاسن عنيف مع يوسف بن خدة ، لم يتدخل و ترك الأمور تجري حسب طبيعتها . فالعقيد هواري بومدين كما يروي العديد من رفاقه في القاهرة أو الذين إشتغلوا معه فيما بعد في قيادة الأركان ، كان هادئا في كل الأحوال و الظروف و جميع تصرفاته و مواقفه تتم عن تفكير عميق ، ولم يكن أبدا متسرخا حتى في أصعب الظروف و اللحظات ، كان يراقب أشغال المؤتمر الحاسم بعدما أصبح خيار الإستقلال ممكنا و مرهونا بإستفتاء شكلي ، و لاحظ كيف تحول الثوار الكبار الى خصوم و أفقدتهم سكرة الكرسي و نشوة السلطة كل توازنهم العقلي و العاطفي ، و في غمرة الصراع على ثمار الثورة نسوا كل شيء حتى الوطن الجريح ، بل أشلاء وطن ممزق من كل الجهات ، أشبه ما يكون بهيكل عمارة دمرها زلزال عنيف فلم يبقى منها سوى بعض الأعمدة واقفة و شاهدة على مكر الإستعمار و جبروته ، نسي الإخوة الثوار كل المفردات الإنسانية و الأخلاق الثورية ، و طغت أنانيتهم و تضخم الأنا الداخلي لديهم و أصبح همهم

بل هاجسهم الأوحده هو كرسى السلطة ، و إنقلبت شمس الحرية التي اوشكت على البزوغ على الجزائر، الى ضباب كثيف حجب الرؤية الصحيحة عن الجميع و أفقدهم القدرة على إلتماس الطريق الصحيح ، و فلم يعد احد يرى غيره ، و أصبح الكل ينادى بصوت مرتفع جدا ، انا الثورة ، انا الشرعية ، و تخيل الجميع أن مجرد رفع هذه الشعارات بصوت عال كفيل بضمان المرور إلى الجلوس على عرش دولة فتية تنتظر حل الكثير من المشاكل الإقتصادية و الإجتماعية اليومية و الكثير من مخلفات فترة طويلة من الإستعمار ، و فاتورة سبع سنوات و نصف من الحرب ، بخزينة فارغة و إدارة خالية على عروشها ، و في غمرة السباق المريع على سلطة محفوفة بالمخاطر و المفاجآت نسي الثوار الكبار رافعي شعار الشرعية الثورية ، رسالة الشهداء الكرام بن بولعيد ، بن مهدي ، زيغود ، ديدوش ، و لم تعد مبادئ أول نوفمبر التي كتبها هؤلاء الأبطال بأحرف من نور، تغريهم فكانت الطعنة الثانية في ظهر الشهداء و في قلب الثورة ، و هي تجاوز المرجعية الفكرية للحزب و الدولة ، و تأجيل موضوع موقع الإسلام في نظام الحكم ، و إستبداله بإيديولوجية وضعية مستوردة. كانت ربما هي الفكرة الوحيدة التي إلتقت عليه عقول و قلوب الجميع و من دون إستثناء و من دون معارضة ، و ربما كانت هي الملاذ الوحيد من إنفجار سياسي و أممي وشيك ، يقلب الطاولة على رؤوس الجميع ، و هكذا حضر الجميع أعضاء المجلس الوطني للثورة و غيرهم من الشخصيات الوطنية ووقعوا على إنقلاب ثان على مرجعية اول نوفمبر التي نصت صراحة على إقامة جمهورية ديمقراطية إجتماعية ، ذات سيادة، في إطار المبادء الإسلامية ، في هذه الأجواء السياسية المشحونة و المتعفنة كان العقيد الشاب هواري بومدين و عمره في ذلك الوقت لم يتجاوز الـ ٣٠ سنة يتأمل بحرقة تلك المشاهد المحزنة و المناظر الأليمة التي بقيت محفورة في ذاكرته حتى وفاته ،إنها بكل بساطة صراعات شخصية حول السلطة و سباق محموم نحو كرسى رئاسة الجمهورية ، صراعات تساوت فيها حظوظ الجميع بحكم توازن القوى بين كل الشخصيات و الأجنحة التي تمثلها من منطلق الشراكة باسهم متساوية في صناعة ثورة إسلامية عربية عظيمة لم يشهد القرن العشرون مثيلا لها ، و إنتصارا مستحقا على عدو إستطاني كافر، لكن إستمرار ذلك الصراع سيرهن مستقبل البلد و يتحول الإنتصار فجأة الى نكسة ، و تدخل البلاد في حالة أسوأ من الإستعمار و هي الحرب الأهلية التي لا تبقى و لا تذر، و حسب شهادات العديد من الشخصيات الوطنية التي عايشت الحدث فإن العقيد هواري بومدين الذي يعرف عنه الهدوء و رد الفعل البطيء و القدرة على إخفاء مواقفه و إنطباعاته ، كان قوة فاعلة قبل المؤتمر و في الكواليس و كان داعما لفكرة التوافق و إحتواء الأجنحة المخالفة ، و كان منذ البداية ضد الإقصاء و مع إتاحة الفرصة للجميع لمشاركة في حب الوطن ، فالقضية بالنسبة له هي أن الإختلاف في الرؤية و في الموقف و التصورات ، إذا كان الهدف منه هو كيفية بناء الدولة بهذه الطريقة او بتلك هو في نهاية الأمر إختلاف على حب الوطن ، فكل مواطن حر في طريقة حبه للوطن شريطة أن لا يكون من نوع الحب القاتل الذي يقتل الجميع من أجل الكرسى ، لكن في النهاية كان موقف العقيد هواري بومدين هو دعم المشروع الذي تقدم به أحمد بن بلة بإعتباره أقرب المشاريع المقدمة الى طبيعته و شخصيته و وجد فيه العديد من الأفكار التي تتفق مع توجهاته السياسية و الإقتصادية ، و هناك بعض الأصدقاء التي أشارت إلى أن بصمات العقيد هواري بومدين بصفته مسؤولا سياسيا و عسكريا كانت واضحة في برنامج طرابلس الذي كانت محاوره الكبرى هي برنامج عمل للدولة الجزائرية من سنة ١٩٦٢ الى سنة ١٩٧٦ تاريخ صدور الميثاق الوطني الجديد ، الذي ساهمت مختلف أطراف الشعب الجزائري في صياغته

- جماعة وجدة

جماعة وجدة هو تكتل سياسي و عسكري تشكل من كبار ضباط جيش التحرير بصورة تلقائية في منتصف ثورة التحرير بين سنتي ١٩٥٧ - ١٩٥٩ في مدينة وجدة المغربية التي كانت ملجأ للمواطنين الجزائريين الفارين من بطش الإستعمار الفرنسي منذ سنة ١٨٥٠ حيث تمكنوا من فرض وجودهم من خلال الأنشطة التجارية الصغيرة و الفلاحة ، و الوظيفة العمومية بالإدارة المغربية فتكون ما يمكن أن نسميه نواة بورجوازية صغيرة ، إستفاد أبنائها من التعليم و نمط معيشي مقبول نوعا ما ، هذه الجالية الجزائرية التي تمركزت بالحدود المغربية كانت هي الحاضنة الإجتماعية لجماعة وجدة التي كانت عبارة عن تكتل إجتماعي و سياسي يضم جميع الجزائريين المتواجدين بالمدن المغربية الحدودية ، ثم تحولت تدريجيا الى تكتل سياسي و عسكري إختار طريقا ثالثا بين الباءات الثلاثة و النخب السياسية التقليدية بعد صعود نجم العقيد هواري بومدين ، معظم المصادر التاريخية التي تناولت هذا الموضوع تحدد عدد أعضاء جماعة وجدة بخمسة تكتلوا حول العقيد هواري بومدين و هم السادة

1 - أحمد قايد: إسمه الحركي القائد سليمان ، ولد في ١٧ . مارس . ١٩٣١ بتيارت ، بعد اداء الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية ، إنخرط في صفوف حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فانتخب مستشارا لمدينة تيارت من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٤ إنضم الى جيش التحرير سنة ١٩٥٦. إقترب من العقيد هواري بومدين و أصبح من مساعديه في إدارة الولاية التاريخية الخامسة . بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، عين وزيرا في حكومة أحمد بن بلة . و بعد التصحيح الثوري الذي أطاح بالنظام السابق أصبح عضوا في مجلس الثورة ووزيرا للمالية ، و في سنة ١٩٦٧ عين أمينا عاما لحزب جبهة التحرير الوطني الى غاية سنة ١٩٧٤ توفي يوم ٥ . مارس . ١٩٧٨ بمدينة الرباط المغربية .

2 - الشريف بلقاسم: من مواليد سنة ١٩٣٣ بمدينة عين البيضاء بولاية أم البواقي حاليا ، إسمه الثوري جمال ، إنظم مبكرا الى جيش التحرير الوطني و تحصل على رتبة ضابط ، و كان قريبا من عبد العزيز بوتفليقة ، بعد إسترجاع السيادة الوطنية أصبح من كبار إطارات الحزب و الدولة ، ثم أصبح عضوا في مجلس الثورة ، عايش مختلف التطورات التي مرت بها البلاد ، إختفى عن الأنظار فترة الثمانينات من القرن الماضي ، ثم عاد الى الواجهة الإعلامية و ساهم في النقاش السياسي بعد أحداث أكتوبر ٨٨، توفي في ٢٣ . جوان . ٢٠٠٩ بالمستشفى الأمريكي ببباريس فرنسا .

3 - أحمد مدغري: ولد بمدينة سعيدة ، إسمه الثوري سي الحسين ، تحصل على البكالوريا في الرياضيات ، و إنضم الى صفوف جيش التحرير في جويلية ١٩٥٧ ثم أصبح رائدا في الولاية التاريخية الخامسة ، بعد إسترجاع السيادة الوطنية عين واليا على ولاية تلمسان . ثم وزيرا للداخلية، يعتبر المؤسس الفعلي للإدارة الجزائرية الحديثة ، توفي في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٤ منتحرا في بيته ، و قد لمح الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد في مذكراته الى بعض الأسباب التي قد تكون وراء إنتحار أحمد مدغري الذي كان من المقربين للعقيد هواري بومدين ، و قد عهد إليه بمهمة إرساء دعائم إدارة جزائرية حديثة و تكييفها مع الواقع المحلي ، و عرف بموقفه السلبي من موضوع تعريب الإدارة ، و هو احد اقرباء الفرنكوفونية في الجزائر .

- عبد العزيز بوتفليقة: ولد بمدينة وجدة المغربية في ٠٢ - مارس - ١٩٣٧، إلتحق بصفوف جيش التحرير سنة ١٩٥٦، و أصبح يعرف بإسمه الثوري عبد القادر المالي ، عين مراقبا عاما لشؤون الولاية التاريخية الخامسة سنة ١٩٥٧ ثم أصبح ملحقا بقيادة اركان الغرب ، و بعد إنشاء القيادة العامة لأركان

الجيش عينه العقيد هواري بومدين مساعدا له ، أنتخب عضوا في المجلس التأسيسي ثم عين وزيرا للسياحة في حكومة أحمد بن بلة سنة ١٩٦٢ ، و في السنة الموالية بعد تعديل وزارتي أسندت له حقيبة الشؤون الخارجية ، تمت تزكيته في أول مؤتمر لحزب جبهة التحرير الوطني يعقد داخل الوطن في أبريل سنة ١٩٦٤ في اللجنة المركزية ، بعد التغيير الذي حصل في ١٩ جوان سنة ١٩٦٥ أصبح عضوا في مجلس الثورة و حافظ على موقعه كوزير للشؤون الخارجية.

وقد بدأت قوة جماعة وجدة في تصاعد و نفوذها يتزايد بعد تعيين زعيمها و منظرها العقيد هواري بومدين قائدا لأركان الجيش ، و لعبت دورا كبيرا في حسم الصراع بعد إسترجاع السيادة الوطنية حول الخيارات الكبرى للدولة من الناحية السياسية في مؤتمر طرابلس ، و فرضت الأمر الواقع بالقوة بإستعمال ذراعها العسكري المتمثل في جيش الحدود الذي دخل الى العاصمة و إستولى على السلطة بالقوة ، ثم سلمها على طبق من ذهب الى مرشح الجماعة الرئيس أحمد بن بلة ، و من المفارقات العجيبة في موضوع جماعة وجدة هو طبيعة علاقتها كتكل مع ابو المخابرات الجزائرية العقيد عبد الحفيظ بوصوف ، الذي كان متواجدا بمدينة وجدة المغربية و كان حريصا على مراقبة ما يحدث حوله بدقة كبيرة ، خاصة و أن علافته الشخصية بجميع أعضاء الجماعة كانت أكثر من حميمية إن لم نقل أنه يعد بمثابة الأب الروحي لضباط جيش التحرير الذين قضوا مرحلة مهمة من حياتهم العسكرية بالمغرب الشقيق ، لكن أغلب الظن أن العقيد بوصوف كان على علم بكل تحركات و مخططات الجماعة ، و يعتبر موقفه الداعم لتولي العقيد هواري بومدين قيادة الأركان و تأييده للتصحيح الثوري، أكبر دليل على تعاطفه على الأقل مع هذه الجماعة التي تأكلت تدريجيا بعد خلافات حادة و جوهرية حول أهم الخيارات الإيديولوجية و الإقتصادية التي تبناها العقيد هواري بومدين بعدما أصبح رئيسا للدولة و هي نفس الخيارات التي تمت الموافقة عليها بإجماع في مؤتمر طرابلس ، لكن ماهي علاقة الضابط مسعود زقار بجماعة وجدة ؟ هل كان دوره فقط هو ضمان التمويل للجيش و تزويده بالأسلحة المستوردة و المصنوعة محليا في مصنع سري ؟ أم أن نشاطه الإقتصادي الذي سخر جزء كبيرا منه لتغطية نفقات جيش الحدود بصفة عامة و مجموعة وجدة بصفة خاصة ، كان يخفي وراءه نشاطا إستخباراتيا موازيا لنشاط مخابرات الجيش و مخابرات العقيد بوصوف ؟ قد يكون التاريخ في بعض الأحيان ظالما و أكثر قساوة من الظروف و طبيعة الحياة عندما تذكر المصادر جماعة وجدة دون أن تذكر الضابط مسعود زقار الذي سخر نفسه و ماله للثورة و للوطن ، و ظل وفيا لمبادئه ، و لم يغير المعطف مع تغير الفصول، و حسب إتجاهات الرياح .

— سيمات و إتجاهات

عند تحليل طبائع و خلفيات جماعة وجدة الإجتماعية و الثقافية و السياسة ، و تحليل شخصياتهم و افكارهم و مواقفهم ، نجد ان هناك تباينا كبيرا و إختلافات جوهرية بينهم تحول دون إنسجامهم الكلي أو إتفاقهم على الحد الأدنى من الخيارات و المواقف ، وكل ما كان يجمعهم هو العدو المشترك ، و المصير الواحد ، و لذلك بقيت تلك الخلافات دفيئة الصدور و لم تتمكن من الظهور سوى بعد إنتفاء القاسم المشترك الذي كان يجمعهم و هو زوال الإستعمار الفرنسي ، لذلك برزت خلافات حادة بين اقطاب المجموعة بمجرد تولي احد اعضائها المسؤولية المباشرة في إدارة شؤون الدولة ، فكان الخيار الإشتراكي الذي وافق عليه الجميع في مؤتمر طرابلس كبديل مؤقت عن النظام الإسلامي الذي بشر به بيان أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، و بعض جوانبه التطبيقية على سبيل المثال

لا الحصر، مشكلة شخصية لبعض أعضاء الجماعة و رغم ذلك فهناك مجموعة من العوامل الموضوعية و الذاتية التي ساهمت في تكوين هذه المجموعة التي قامت بدور مفصلي في تاريخ الجزائر الحديث و هي

- أولا المكان: كانت مدينة وجة المغربية بإعتبارها منطقة حدودية مع الجزائر اقرب الأماكن الآمنة نسبيا بالنسبة للجزائريين الذي عانوا من ويلات المستعمر الكافر، حيث شهدت المنطقة موجات متتالية من هجرة الجزائريين منتصف القرن الثامن عشر. إستفرت هناك و حاولت إعادة بناء حياتها و مستقبلها من جديد ، و مع مرور الأيام تكون مجتمع جزائري مصغر قائم بذاته أساسه الطبقة المتوسطة أو ما يعرف بالبورجوازية الصغيرة ، التي قامت بدورها على قواعد إجتماعية متنوعة تتشكل من صغار التجار و الحرفيين و الفلاحين ميسوري الحال تمكنوا من ضمان تدرس أبنائهم في الثانويات و الجامعات، و أصبحت الجالية الجزائرية المقيمة بالمغرب بصفة عامة و مدينة وجة بصفة خاصة هي الحاضنة الطبيعية للنخب السياسية و أحد أهم وروافد الثورة ، فالمكان إذن كان أهم العوامل التي ساعدت على تكوين هذه الجماعة

- ثانيا الزمان: نجاح أية ثورة شعبية ضد الإستعمار مرهون لامحالة بوجود قواعد خلفية تتولى مهمة التكوين و إعداد رجال المقاومة و الثوار، و ضمان التمويل بوقود الثورة من الرجال و المال و السلاح ، و بطبيعة الحال لم تغب هذه الأفكار عن بال منظري الثورة و مفجريها ، و هكذا تشكلت عبر مختلف الدول المجاورة للجزائر قواعد خلفية للثورة في مصر و ليبيا و تونس و المغرب ، و كانت مدينة وجة المغربية هي المقر الفعلي لقيادة الولاية التاريخية الخامسة ، التي تولى إدارتها على التوالي كل من الشهيد العربي بن مهيدي ، ثم خلفه المجاهد عبد الحفيظ بوصوف ثم من بعده العقيد هواري بومدين ، و حسب ما تذكر المصادر التاريخية و ما يمكن إستخلاصه من أرشيف الصور المنشورة فقد كانت منطقة وجة المغربية مع بداية الثورة ملتقى لتجمع أهم قيادات الثورة من الصفيين الأول و الثاني و كانت تحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية الإستراتيجية و القدرة على التمويل بعد القاهرة،

- ثالثا الهدف المشترك: لم يكف لتواجد تلك النخب السياسية و العسكرية و الفكرية في مكان واحد و في زمن واحد بعيدا عن وطن مستعمر مسلوب ، أنتهكت فيه جميع الحقوق الإنسانية ، بمحض الصدفة أو بصفة تلقائية . و إنما جاء ذلك اللقاء الذي قد يكون تلقائيا لأسباب و عوامل كثيرة ذكرنا منها وجود حاضنة شعبية و روافد إجتماعية و إقتصادية ، من أجل التحضير الجيد لمقاومة عنيفة و مستمرة تستفيد من كل التجارب الوطنية و العالمية السابقة ، ولا تتوقف حتى تحقق هدفها الأول و هو رحيل الإستعمار من الأرض و ترك البلد الى أهله يديرونه بطريقتهم الخاصة ، فالجزائر هي أرض للجزائريين و ليست للفرنسيين

- المكان ... و الزمان

في هذه المدينة الحدودية إتقى الجيل الأول للثورة مع الجيل الثاني ، و إجتمع عاملي المكان و الزمان لتكوين النواة الأولى لجماعة سياسية عسكرية كان لها فضل كبير في تصحيح مسار الثورة و إعادته الى سكوته الطبيعية الصحيحة ، و حمايتها من اللصوص و قطاع الطرق الذين حاولوا إختطافها و هي في منرج خطير ، أجل إستعادة أساطير و خرافات قديمة لم يعد منطلق العصر و الواقع يصدقها ، و التشبث بأفكار بالية زرعتها الإستعمار الخبيث في عقولهم ، فجاءت هذه الجماعة في وقتها لتكون

عجلة إنقاذ للثورة و بديلا محتملا لمجموعة الباءات الثلاث ، التي بدأت تتآكل بعدما إستنفذت كل طاقتها في الإستمرار في تحالف غير طبيعي بين رؤيتين متناقضتين ، وقد إجتمعت عدة عوامل و أسباب و ظروف سياسية و عسكرية و إجتماعية، لتجعل من جماعة وجدة ركنا أساسيا في معادلة الثورة ، و مركز قوة ساهم في صناعة الأحداث و توجيهها والتأثير فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، و إذا رجعنا الى تحليل شخصية أعضاء المجموعة تحليلا شاملا تصل الى عدة نتائج

- من حيث الانتماء الجغرافي: تميل الكفة الى منطقة الغرب الجزائري بحكم قربها من الحدود المغربية على الأقل ، حيث كانت ولاية تيارت و سعيدة ممثلة بكل من أحمد قايد ، و أحمد مدغري ، و عبد العزيز بوتفليقة المولود بمدينة وجدة و هو محسوب جغرافيا على ولاية تلمسان ، و كان نصيب منطقة شرق البلاد بعضوين فقط هما العقيد هواري بومدين الذي ينتمي جغرافيا الى ولاية قالمة ، و الشريف بلقاسم من منطقة عين البيضاء بولاية ام البواقي حاليا ، من ناحية التقارب العمري نجد أن أغلب أعضاء الجماعة من جيل الثلاثينيات الذي يعرف في الأدبيات التاريخية و السياسية بالجيل الثاني للثورة ، بإستثناء أحمد قايد الذي ينتمي الى الجيل الأول للثورة بحكم السن على الأقل ، و بذلك تكون جماعة وجدة قد تشكلت من أغلبية الجيل الثاني و إستفادت من حكمة و رزانة الجيل الأول

- إجتماعيا: نلاحظ وجود تقارب كبير في ظروف معيشة أعضاء المجموعة و طفولتهم و فترة من شبابهم ، بإستثناءات قليلة ربما تتجسد في تميز عبد العزيز بوتفليقة بحكم ولادته في مدينة وجدة التي قضى فيها طفولته و جزء كبير من شبابه ميسور الحال نسيبا ، بحيث لم يذق مرارة الحياة تحت ظل الإحتلال ، و نفس الملاحظة يمكن أن تنطبق على أكبر الأعضاء سنا و هو أحمد قايد الذي إستغل هامش حرية النشاط السياسي بذكاء ، و تمكن من التغلغل داخل الإدارة الفرنسية بعد نجاحه في الإنتخابات المحلية و توليه منصب مستشار لمدينة تيارت ، وهي فرصة ثمينة و نادرة قلما تتاح أمام الجزائريين في ذلك الوقت، و بطبيعة الحال فقد ساعدته هذه الوظيفة على التغلغل في أروقة الإدارة الفرنسية و إكتساب خبرة في تسيير الشؤون المحلية و تحسين مستواه المعيشي و تقوية مركزه الإجتماعي ، بالمقارنة مع زملائه في المجموعة ، أما بالنسبة لأحمد مدغري فقد تمكن من مواصلة دراسته و تحصل على شهادة البكالوريا في شعبة الرياضيات سنة ١٩٥٧ أهله للحصول على وظيفة محترمة في قطاع المالية ، بينما تتقارب الوضعيات الإجتماعية لكل من هواري بومدين والشريف بلقاسم بحكم إنتمائهما الى عائلتين فقيرتين ، في حين يمكن تصنيف أحمد قايد و أحمد مدغري و بوتفليقة ضمن الطبقة الجزائرية المتوسطة التي تقترب شيئا فشيئا من البورجوازية الصغيرة ، و تبدي مواقف متحفظة من الخيار الإشتراكي الذي تشبث به العقيد هواري بومدين و تبناه كخيار تكتيكي و حيد مناسب لظروف البلاد في ذلك الوقت ، لتحقيق هدفين إستراتيجيين على الأقل و هما التنمية الشاملة و المتوازنة ، و العدالة الإجتماعية

- ثقافيا: تبدو جماعة وجدة غير متجانسة ثقافيا وفكريا في التصورات والمنطلقات الفكرية و في منهج تحقيق الأهداف التي يتفق حولها الجميع ، و هي الإستقلال أولا، ثم بناء الدولة ذات السيادة، و تحقيق التقدم و الرفاهية ، حيث يسيطر التيار الفرنكوفوني على جميع مفاصلها بنسبة ٤ من ٥ لكن بدرجة لم تكن تسمح له بإحتكار صناعة القرار و التحكم فيه ، و هي صلاحية إحتفظ بها لنفسه العقيد هواري بومدين بحكم سطرته على الجيش ، و هو العنصر المعرب الوحيد المحسوب

على التيار العربي الإسلامي ، و بعض المصادر التاريخية تصنفه ضمن تيار جمعية العلماء في حين نجد أن الأعضاء الآخرين تلقوا تعليما متوسطا و ثانويا في مدارس و ثانويات فرنسية، و تشبعوا بالثقافة الفرنسية التي تحمل من دون شك أفكارا و قيما مغايرة للقيم و الأفكار و التصورات التي تصنعها الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تحرص على تلقينها المؤسسات التربوية الجزائرية أو المصرية، وربما تكون هذه التباينات الثقافية هي التي ادت بعد إسترجاع السيادة الوطنية و الشروع في بناء الدولة الى بروز خلافات جذرية بين أعضاء المجموعة التي لم تتمكن من الصمود أو مقاومة توجهات ثقافية وفكرية تبناها النظام الجزائري مباشرة بعد إسترجاع السيادة الوطنية كملف التعريب و التعليم الإسلامي ، و مكانة اللغة الفرنسية في جزائر الحرية و الإستقلال كانت هذه القضايا الحاسمة تبدو للعقيد هواري بومدين في ذلك الوقت طبيعية و ضرورية، في حين كانت بالنسبة لبقية أعضاء المجموعة غير منطقية و سابقة لأوانها و لا تتماشى مع الواقع.

- الخلفية السياسية و العسكرية: بتحليل السيرة الذاتية لأعضاء المجموعة نلاحظ أن أكبرهم سنا و هو المجاهد أحمد قايد قد إستفاد من تجربة سياسية بعد إنخراطه في صفوف الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و هو تنظيم سياسي جاء على أنقاض حركة أحباب البيان و الحرية التي تشكلت من تحالف حزب الشعب و جمعية العلماء و المثقفين أو النخبة المفرنسة و هو محسوب على التيار الليبرالي الفرنكوفوني، أهله فيما بعد للفوز بمنصب مستشار لمدينة تيارت من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٤ و هي فترة سمحت له باكتساب تجربة في تسيير الشأن المحلي في ظروف صعبة و غير متوازنة من الناحية الإجتماعية و الإقتصادية بين شعب جزائري فقير، و جالية فرنسية تستفيد من خيرات البلاد و من كل الإمتيازات ، و من الناحية العسكرية إستفاد أحمد قايد من دون شك من الدروس النظرية و التطبيقية التي تلقاها أثناء تأديته الخدمة العسكرية تحت الراية الفرنسية ، لكن تأخره في الإلتحاق بصفوف الثورة منذ إنطلاق شرارتها الأولى يطرح عدة تساؤلات مشروعة ، أما بالنسبة لأحمد مدغري و شريف بلقاسم و عبد العزيز بوتفليقة فلم تعرف لهم أية خلفية سياسية أو عسكرية قبل إندلاع الثورة بحكم السن على الأقل حيث نجد أن اصغر أعضاء المجموعة و هو عبد العزيز بوتفليقة كان عمرة في أول نوفمبر ١٩٥٤ تاريخ إنطلاق أول رصاصة ضد العدو الفرنسي الكافر ١٧ سنة ، و بصفة عامة فإن عدم معرفة الخلفية السياسية لمعظم أعضاء المجموعة نتيجة لشح المعلومات و غياب مصادر دقيقة و موثوقة ، و ترفع العديد منهم عن كتابة مذكراتهم لا يعني بالضرورة أنهم إنخرطوا في صفوف الثورة هكذا من دون وعي بطبيعة الثورة و تكاليفها ، خاصة و أن رواد الحركة الوطنية بشقيها الإصلاحية و السياسية قد ساهموا منذ بداية القرن العشرين في إعداد التربة الخصبة و تهيئة أرضية الثورة ، و من دون شك فإن شباب الثورة و شيوخها من كل الأجيال قد تأثروا بأدبيات و مبادئ حزب الشعب و جمعية العلماء ، و يبقى الإستثناء الوحيد في المجموعة هو العقيد هواري بومدين الذي جمع بين الثقافة الأكاديمية العربية و اللغات الأجنبية و التكوين السياسي المكثف و التدريب العسكري . و هي عوامل ساعدته على الإعداد الجيد لشخصيته و الإستفادة من تكوين شامل و متعدد أهله فيما بعد لقيادة الجيش ثم إدارة شؤون الدولة ، زيادة على وضوح إنتمائه السياسي الذي كشف عنه بكل عفوية للشيخ الإبراهيمي في القاهرة و هو حركة إنتصار الحريات الديمقراطية وريثة حزب الشعب، و هو التنظيم السياسي الجزائري الوحيد في ذلك الوقت الذي كان يتبنى أهم المطالب الشرعية للشعب الجزائري و يعلنها بكل صراحة ووضوح ، بالتوازي مع نشاطات جمعية العلماء في مجال

الإصلاح الفكري و الثقافي و الروحي ، و على العموم فإن الخلافات الأيديولوجية بين عناصر المجموعة بالنظر إلى إختلاف مصادر المعرفة و طبيعة التكوين القاعدي و الخلفيات السياسية الفكرية ، لم تكن عائقاً أمام توحيد المجموعة لتحقيق مصلحة عامة مشتركة و هدف وطني و هو إستعادة السيادة الوطنية على الأرض بمختلف الوسائل الممكنة و مهما كان الثمن أو التضحيات ، و مهما تباينت التوجهات السياسية بين أعضاء الجماعة فهي لم تتجاوز التيارات الثلاثة الكبرى التي كانت سائدة قبل الثورة و هي . جمعية العلماء ، حزب الشعب ، حركة النخبة المفرنسة .

- جماعة وجدة .. بعد الإستقلال

ليس من السهولة بمكان المجازفة بالقول أن جماعة وجدة كانت تخطط منذ إلتئام شملها في مدينة وجدة ، للسيطرة على الحكم و تحييد مختلف أجنحة الثورة الأخرى و إقصائها بمجرد إسترجاع السيادة الوطنية على الأرض ، كما يتردد في عدة تحليلات منشورة عبر الكتب و الجرائد و الأنتارنات للأسباب التالية

. لا أحد من المجموعة و مهما بلغت درجة تفاؤله كان بإمكانه التكهن بتحقيق نصر محتمل و قريب على الجيش الفرنسي ، أو على الأقل تحديد مدة الحرب ، و قد روي عن العقيد هواري بومدين و هو أهم أركان المجموعة أنه لم يكن ينتظر أن ينهار النظام الإستعماري في الجزائر بهد سبع سنوات و نصف من المقاومة المسلحة ، و في إطار حرب العصابات، و أن مجموعات متفرقة في الجبال لا تملك سوى أسلحة بسيطة يمكنها قهر الجيش الفرنسي ، وكان يعتقد أن الحرب مع فرنسا بالجزائر ستطول أكثر مما يتصوره العقل ، بحكم الواقع و تفاوت الإمكانيات العسكرية و المادية و الدبلوماسية بين الطرفين

. تعطش مجموعة وجدة الى السلطة لم يكن بالشكل التي تسوق له بعض التحاليل و الكتابات و الشهادات التاريخية بدليل أنها دعمت فرحات عباس و هو شخصية وطنية لم تتخل عن مبادئها و مواقفها الإندماجية حتى بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، وهو محسوب على تيار فرتكوفوني ذاتب في الحضارة الفرنسية و مدافع شرس عن القيم الغربية بشكل عام ، على حساب شخصيات وطنية أخرى تقترب معها في كثير من التصورات و المواقف لرئاسة الحكومة المؤقتة ، كما كانت ترى أن قيادة البلاد في تلك الظروف تتطلب وجود شخصية وطنية تاريخية تحوز على الإجماع ، تكون قادرة على لم الشمل و إحتواء الجميع ، و وجدت ضالتها في أحمد بن بلة فسلمته الحكم على طبق من ذهب ، بعدما رفض محمد بوضياف هذا العرض السخي ، لإرتباطه بتحالف مسبق مع العقيد القبائلي كريم بلقاسم ضمن مشروع سياسي مغاير لتطلعات الشعب الجزائري المسلم ، ولحسابات سياسية و همية خاصة به ، فقد كان بإمكان جماعة وجدة ترشيح شخصية وطنية تاريخية من تشكيلتها لرئاسة الجمهورية أو إستلام الحكم مباشرة بعد وصول آخر جندي من جيش الحدود الى العاصمة ، و السيطرة عليها ، لكنها فضلت أن تكون في صف الإجماع الوطني الذي توافق على خيارات وطنية كبرى في مؤتمر طرابلس ، و قرر الشروع في بناء مؤسسات الدولة بصورة تدريجية وفق أسس شرعية منبثقة من الإرادة الشعبية ، و عبر إنتخابات تتوفر فيها الحد الأدنى من النزاهة و الشفافية ، فكانت البداية بإعادة هيكلة الحزب ، ثم إجراء إنتخابات المجلس الوطني التأسيسي الذي إنبثقت عنه حكومة منتخبة ، ثم الإنتخابات الرئاسية التي فاز فيها المجاهد أحمد بن بلة، و في تقديري أن هذه الخطوات الجريئة ، كانت تعبر صراحة عن حسن نية الجماعة في دعم بناء دولة جزائرية حديثة

الفصل الثاني (2)

التصحيح الثوري

حتمية سياسية أم مغامرة عسكرية

فرضت الظروف السياسية و الأمنية و الإجتماعية تدخلا عسكريا للجيش ، لوضع حد لفترة طويلة من الفوضى لم تكن البلاد تتحمل المزيد منها . و قد شهدت فترة ما بعد التصحيح الثوري و هي لحظات صعود جماعة وجدة إلى واجهة الأحداث و قيادتها للبلاد بصفة مباشرة ، بعدما كانت تشكل في وقت سابق سلطة فعلية أو حكومة ظل خفية حاولت إدارة لعبة الحكم من وراء ستار و عبر الكواليس و التحكم في مختلف التوازنات عن بعد. من خلال سياسة العصا و الجزرة و الترغيب و التهيب ، متخفية وراء شرعية ثورية ثبت فيما بعد أنها لم تتمكن من إحتواء الثورة المضادة التي قادها شخصيات وطنية تتقاسم مع الرئيس أحمد بن بلة نفس الشرعية و تنازعها السلطة ، من خلال مجلس الثورة التي جمع كل الضباط المقربين من الجماعة ، حيث شهدت خلافات حادة بين النواة الصلبة للمجموعة حول أهم الخيارات التي تبناها نظام العقيد هواري بومدين و تتعلق بملفات هامة نذكر منها على سبيل المثال قضية التعريب ، و مكانة الإسلام و موقعه في نظام الحكم ، التأميم و الثورة الزراعية ، التعريب و الموقف من اللغة أو الثقافة الفرنسية ، ما يسمى بضباط فرنسا و هل يتم إدماجهم في صفوف الجيش الوطني الشعبي ووضعهم تحت رقابة أمنية ، أم تسريحهم و تحويلهم الى وظائف مدنية غير مؤثرة ؟ و قضايا أخرى لم تكن محل إجماع داخل النواة الصلبة للحكم ، بما في لك تطبيقات الاشتراكية . و من خلال قراءة متأنية لشهادات العديد من الشخصيات التي كانت حاضرة في الإجتماعات الأولى لمجلس الثورة كالرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد رحمه الله ، يمكن أن نستنتج بأن تركيبة مجلس الثورة لم تكن منسجمة سياسيا و فكريا ، و أن أغلبية الأعضاء كانوا يغردون خارج السرب، بإستثناء عدد قليل منهم كان يبدي مواقف مؤيدة لتوجهات العقيد هواري بومدين السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ، و هي مستلهمة من أرضية مؤتمر طرابلس الذي تمت الموافقة عليه بأغلبية محترمة من طرف المجلس الوطني للثورة ، و هو أعلى سلطة سياسية في البلاد في ذلك الوقت ، وعدد كبير منهم لم يعد يحضر إجتماعات مجلس الثورة و إذا حضر كان في حالة سكر متقدمة لا يقوى حتى على فتح باب سيرته او إدارة مفتاح القيادة ، بعدما يتسوا من محاولاتهم المستميتة في تغيير مواقف العقيد هواري بومدين من أهم القضايا المطروحة للنقاش و التي كان يعتبرها قضايا حياة أو موت ، و إن كان قد ساير المجموعة في قضايا أخرى تعتبر تنازلا غير مبرر من طرفه على حساب الوطن ، و هي القضايا التي حسمت قبل الثورة من طرف الشباب الثوار و أكدها بيان أول نوفمبر بعبارات صريحة و مفهومة للجميع و لا تحتمل أي لبس أو غموض أو تأويل، و تأجيله الحسم في تحديد فلسفة نظام الحكم و مرجعيته الى وقت لاحق ، لكن ماهي حقيقة ما يسمى في الأدبيات التاريخية و الإعلامية بالتصحيح الثوري ؟ ما هي أسبابه و دوافعه و مبرراته ؟ كيف حدث ؟ من هم عناصر الخلية السرية أو الدائرة الضيقة التي خططت للعملية و كيف تم تنفيذها ؟ هل كان التصحيح الثوري هو الحل الأمثل و الخيار الوحيد أمام جماعة وجدة للحد من الفوضى السياسية و الأمنية التي عمت مختلف أرجاء الوطن ، و توقيف تنامي ثورات مضادة تسعى لأقتلاع جذور النظام بشقيه المدني و العسكري وإمتداداته السياسية و حلفائه من جماعة وجدة على وجه الخصوص ؟ كيف تهاوى نظام بن بلة بتلك السهولة و من دون مقاومة تذكر؟ و هو الذي كان يملك من دون شك شبكة واسعة من العلاقات السرية و المعلنة مع زعماء العالم العربي و أوروبا الشرقية ؟ و أخيرا هل كان التصحيح الثوري حتمية سياسية و ضرورة وطنية أملتها حالة الإنسداد الوشيك في أفق النظام الحاكم ، و ظهور أعراض التفكك عليه ، نتيجة للفوضى المقصودة التي

ساهم في إنتشارها بشكل مريب رفقاء الأمس ، و شركاء النظام ، وبلغت درجة كبيرة من الخطورة ، و تجاوزت كل الخطوط الحمراء ، و إنتقلت المعارضة من حالة الممكن الى حالة المستحيل ؟ و يكفي تمرد شخصيات عسكرية ذات رتب عالية في الجيش ، الأول في منطقة القبائل و الثاني في الصحراء ؟ و خروج كلا من آيت أحمد و بوضياف عن النظام بطريقة هوليودية . لتجعل قادة النظام الحاكم و منظره و كل الغيورين على الوطن يعيدون حساباتهم من الصفر ، و يبررون التضحية بالجميع من أجل الحفاظ على الوطن ؟ أم كان مجرد مغامرة عسكرية غير مضمونة النتائج لم تختار الزمان و المكان المناسبين ، و تعبيرا عن رد فعلي ذاتي و طبيعي ضد تهديدات مبطنة و محتملة تلقفتها جماعة و جدة عبر رسائل مشفرة من طرف نظام بدأ يتغول و يكشر عن أنيابه ليلتهم أصدقائه قبل خصومه ؟ هذه الأسئلة و أخرى كثيرة تفرضها طبيعة الأحداث . سنحاول الإجابة عنها بكل موضوعية من خلال محاور الفصل التالي .

أجواء و إرهابات

تميزت فترة حكم الرئيس أحمد بن بلة بتراجع عدة شخصيات ثورية و وطنية من الوزن الثقيل ، عما تم الإتفاق حوله في مؤتمر طرابلس الحاسم الذي حدد المحاور الكبرى للدولة ، و إجراءات الإنتقال من مرحلة ما بعد الثورة الى مرحلة تأسيس و بناء الدولة وفق مقاربات تنظيمية معقولة و عبر الإرادة الشعبية، و كانت البداية بطبيعة الحال من إنتخابات المجلس الوطني التأسيسي التي شارك فيها كمرشحين الجميع و من دون إستثناء ، و منه إنتقلت أول حكومة جزائرية، ثم جرت الإنتخابات الرئاسية التي تقدم لها شخصية وطنية كانت تحظى بإجماع الطبقة السياسية بحكم شرعيتها الثورية، و رصيدها النضالي الطويل ، و شعبيتها العارمة في الداخل و الخارج ، و دعم غير مشروط من اقوى نظام إقليمي في ذلك الوقت و هو مصر، و قد نالت حكومة الرئيس أحمد بن بلة ثقة نواب الشعب بأغلبية مطلقة ، لكن و مع وضع اللمسات الأولى لمشروع الدولة الجزائرية الحديثة ، أعلن العقيد القبائلي محند أولحاج تمردا عسكريا على النظام و تموقع مع كتيبته في جبال جرجرة ، تحسبا لأي تغيير مفاجيء في أعلى هرم السلطة يسمح له بالإنقضاض على الحكم و تكرار تجربة جيش الحدود ، و كانت هذه الحركة العسكرية أول ضربة قاسية تلقاها نظام أحمد بن بلة المدعوم من طرف جماعة و جدة و الجيش ، و أول ردة سياسية عن الإجماع الوطني الذي حصل في مؤتمر طرابلس ، و بالرغم من أن العقيد أولحاج لم يقدم على أية خطورة عملية مباشرة ضد النظام ، إلا أن رمزية التمرد تحمل عدة دلالات على رفض صارخ للنظام و توجهاته العامة، و مع بداية الإعداد لمشروع الدستور ظهرت في الأفق خلافات و همية و صراعات مفتعلة ، و حاولت كتلة المعارضة داخل البرلمان و هي أقلية لا يتجاوز عدد أعضائها ١١ عنصرا في مقابل أكثر من ١٠٠ نائب مساند للحكومة ، تعطيل مشروع الدستور لأسباب و مبررات إيديولوجية تتعلق بالهوية الوطنية و الإنتماء الطبيعي الى الفضاء العربي الإسلامي ، ثم بدا مسلسل مقاطعة النظام ، حيث رفض بوضياف جميع المناصب التي عرضت عليه ، كالترشح لمنصب رئاسة الجمهورية ، ثم وزيرا للشؤون الخارجية ، ثم جاءت الإستقالات المتتالية من مناصب المسؤولية ، الأمانة العامة للحزب بالنسبة لمحمد خيضر، و رئاسة المجلس الوطني التأسيسي بالنسبة لعباس فرحات ، و أخير إستقالة حسين آيت أحمد من البرلمان ، و تحولت معارضة هذه المجموعة المحسوبة على التيار البربري الفرنكوفوني شيئا فشيئا الى معارضة شخصية لرموز الحكم في ذلك الوقت ، و هم الرئيس أحمد بن بلة و وزير الدفاع هواري

بومدين ، ثم تقلصت مطالبهم الى الحد الأدنى ، و إكتفوا بمطلب رئيسي و هو التخلص من قيادة الجيش ، مما يعني صراحة أن مشكلتهم الأساسية لم تكن معارضة بناءة لخيارات سياسية بقدر ماكانت قضيتهم الرئيسية هي ضرورة التخلص من قيادة الجيش و تفكيك النواة الصلبة لنظام الحكم ، بدليل أن فكرة تمديد صلاحيات حزب جبهة التحرير و تبني الخيار الإشتراكي كمنهج للتممية الوطنية لم تكن محل خلافات كبيرة في مؤتمر طرابلس ، غير أن الحقيقة التي كشفت عنها شهادات صناعات الحدث ، أن حسين آيت أحمد كان يخطط منذ إستعادة السيادة الوطنية للإستيلاء على السلطة بالقوة و هو الذي أقتع العقيد محند أولحاج بالتمرد و التمركز في منطقة القبائل بقوات إحتياطية يمكن إستعمالها في حالة الضرورة القصوى ، سواء بالهجوم على العاصمة و الدخول في حرب أهلية مع الجيش النظامي ، أو الانفصال و إعلان منطقة القبائل دولة مستقلة ، و قد حاول حسين آيت أحمد إستمالة رموز المعارضة المقربة من توجهاته السياسية و تمكن من جر محمد بوضياف و حليفه العقيد كريم بلقاسم ، و بطبيعة الحال وجد مساندة قوية من طرف رفيق دربه في القاهرة و في السجن الفرنسي محمد خيضر، و لم يجد زعيم النخبة الإندماجية عباس فرحات أحسن فرصة من هذه ليعلن تضامنه مع مجموعة آيت أحمد ، و هكذا بدأت في جزائر الإستقلال أول ثورة مضادة خرجت من رحم النظام و حاولت الضغط عليه بمختلف الوسائل المشروعة و غير المشروعة و شهدت البلاد حالة من التشنج و الفوضى السياسية و الأمنية ، و تمركز رموز الثورة المضادة في مدينة تيزي وزو و أعلن زعيمهم تمردا عسكريا إتخذ من جبال جرجرة منطلقا له ، لكن فشل قادة الثورة المضادة في إستمالة العقيد الشاب محمد شعباني كخطوة أساسية لتقسيم الجيش أو تحييد جزء منه على الأقل ، أربك المتمردون الذين دخلوا في معارك سياسية و عسكرية خاسرة ، كانت نتائجها سلبية و جد وخيمة على الوطن و الشعب ، إجهاض تجربة ديمقراطية شعبية واعدة ، و القضاء على أهم المؤسسات الشرعية الحزب ، الدستور، البرلمان، الحكومة ، و من جهة أخرى كانت معركة خفية تجري على نار هادئة داخل أروقة النظام بدأت فصولها بمحاولات مستميتة من الرئيس أحمد بن بلة لفك ما كان يعتبره حصارا مضروبا عليه من طرف جماعة وجدة التي أتت به الى سدة الحكم ، حيث بدأ في التخفيف من وطأتها بتقليص نفوذها و إمتدادتها في مفاصل النظام ، من خلال عزل الوزراء المحسوبين عليها و المقربين من وزير الدفاع هواري بومدين ، فكانت البداية بأحمد مدغري و النهاية بعبد العزيز بوتفليقة ، ثم جاءت فكرة مؤتمر جديد لحزب جبهة التحرير الوطني أرادته الرئيس على مقاسه فكرة و تحضيرا و أوراق عمل و نتائج ، و خرج بما سمي بميثاق الجزائر أفريل ١٩٦٤ و كانت الطامة الكبرى التي أفاضت الكاس و أخرجت العقيد هواري بومدين عن هدوءه و صمته الطويل ، هو بالدرجة الأولى مشروع القوات المحلية الموازية للقوات النظامية . جيش و شرطة . و هو مشروع إستراتيجي في منطلق رئيس بدأ يشعر بالضيق و العزلة و أصبح يرى نفسه في مرآة الواقع كما هي ، بعد زوال نشوة الإنتصار و وهج الثورة ، مجرد واجهة لجماعة الظل ، فحاول القيام بخطوات إستباقية لبيسط نفوذه على النظام و السيطرة على مفاصل الحكم ، و بالغ كثيرا في الأمر حتى منح لنفسه سلطة الإشراف على تسع ٩ وزارات كاملة ، من بينها وزارات السيادة ووزارات ذات طابع تقني و أخرى لها علاقة بالجمهو، و حسب رواية عدد من الشخصيات الوطنية التي حضرت مؤتمر أفريل ٦٤، فقد كان مشروع القوات المحلية الذي إقتصره الرئيس أحمد بن بلة كجهاز أمني جديد مواز للقوات النظامية الأخرى ، ليتولى نظريا و كما سوق

له مكافحة أعداء الثورة . و لكن وظيفته السرية هي حماية الرئيس من خصومه المحتملين ، و ثد أية محاولة إنتقالية محتملة ، في حين كانت رؤية العقيد هوارى بومدين واضحة بشكل جيد و مبنية على قناعة وطنية و سياسية راسخة ، و نظرة أمنية إستراتيجية بعيدة المدى ، تعتبر مجرد وجود قطعة سلاح واحدة خارج إطارها الرسمي و هو القوات النظامية ، مشروع حرب أهلية ، فكان التصويت على المشروع داخل المؤتمر بمثابة إستفتاء على الرجلين بن بلة و بومدين و في النهاية مشت رياح المؤتمر بطبيعة الحال مع من يملك القوة و هي السلطة الحقيقية والفعلية و سقط مشروع الرئيس في الماء ، و بدرجة ثانية محاولة التوقيع على إنفاق مع زعيم المتمردين القبائل حسين آيت أحمد و الإستجابة إلى أهم مطالبه التعجيزية التي رأتها القيادة العسكرية تنازلا كبيرا من النظام يضر بالسيادة الوطنية و يفقد الدولة هيبتها على المديين المتوسط و البعيد ، زيادة على المشكلة الداخلية للنظام في حد ذاته و هي تصاعد الخلافات بين بن بلة و بومدين حول العديد من القضايا المصيرية و رغبة الرئيس في وضع حد لوجع الرأس و التخلص بصفة نهائية من جماعة وجدة ، من خلال إطلاق آخر رصاصة عليها بإقالة وزير الدفاع من منصبه ، و في تقديري أن سلسلة الأخطاء المتتالية للرئيس و عجزه عن إحتواء الثورة المضادة ، و ضعف حصيلة الإنجازات على الأرض بالمقارنة مع الوعود و الإمكانيات المتوفرة و ضخامة الإرث الإستعماري ، لم تكن سببا مباشرا لمجرد التفكير في عزله لا لشيء سوى لأن أحمد بن بلة يمثل الجماعة النافذة التي كانت تدير الحكم من وراء حجاب ، و كان خيارها وحصانها الذي كانت تراهن عليه في الداخل و الخارج ، لذلك كانت تفكر ألف مرة قبل الإقدام على فك إرتباطها به، و كانت تنتظر المبادرة من الطرف الآخر فتكون هي في موقف دفاع مشروع عن النفس و ليست في حالة هجوم ، وهو موقف وضع في الإعتبار ردود أفعال محتملة و خضع لحسابات إستراتيجية دقيقة ، فتركت الأمور تسير على طبيعتها لمعرفة الى أين تتجه السفينة ، و ستدخل في اللحظة الحاسمة عندما يقترب منها الخطر ، و يصبح الموضوع قضية حياة أو موت ، و يتحول حلفاء الأمس القريب إلى خصوم محتملين يجب التخلص منم بأي ثمن ، و الزج بهم في السجون و المعتقلات و التتكيل بهم كما صنع مع عدد من رموز الثورة المضادة ، و يصبح خصوم الأمس القريب الذين زجوا بالبلاد في حرب أهلية جدد يملون شروطهم و مطالبهم التعجيزية و يلقون كل الترحيب و القبول لمجرد أنهم ابدوا إستعداد للعمل معه كرئيس ، و عندما يصبح للكركسي هذه الجاذبية الطاغية التي تغرق صاحبها في الأنانية و حب الذات و الإستعداد للتضحية بكل الحلفاء و الأصدقاء و التحالف حتى مع الشياطين ، من أجل ضمان البقاء في السلطة و المحافظة على نفس المواقع ، ترجع الأمور الى نقطة الصفر و المربع الأول الذي إنطلق منه قطار الدولة ، و يصبح رأس النظام قائدا لثورة مضادة تستهدف تطهير النظام من الداخل و تقديمه هدية الى خصوم الأمس القريب ، إزاء هذه الأوضاع المعقدة و الحالات المتشعبة، التي تصل فيها الموس الى الرقبة كما في التعبير الشعبي ، تتحول القضية برمتها الى صراع شخصي تلعب فيه الذاتية دورا أكثر من المطلوب، و يكون الفوز و الإنتصار في الغالب لمن يملك القوة العسكرية على الأرض ، ما حصل بين الرئيس أحمد بن بلة و حلفائه من جماعة وجدة قد يكون بداية ثورة داخلية سعى الى تحريكها الرئيس أحمد بن بلة ، بهدف قلب الطاولة على حلفائه و بناء تحالفات جديدة ، لكنه لم يصل الى تحقيق هدفه و إنقلب السحر على الساحر ، بالنظر الى فقدانه أهم أدوات نجاح إدارة الصراع الداخلي ، و هي القوة العسكرية على الأرض ، و لقد ذكرنا بإسهاب كبير أسباب و مبررات الإنتقلاب على الرئيس بن

بلة في عنوان سابق من هذه السلسلة ، و هي بإختصار شديد، عجز الطبقة السياسية عن التحول بسرعة من الطبيعة الثورية المتصارعة مع الإستعمار الى رجال الدولة ، و صعوبة الإنتقال من مرحلة ما بعد الثورة ، الى مرحلة إعادة بناء الدولة من الصفر ، ولم تكن القضية أبدا تتعلق بخلافات إيديولوجية و صراعات سياسية مصدرها تباين الرؤى و التصورات الفكرية و السياسية ، لأن هذه المسألة قد تم حسمها بصورة نظرية في مؤتمر طرابلس و تم الموافقة بإجماع على تمديد صلاحية جبهة التحرير لقيادة مرحلة البناء و التشييد ، و تبني الإشتراكية كخيار إقتصادي تكتيكي و براغماتي أملته عدة معطيات جيوسياسية ، و بغض النظر عن الصراعات السياسة المفتعلة من طرف رموز الثورة المضادة ، و التي كانت تهدف من دون شك الى زعزعة النظام و إرباك القيادة السياسية و تعطيل مسيرة البناء ، التي بدأت بشكل بطيء بالنظر الى تعدد المعضلات الإقتصادية و الإجتماعية الناتجة بطبيعتها عن طول فترة الإحتلال و عن سنوات الحرب المدمرة ، فقد كان النظام متماسكا بشكل عفوي ، و حاول منذ إستعادة السيادة الوطنية على الأرض تقسيم ثمار الثورة بشكل عادل نسبيا على الجميع نخبة و شعبا ، بدليل تواجد نفس الشخصيات التي تبنت معارضة راديكالية للنظام تطورت فيما بعد الى إعلان التمرد العسكري ، في أهم مواقع صناعة القرار و الموقف ، محمد خيضر على رأس الأمانة العامة للحزب الحاكم ، عباس فرحات رئيسا للمجلس التأسيسي ، حسين آيت احمد عضوا في البرلمان عن دائرة العلمة ، أما محمد بوضياف فقد رفض كل المناصب و الحقايب الوزارية التي عرضت عليه ، و قد نجح النظام في التحكم بصورة إستعجالية في الوضع السياسي و الأمني من خلال تحييد رموز المعارضة ، كما نجحت قوات الجيش في القبض على زعيم المتمردين القبائل حسين آيت أحمد و تقديمه حيا يرزق الى الرئيس أحمد بن بلة ، لكن الرئيس أحمد بن بلة على ما يبدو لم يحاول التشبث بحلفائه من جماعة و جدة الذين وقفوا بجانبه و ساندوه ، و حاولوا تذليل كل العقبات التي وضعت في طريقه من طرف خصوم النظام ، و بدا في مسلسل تطهير النظام من الداخل و إستهداف نفس الجماعة التي قدمت له الحكم على طبق من ذهب ، ويمكن حصر أهم الإجراءات التي إتخذها الرئيس أحمد بن بلة لتطهير النظام من الداخل ، و التي أعتبرت من طرف جماعة و جدة بمثابة مخطط لتصفية وجودها و تحييدها في النقاط التالية

. إبعاد أحد أهم عناصرها و هو أحمد مدغري من وزارة الداخلية كخطوة أولى كانت بمثابة بالون إختبار مدى قوة أعصاب الجماعة و إنتظار رد فعلها .

. إبعاد عبد العزيز بوتفليقة من منصبه بالحكومة و تعيينه في منصب شرفي بالرئاسة كمؤشر آخر على نية الرئيس في قطف رؤوس الجماعة واحدا بعد الآخر .

. تحول الإتجاه نحو المؤسسة العسكرية ، حيث قام الرئيس بتعيين قائد جديد لأركان الجيش دون الإلتزام بالإجراءات البروطوكولية الشكلية ، و هي إستشارة وزارة الدفاع الذي كان في زيارة رسمية الى القاهرة .

. إستحواده على تسع ٩ حقايب وزارية كاملة ، و هي سابقة خطيرة لم تحدث في أي نظام من قبل بالنظر الى صعوبة التحكم في الإرث الإستعماري الشائك ، و مخلفات سنوات طويلة من الإحتلال، و سبع سنوات من حرب مدمرة ، تحتاج من دون شك الى تقاسم الأعباء و إشراك كل الطاقات الوطنية من أجل التحكم في الوضع و المساهمة في تسيير المرحلة .

. إبعاد كل العناصر المحسوبة على العقيد هواري بومدين من التحضيرات التي كانت جارية لعقد

أول مؤتمر لجبهة التحرير الوطني ، بعد الإستقلال ، و محاولة توجيه الأشغال في إتجاه يسمح له بتحييد كل مراكز القوة .

. مشكلة القوات المحلية التي لم تكم محل إتفاق مسبق مع قيادة الجيش و التي حاول الرئيس أحمد بن بلة فرضها بالقوة داخل مؤتمر أفريل ٦٤ حتى تبدو كمطلب شعبي نابع من القاعدة النضالية التي تعبر بشكل أو بآخر عن نبض الشارع الجزائري ، و هي فكرة حاول تسويقها محيط الرئيس لكنها لم تتطلي على حلفائه من جماعة وجدة ، و تصدى لها العقيد هواري بومدين بكل حزم ، بإعتبارها محاولة يائسة لإعادة هيكلة قوات الأمن بشكل يعيد بعض التوازن الأمني بين مؤسسة الرئاسة و مؤسسة الجيش .

. إيجاد بديل متسرع عن برنامج طرابلس الذي حظي بإجماع معقول من طرف النخبة السياسية بمخالف أجنحتها، و تعويضه ببرنامج جديد ، بالرغم من وجود بصمات واضحة الرئيس أحمد بن بلة في برنامج طرابلس،

. تدايعات صراعاته الهامشية المزمنة مع الشيخ البشير الإبراهيمي و التي تطورت فيما بعد الى صراع شخصي بين الرجلين تجاوز كل الحدود الممكنة ، و تحول الى موقف معاد لجمعية العلماء المسلمين و إدارتها ، بالرغم من سعيه لإيجاد بدائل ممكنة للجمعية و تبني نظام تعليمي إسلامي مواز للتعليم العام إقترحه الوزير المفكر أحمد توفيق المدني ، و الترخيص لجمعية القيم ذات التوجه الإسلامي القريب من جمعية العلماء ، و تقربه من المفكر الإسلامي الجزائري العظيم مالك بن نبي .

. كل هذه المؤشرات كانت بمثابة رسائل إنذار قرئت بشكل جدي و حذر من طرف حلفائه في جماعة وجدة ، و حتى لدى المنتبعين من داخل النظام و من خارجه ، و أعتبرت بمثابة خطوات جريئة تهدد للتراجع عن المكتسبات السياسية المتواضعة التي تحققت منذ إسترجاع السيادة الوطنية ، و عن نية الرئيس في الإستحواذ على الحكم و التوجه نحو إرساء نظام الرجل الواحد الذي لا يشاركه في صناعة القرار أو صياغة الموقف أحد من الناس .

فما يعاب حقيقة و دون تجني على الرئيس أحمد بن بلة هو في تقديرنا تقته المفرطة في نفسه و في شعبيته الداخلية و علاقاته الخارجية ، والتي تجاوزت الحدود المعقولة ، و عدم قراءته الجيدة لردود الفعل الممكنة نتيجة لمبالغته في فتح جبهات صراع متعددة تجاوزت الخصوم و المنافسين ، الى الحلفاء و الأصدقاء ، لكن كيف تصف الشخصيات الوطنية التي كانت شاهدة على العصر، و عايشة الأحداث عن قرب و عاينت البدايات الأولى للصراع الخفي بين قطبي النظام العقيد هواري بومدين و الرئيس أحمد بن بلة ، تلك الأحداث و ماهي إنطباعاتها و رؤيتها لطبيعة الصراع و أسبابه و مآلاته . و الحلول التي كانت ممكنة لتفادي سيطرة الجيش على الحكم ، بعد ثلاث سنوات من إسترجاع السيادة الوطنية؟ تكاد تجمع العديد من الشهادات التاريخية على أن سنة ١٩٦٥ شكلت منعرجا خطيرا في مسيرة بناء الدولة الجزائرية الفتية ، ووصفت من طرف بعض المصادر بأنها سنة الحسم لصالح هذا الطرف أو ذاك ، ونبدأ بشهادة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي الذي عانت عائلته من إضطهاد الرئيس أحمد بن بلة على خلفية سوء تفاهم قديم ومزمن مع الشيخ البشير الإبراهيمي، تجدد قبيل و أثناء تنظيم مؤتمر الحزب في شهر أفريل سنة ١٩٦٤ حيث يقول في الجزء الأول من مذكراته التي صدرت بعنوان أحلام ومحن ١٩٣٢ . ١٩٦٥ في شهر أفريل عندما عدنا ، آيت شعلال و أنا الى أرض الوطن قادمين إليها من تونس ، وجدنا أجواء الأحقاد والقمع و السخط ، و الشائعات تسود

العاصمة . فأما الأحقاد فكانت نتيجة ثلاث سنوات من الحكم ، تميزت ليس بالإرتجال و الديمقراطية فحسب ، و لكن بالإنتهاكات المتكررة لحقوق الإنسان ، و إذا كالت سنة ١٩٦٢ سنة الفتنة ، فإن سنة ١٩٦٣ تميزت بوجود شروخ في جدار السلطة ، أبرزت تناقضات داخلية عميقة ، منها إستقالة محمد خيضر الأمين العام للحزب ، و الرقم الثاني في السلطة في شهر أفريل نتيجة لخلافاته مع رئيس الدولة ، إستقالة فرحات عباس رئيس المجلس الوطني وهو الرقم الثالث في السلطة ، في شهر أوت إحتجاجا على ما سماه سفينة للجزائر، تمرد حسين آيت أحمد في شهر سبتمبر تعبيرا عن رفضه للحكم الفردي ، لقد أدت هذه السلسلة كلها من المعارضات بالرئيس بن بلة الى الإستيلاء على جميع السلطات إبتداء من شهر أكتوبر، و إذا كانت سنة ١٩٦٣ سنة الشقاكات فإن سنة ١٩٦٤ كانت سنة القمع ، في شهر جويلية و في نفس الوقت أنشئت فيه ميليشيات شعبية و إستقالة أحمد مدغري من منصبه كوزير للداخلية إحتجاجا على سحب بعض صلاحياته من طرف الرئيس بن بلة ، طالت حملة الإعتقالات كل من فرحات عباس الذي وضع تحت الإقامة الجبرية بأدرار، و العقيد شعباني الذي نفذ فيه حكم الإعدام في شهر سبتمبر و لم يتعد سن الثلاثين ، و آيت أحمد الذي حكم عليه بالإعدام بعد أشهر و قبل ذلك إعتقالي كما سبق ، و أما الشائعات فكانت كلها متفقة على أمر واحد هو أن سنة ١٩٦٥ ستكون سنة التوضيح ، لقد كان جميع الناس متفقين على القول أن العلاقات بين بن بلة و بومدين كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم ، و أن الخلاف بين الرجلين أثل لامحالة الى إقصاء احدهما ، في هذه الأثناء كانت وسائل الإعلام التابعة كلها للسلطة تواصل تعجيد الرئيس المحبوب مؤكدة محاسن النهج الإشتراكي و تبرز في نشراتها و على صفحاتها حكمة ميثاق الجزائر، و تركز على الإستعدادات الجارية لتنظيم القمة الأفروآسيوية بالجزائر شهر جوان من سنة ١٩٦٥. أما سخط بعض السياسيين و تحركات بعضهم الآخر. فلم اجد ما أقوله لآيت شعلال غير الإشارة الى تلك الملاحظة التي أبداها فرنسوا مرياك بشأن ذلك البون الفظيع بين التاريخ و بين صغار الرجال المتهافتين على صنعه . و في نفس الإتجاه تقريبا تمضي شهادة العقيد طاهر زبييري قائد أركان الجيش و آخر قادة الولاية التاريخية الأوراس ، بإعتباره من أبناء النظام و صناع الحدث ، حيث كان عنصرا أساسيا و رئيس مجموعة الضباط الذين كلفوا بتنفيذ عملية إعتقال الرئيس أحمد بن بلة ذات ليلة دافئة و لطيفة من ليالي شهر جوان الجميلة ، يقول العقيد طاهر زبييري في حوار مع جريدة الخبر الأسبوعي عدد جوان ٢٠٠١ لقد عملنا على تنظيم مؤتمر جبهة التحرير الوطني سنة ١٩٦٤، لكن بن بلة كان متحكما آنذاك في الوضع ، و كان ميزان القوى على مستوى الإطارات الحاضرة في المؤتمر لصالحه ، حيث نجح في تولي الأمانة العامة للحزب و شكل فيما بعد حكومته ، واستخلصنا في ذلك الظرف بأن بن بلة يسعى الى فرض حكم فردي ، في وقت تميز بكثرة الزعامات في العالم و هو ما يتعارض مع مبادئ الثورة التحريرية ، و قد أصبحت قراراته إرتجالية و فردية ، في وقت كانت لدينا مؤسسات شرعية .لجنة مركزية للحزب ، مجلس تأسيسي ، تفاقمت الأزمة بين بن بلة و بومدين الثقة تزول شيئا فشيئا ، و إنتهز بن بلة فرصة سفر بومدين الى موسكو .ليعلن خلال مهرجان شعبي في شهر سبتمبر ١٩٦٤ بالعاصمة عن قرار تعييني قائدا لهيئة أركان الجيش دون علمي ، و قد وصلت علاقة بن بلة ببومدين درجة التآزم عندما بادر الرئيس خلال تواجد وزير الدفاع بالقاهرة لتمثيل الجزائر في مجلس وزراء الدفاع العرب، بتحية كل الوزراء المحسوبين على جماعة وحدة و جدة فاتصلنا بالعقيد

هواري بومدين و طلبنا منه العودة على جناح السرعة ، و قبل أن نفترق في المطار بعد إستقبالنا لبومدين ، إنتفت إلي و قال لي سنأتي الي بيتك في السعة الثامنة مساء ، ووصل بومدين و شريف بلقاسم ثم إتحق بهما مدغري و بوتفليقة ،كانوا خمسة و أنا سادسهم ، و قدم كل واحد منا تقريرا خاصا حول الوضع العام الذي تعيشه البلاد وقيمنا السياسة المتبعة من قبل أحمد بن بلة ، بومدين كان صامتا يستمع للتقرير تلوا الآخر باهتمام و تركيز، ثم عقب قائلا هذا الرجل يريدنا أن نترك له البلد ،ثم إنتفت نحوي و طلب رأيي فرددت عليه ،إننا نملك إطارات ورفقاء ،علينا أن نعرف أرائهم كي نصل بعد مشاورتهم الى نتيجة ، وقد وافق على هذا الرأي ، بعد ستة أيام إتقينا مجددا ، هذه المرة في بيت بومدين الكائن بمقر وزارة الدفاع الوطني حوالي شهرين قبل الإنقلاب ، و قدم كل منا تقريره الخاص بعد لقاءاتنا بالمقربين و الأصدقاء و محاولة معرفة رأيهم بشأن الأوضاع السائدة بطريقة غير مباشرة ، و كان بومدين قد إتقى بمحساس و بشير بومعزة ، وقررنا خلال هذا اللقاء أن نستولي على الحكم و نطيح بأحمد بن بلة من أجل إعادة تنظيم مؤتمر جبهة التحرير الوطني على أسس قانونية ، و إجتماعنا عدة مرات في بيت طيبي العربي الذي كان سفيرا للجزائر بالبرازيل ، لأنه كان محاذيا لبيت بومدين ، و بعد ثمانية أيام من إتخاذ قرار الإنقلاب إنضم إلينا سعيد عبيد و العقيد عباس ، ثم إتحق بالمجموعة محمد الصالح يحيوي ، و لم يكن مسؤولوا الولايات على علم بالأمر بما فيهم دراية المدير العام للأمن الوطني قبل ٢٤ ساعة فقط الوقت المحدد للعملية ، وقد عكفت هذه الجماعة على دراسة مستقبل الجزائر بعد الإنقلاب ، أي ماذا سنفعل بعد ١٩ جوان ١٩٦٥ ؟ و كلفنا كلا من أحمد مدغري و بوتفليقة و شريف بلقاسم و قايد أحمد و سعيد عبيد بصياغة بيان ١٩ جوان ، و أدخلنا عليه بعض التعديلات ، و إشرطت حينها تحديد المدة الإنتقالية و إدراجها في البيان من أجل الوصول الى تثبيت الشرعية في النظام الجزائري ، و أكد لي بومدين ان الفترة الإنتقالية ستتراوح بين سنة أو سنتين ، و هناك رأي آخر تضمنته شهادة العقيد أحمد بن الشريف القائد العام للدرك الوطني في تلك الفترة ، و هو منصب هام و جد قريب من مواقع صنع القرار لأنه يجمع بين طبيعته العسكرية الأصيلة و علاقته بالنشاط المدني ، و حسب شهادته لمجلة منبر أكتوبر ع ١١ جوان ١٩٨٩ التي كان يصدرها الرئيس أحمد بن منفاه بالخارج ، فإنه كان معارضا للإنقلاب منذ البداية و لم يشارك فيه و قد فكر في القيام بإنقلاب مضاد يقطف رؤس جميع الضباط الذين كانوا يخططون للإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة ، لكنه تراجع خطوات الى الوراء نتيجة لحسابات دقيقة و فضل الحياد المطلق ، و بعد نجاح الإنقلاب تعرض الى الإستتاق ورد على مستجوبيه بأنه كان يقف مع الشرعية ، و يعتبر نظام احمد بن بلة نظاما شرعيا بإمتياز، يملك شرعية ثورية ثابتة تعززت بشرعية شعبية عبر عنها صندوق الإستفتاء ، و تزكية المناضلين في مؤتمر جبهة التحرير الوطني ، يقول العقيد بن شريف في شهادته قبل الإنقلاب حاولت التوسط بين جماعة وجدة و الرئيس بن بلة ، فاقسم لي هذا الأخير بأنه لن يدخل معهم في خصومة أو صراع على السلطة ، و سيكون متعاوننا معهم الى أقصى حد من أجل حماية البلد من أي صراع دموي محتمل ، و يصير العقيد بن شريف على نفي علاقته بإنقلاب ١٩ جوان ٦٥. و يذهب أبعد من ذلك فيزعم بأنه رفض أوامر وزير الدفاع بالإنضمام الى المجموعة التي كلفت بإعتقال الرئيس بن بلة ، و يذكر بأنه فاجأ مستجوبيه بعد الإنقلاب و رد على أسئلتهم بسؤال إستكاري صدم الجميع و هو ماذا يعني لنا ١٩ جوان كرجال سلطة؟ ثم أجاب بنفسه عن سؤاله دون إنتظار رد من أحد ، سيعني إلغاء الشرعية ممثلة في أحمد بن بلة ، و سواء احببنا أم كرهنا ، فبن بلة كان يمثل الشرعية ، أما أحمد محساس الذي كان وزيرا للزراعة و أحد المقربين من الرئيس بن بلة ، فيرى أن ١٩ جوان ٦٥ كان نتيجة طبيعية لصدام بين سلطتين ، مدنية و عسكرية

تري كل منها أنها أحق بإدارة الدولة و فرض تصوراتها ، و هو حلقة في مسلسل الصراع بين المدني و العسكري ، زيادة على إشكالية الزعامة الفردية التي كانت سببا في إنفجار حزب الشعب و تعطل مشروع الثورة و الكفاح المسلح عدة سنوات ، و يعترف في النهاية أن إمكانية تفادي إنقلاب الجيش كانت جد ممكنة و بيد الرئيس أحمد بن بلة ، لو تخلى قليلا عن أنانيته و تنازل لمصلحة الوطن ، و إستغل نصائح و إستشارات أصدقائه المخلصين ، و كان يكفي إستعمال صلاحياته الدستورية و الحزبية لحلحلة الخلافات التي وقعت مع قيادة الجيش ، من خلال الحوار عبر الأطر الشرعية ، كالمكتب السياسي ، واللجنة المركزية ، أو الدعوة الى مؤتمر إستثنائي لحزب جبهة التحرير ، لكن الرئيس على ما يبدو كان يدير مخططا مضادا للإطاحة بجماعة و جدة و إزاحتها من الحكم حتى يتمكن من إدارة شؤون البلاد بكل راحة و إريحية و من دون ضغوطات من هذا الطرف أو ذاك ، و هي أول خطوة في سبيل ترسيخ الحكم الفردي المطلق الذي كان سائدا في العديد من دول العالم الثالث ، حيث تصبح المؤسسات الشرعية الموازية كالحزب و البرلمان مجرد هيئات شكلية ملحقة بديوان رئاسة الجمهورية . يقول المجاهد أحمد محساس في حوار أجرته معه جريدة الخبر الأسبوعي في عدد خاص جوان ٢٠٠٦ لقد قرر الرئيس بن بلة إبعاد بوتقليقة من وزارة الشؤون الخارجية و هذا كان يعني شيئا واحدا لجماعة بومدين و هو أن رؤوسهم ستقطع الواحد تلو الآخر ، و الجماعة لم يكونوا أغبياء ، كانوا يدركون خطورة الرهان ، كما أنهم كانوا يعلمون أهمية الدور الذي قام به الجيش في تأسيس النظام ، و الأهم من كل ذلك أنهم كانوا مقتنعين بأنهم من نصبوا بن بلة رئيسا ، من الناحية التكتيكية كان لابد من مواصلة التحالف و عدم إدخال بذور الإنقلاب في النظام . أنا عضوا باللجنة المركزية و المكتب السياسي و مع ذلك فإن بعض القرارات كانت تمر فوق رؤسنا ، بن بلة و جماعته كانوا ينفردون بإتخاذ الكثير منها ، في الحقيقة الرئيس بن بلة لم يكن ذكيا في تعامله مع تلك الأزمة ، صحيح أن شعبيته كانت كبيرة و تصرفاته كانت على هذا الأساس ، وفي رأيي أنه من المستحب ألا يستقطب شخص واحد كل طاقة الشعب ، يجب أن نضع أنفسنا مكان بومدين و جماعته ، بن بلة كانت له شعبية قبل أن يصبح رئيسا ، لكن الذي خطط و نفذ و كانت له القدرة على فرضه هو الجيش ، من أخطاء بن بلة انه قام بتركيز أهم السلطات في يديه ، أما العقيد عمار بن عودة الذي كان يشغل منصب الملحق العسكري بسفارة الجزائر بالقاهرة في ذلك الوقت ، فيضيف أسباب أخرى لها علاقة وطيدة بالسيادة الوطنية التي لن تقبل المساومة عليها بأي حال من الأحوال ، ساهمت في تعجيل الإطاحة بالرئيس المنتخب أحمد بن بلة، و هي ضعف شخصيته أمام الرئيس جمال عبد الناصر، على حساب السيادة الوطنية في بعض الأحيان ، و عدم وضع مسافة قانونية بين الصداقة الشخصية و المصالح الإستراتيجية للدولة ، و صمته المحير إزاء النفوذ المتزايد للمصريين و تدخلاتهم في الشؤون المحلية ، لدرجة فقدان القدرة على إتخاذ القرار الوطني المستقل ، إنطلاقا من الواقع الجزائري و بأفكار و صياغة جزائرية، ويشير العقيد بن عودة الى الموقف السلبي للرئيس بن بلة من الإقتراح المصري بالتنازل عن أراض جزائرية في الحدود الشرقية و الغربية للجزارتين المغرب و تونس و مشكلة بحيرة طبرية التي حاولت إسرائيل سرقة مياهها ، جريدة الشروق ٠٦ . جانفي ٢٠١٥ . بتصرف .

- بيان 19 - جوان - 65: قراءة و تحليل

بيان ١٩ جوان هو أول وثيقة تصدرها السلطة الجديدة التي قامت بإنقلاب عسكري ابيض ، نفذته مجموعة من كبار الضباط بطريقة مفاجئة لم تترك للرئيس المنتخب أية فرصة للمقاومة ، و كما يقول العقيد الطاهر زبييري و هو أحد اهم عناصر المجموعة التي أدت المهمة بنجاح غير منتظر ، أن بيان ١٩ جوان ٦٥ ساهمت في كتابته نفس الخلية التي فكرت و خططت للإنقلاب و تم مراجعته و تعديله عدة مرات حتى وصل الى صياغته النهائية ، يعود البيان في مقدمته الى الورا قليلا فيذكر بالتضحيات التي قدمها الجيل الأول من الثوار و المجاهدين ، الذين لم يترددوا رغم قلة العدة و العناد في المغامرة بتفجير ثورة عارمة في وجه الإستعمار الكافر، ما لبثت أن تحولت الى شعلة أحرقت بلهيبها ساسة فرنسا و قادتها العسكريين و أجبرتهم على التفكير في الرحيل المبكر و الخروج من البلاد يجرون وراءهم أذبال الخيبة ، فكان النصر حليف جيل نوفمبر الأول و الأجيال التي تلتها ، و كان الخامس من شهر جويلية سنة ١٩٦٢ خير يوم طلعت فيه شمس الحرية و الإستقلال على الجزائر، و كانت فاتورة إستعادة السيادة الوطنية من جديد باهظة الثمن و عالية التكاليف ، في الأرواح و الممتلكات ، في الأول من نوفمبر ١٩٥٤ خاضت بلادنا ثورة من أجل وضع حد بالكفاح المسلح و التضحيات ، لأكثر من قرن من الهيمنة الإستعمارية ، و في الخامس من جويلية ١٩٦٢ إستعادت الجزائر حريتها و إستقلالها ، دافعة تضحيات جسام لم يعرف لها التاريخ مثيلا .. من بيان ١٩ جوان ٦٥ - ثم يعرج البيان على الأزمة السياسية التي إندلعت مباشرة بعد توقيع إتفاق وقف إطلاق النار في شهر مارس سنة ١٩٦٢ و التي ينظر إليها كحالة طبيعية وحتمية ناتجة عن تراكمات تاريخية و خلافات إيديولوجية ، ولدت مع مرور الوقت تناقضات داخلية ، تحولت فيما بعد الى تكتلات و أجنحة متصارعة داخل النظام فأوشكت أن تدفع نحو إنزلاقات خطيرة تنذر بدخول البلاد في حرب أهلية مدمرة ، لولا تحلي نخبة من الرجال الوطنيين بأخلاق المواطنة و تمسكهم بالحد الأدنى من الديمقراطية و تقبل الآخر، فجنبوا الدولة الفتية وضعية سياسية و أمنية قاسية على الجميع نخبة و شعبا ، و ليس بمقدور دولة فتية أن تتحمل تكاليفها و تداعياتها السياسية و الأمنية ، في إشارة مباشرة الى ما عرف تاريخيا و إعلاميا بأزمة صائفة ٦٢ ، إن الأزمة السياسية التي نجمت عن ذلك تترجم بشكل عنيف التناقضات العديدة و الحتمية الداخلية التي تراكمت عبر السنوات الثمانية من الحرب ، لقد وجدت البلاد نفسها على شفا حفرة من الهاوية ، و لم ينقذها من ذلك إلا وطنية و نزاهة كل المناضلين المخلصين الذين جنبوها حربا أهلية . من بيان ١٩ جوان ٦٥ - كما أشار البيان بكل وضوح الى الأحداث السياسية و الأمنية ، التي ميزت ثلاث سنوات من حكم الرئيس أحمد بن بلة ، إستقالة شخصيات وطنية من النظام و تحويل نشاطها نحو معارضة شرسة و غير منطقية ، إرهابات ثورة مضادة تستهدف تغيير النظام بشكل جذري و السيطرة على الحكم ، حاولت إستعادة مكر إستعماري خبيث لم ينجح في تفتيت جدار الوحدة الوطنية المرصوص منذ فجر التاريخ ، عبر مشروع فرق تسد ، و يصفها صراحة بالمؤامرات التي تحاك في الخفاء و هي وليدة تصادم المصالح الشخصية و الصراع على السلطة بين عدة أجنحة و تكتلات بعد ثلاث سنوات من إستعادة السيادة الوطنية ، وجدت البلاد نفسها عرضة لمؤامرات تحاك في الظل ، و تصادم الإتجاهات و العصب . من بيان ١٩ جوان ٦٥ - ثم يصل البيان الى صلب الموضوع فيذكر بإقتضاب بعض الممارسات السلبية للنظام ويحدد ثلاث علل سياسية إصيب بها الرئيس المنتخب أحمد بن بلة بعد فترة قصيرة من رئاسته للجمهورية ، قد تكون من المظاهر السلبية للسلطة، كالغرور، والحب الأعمى للكرسي ، و الإنفراد بالقرار و الموقف و تهميش الشركاء السياسيين و الطاقات الوطنية

والعمل للبقاء أطول مدة ممكنة في السلطة و عدم التفكير، مجرد التفكير في ضرورة التداول على السلطة و تسليم المشعل في يوم من الأيام الى طاقم آخر يمكنه تقديم إسهامات جديدة و إضافات أخرى لصالح البلاد ، و يشير بشكل غير مباشر الى عملية التطهير الممنهج التي إستهدفت شخصيات وطنية و ثورية و نخب فكرية و علمية كانت البلاد بأمس الحاجة إليها في تلك الظروف العصبية ، دون أن يغفل الإشارة الى الموقف غير الإيجابي للرئيس أحمد بن بلة من تركتات و مخلفات ثورة التحرير الكبرى . المجاهدين و أرامل و أبناء الشهداء - إن الحسابات الرعناء و النرجسية السياسية . و الحب المرضي . بفتح الميم و الراء . للحكم، وجدت تعبيراً لها في التصفية المنظمة لإطارات البلاد ، و المحاولات الإجرامية لتثويه المجاهدين و المقاومين - و في تطور آخر تتشدد لهجة البيان و تستعير مختلف مطالب المعارضة و رموز الثورة المضادة ، حيث تبني بصورة غير مباشرة كل التحفظات و الإنتقادات التي كانت توجهها المعارضة الى نظام أحمد بن بلة ، و بدت إichاءات البيان مطمئنة لمختلف أطراف المعارضة ، و إذا عدنا الى الورا قليلًا و تصفحنا بيانات و مطالب رموز المعارضة و الأسباب و المبررات التي قدمها كل من محمد خيضر ، و عباس فرحات ، حسين آيت أحمد ، بعد إستقالتهم من مؤسسات الدولة ، نجد أنها لم تخرج عن رفض تزكية نظام سياسي يسير بخطى سريعة نحو ترسيخ الديكتاتورية و الحكم الفردي ، و محاولة تشتيت الصفوف و زرع الفرقة بين النخبة السياسية ، و الإعتماد على الديماغوجية و الشعارات الكبيرة الجوفاء، والذي يتمعن في قراءة الفقرة الموالية من البيان ، يعتقد أن رموز المعارضة الراديكالية هي التي قامت بصياغته من خلال إعتماده على كلمات قوية و عبارات عنيفة و جذابة و ملفتة للإنتباه ، سوء التسيير، تبيد الأملاك العمومية،الديماغوجية ،الكذب ، الإرتجال الفوضى ، ووردت في البيان جملة قوية و موحية بشكل كبير ان الجماعة التي قامت بالتخطيط و التنفيذ للإنتقال كانت تحاول إحتواء المعارضة و مغازلتها و تقديم نفسها ككتلة سياسية و عسكرية عجزت عن إصلاح أخطاء النظام السابق المتكررة ، كما فشلت في تمرير رؤيتها لكيفية تسيير الدولة و التعامل مع الخلافات المحتملة، وبالتالي فهي الآن تقاسم مع رموز المعارضة و الثورة المضادة من كل الإتجاهات نفس الإهتمامات و المطالب ، و قد يسمح لها طرح الموضوع بهذا الشكل الذكي بسحب ورقة المعارضة للنظام من رموز الثورة المضادة ، في محاولة لإحتوائها و طمأنيتها بأن قادة الإنتقال متفهمة بشكل جيد لمطالب المعارضة و سيعملون على تجسيدها ميدانيا ، ولكن بطريقتهم الخاصة . و تحتل جملة حاول نظام الحكم أن يفرض على خصومه الخوف و الصمت ، التي وردت في البيان إشارات قوية و رسائل مباشرة و غير مباشرة ، و عدة قراءات و تفسيرات ،فقد يفهم من كلمة الخصوم من الوهلة الأولى أن المقصود بهم هم رموز المعارضة الذين خرجوا من النظام و رفضوا العمل في أجواء وصفوها بغير المشجعة على البقاء ، و في هذه الحالة يمكن القول أن جماعة وجدة التي كانت بمثابة الغطاء السياسي للإنتقال كانت تغازل رموز المعارضة في محاولة ثانية لإحتوائهم و إعادة إدماجهم في النظام الجديد ، في إطار مشروع وطني متجدد يعيد لم شمل العائلة الثورية عبر مؤتمر جامع جديد ، يؤسس لإنطلاقة جديدة تتفادى كل أخطاء أمس القريب ، و يمكن أن يفهم من كلمة . الخصوم . تعبيراً عن وصول علاقة جماعة وجدة و بالرئيس أحمد بن بلة الى طريق مسدودة ، من ابرز مظاهره نغول النظام و تأكله من الداخل و تحفضه لإلتهام حلفائه و أصدقائه ، فخصوم النظام في هذه الحالة هم حلفاؤه السابقون من جماعة وجدة التي بدأت تشعر بأن الأرض قد تهتز من تحت أقدامهم في أية لحظة، و سيجدون أنفسهم أمام مصير مجهول ، كمصير رموز الثورة المضادة . بوضياف ، آيت أحمد ، خيضر ، فرحات عباس ، كريم بلقاسم ، و عند متابعة

تطور الأحداث من قبل و بعد الانقلاب نستنتج أن جماعة وجدة كانت تشعر أنها تعرضت للخيانة من طرف من سلمته ذات يوم مقاليد الحكم على طبق من ذهب . و أنها ستعرض للتصفية بشكل جذري و إخراجها من النظام بغض النظر عن مواقعها فيه ، سواء أكان من وراء حجاب أو في الواجهة . و ربما كانت سلسلة الإقالات التي مست جماعة بومدين داخل الحكومة و الحزب ، بالنسبة لهم مقدمة لجس النبض و إنتظار رد الفعل الذي يبدو أنه بقدر ما كان بطيئا و هادئا ، بقدر ما كان حاسما و غير منتظر بالنسبة للطرف الخاسر في هذه اللعبة ، كما يشير البيان الى الحملة التي قادها الرئيس أحمد بن بلة في السنة الثالثة من حكمه و التي إستهدفت تغيير موازين القوة بينه و بين جماعة وجدة من خلال إبعاد عدة وجوه محسوبة على العقيد هواري بومدين ، و الى ميثاق الجزائر ٦٤ الذي وضعته لجنة صياغة أختارها الرئيس أحمد بن بلة و لم يكن ضمن أعضائها أية شخصية من جماعة وجدة أو مقربة منها ، وبالتالي فقد كانت الجماعة تنظر الى مؤتمر الجزائر ٦٤ و ما تمخض عنه من نتائج يعين السخط و عدم الرضى ، و لولا أنه حافظ على أهم أسس الهوية الوطنية لقاتل أنه . مؤتمر الصومام مكرر، و قد كان الرئيس المنتخب يعول كثيرا على هذا المؤتمر لمحو آثار مؤتمر طرابلس الذي وافقت على توجهاته العامة مختلف أجنحة الثورة ، و كان يحمل عدة قواسم مشتركة بين الرجلين العقيد هواري بومدين و الرئيس أحمد بن بلة ، و يبدو أن أصحاب البيان و معظمهم من المقربين من سرايا الحكم و المحيطين به ، أدركوا أن الرئيس أحمد بن بلة يوشك أن يبتعد بمسافات طويلة عن أهم الخيارات السياسية و الاقتصادية التي أقرها مؤتمر طرابلس، و هو ما يشير إليه البيان صراحة ب فرض خيارات و رجال ، مع أن الخاص و العام يعرف أن مشروع الرئيس بن بلة هو مشروع الطبقة السياسية و النخبة الفكرية التي إجتمعت في آخر مؤتمر تعقده جبهة التحرير الوطني خارج الديار. و لم يأت الرئيس بفكرة الإشتراكية من نفسه و لم يحاول فرضها على الجميع بل لم تكن تشكل قناعة راسخة لدى تيار العروبة و الإسلام على الأقل ، بقدر ما كانت خيارا إقتصاديا أملتة حاجة البلاد الى مساعدات تقنية و تكنولوجية عاجلة لم تكن ممكنة بحكم الواقع الجيوسياسي ، سوى بربط علاقات براغماتية مصلحة مع دول المعسكر الإشتراكي القوية في ذلك الوقت ، و في ظل غياب نماذج بديلة و جاهزة نابعة من واقعنا العربي الإسلامي ، و بالغ البيان في تسويد صفحة الرئيس المنتخب و شيطنته و أجهتد في تعداد الأخطاء التي إرتكبها في حق معارضيه و تضخيمها ، ووجه سيل من الإتهامات الى الرئيس السابق من أجل حشد الدعم و إقناع الشارع و المترددين في الداخل و بعض الأطراف الإقليمية ، و قدم بإسهاب بعض الأخطاء التي يعتبرها ميررات كافية للإنتقال و حاول صياغتها بكلمات قوية و شديدة المفعول ، و وردت بعض الجمل و العبارات ، مكررة مرتين على الأقل في فقرة واحدة ، مصادرة الحريات الفردية ،الخيارات و الرجال، خضوع ،خاضعة، إن سوء تسيير الإرث الوطني و تبيد الأملاك العمومية ، و اللاإستقرار و الديماغوجية و الفوضى و الكذب ، ومصادرة الحريات الفردية ، و إخضاع مؤسسات الدولة و الحزب الى نزواته الشخصية ، و فرض خيارات و رجالا و الإرتجال ، فرضت نفسها كآساليب للحكم عن طريق التهديد و الإبتزاز و مصادرة الحريات الفردية ، حاول نظام الحكم أن يفرض على خصومه الخوف و الصمت و الخضوع ،إن الحكم الفردي المكرس اليوم جعل من المؤسسات الوطنية و الجهوية للحزب و الدولة خاضعة لإرادة رجل واحد يفرض الخيارات و الرجال حسب مزاج اللحظة و الأهواء . من بيان ١٩ جوان . ٦٥ -

- السلطة بين العسكري والمدني

من خلال تحليل مختلف آراء و شهادات الذين عايشوا فترة حكم الرئيس أحمد بن بلة ، سواء خصومه أو أصدقائه ، نكاد نلمس إجماعا و توافقا من الجميع على تسويد فترة حكمه ، رغم بعض الإيجابيات التي تمكن من إنجازها بشق النفس ، و التي تحسب له كأول رئيس منتخب ، فالجميع يتفق على انه إنحرف عن الإتجاه الصحيح في السنة الثالثة من حكمه ، و شجعه صمت و حياد المجموعة التي دعمته و قدمته الى الواجهة ، على بعض الإجراءات التي إتخذها ضد خصومه السياسيين من رموز الثورة المضادة بوضياف ، آيت أحمد ، فرحات عباس و غيرهم ، على المضي في تصفية عناصر مجموعة وجدة واحدا بعد الآخر، لكنه عندما وصل الى منتصف الطريق ، كانت الرسالة قد وصلت و الهدف قد إتضح ، فالقضية لم تعد مجرد صراع بين رئيس منتخب و معارضة راديكالية شرسة متطلعة للحكم و مستعدة للوصول إليه ولو على إشلأ خصومها ، بل هو تحول مفاجيء في شخصية الرئيس و نظرتة الى السلطة و الحكم ، من زاهد و خجول و مترفع الى متشبث بالكروسي و عاشق للسلطة بشكل جنوني ، دفعه للتفكير في التخلص من حلفائه و أصدقائه الذين ساعدوه على الوصول الى ذلك المنصب السامي الذي يسيل لعاب الرجال ، دون أن يفكر بصورة جدية و إستراتيجية في العواقب و التداعيات ، و دون أن يأخذ بعين الإعتبار موازين القوى التي كانت تميل الى جماعة وجدة بفصل تحكمتها في أهم حقيبة في الحكومة و هي وزارة الدفاع الوطني التي كانت تشرف بشكل مباشر أو غير مباشر على مختلف الأسلاك الأمنية ، و دون أن يأخذ العبرة من دروس الماضي ، حيث لم تتمكن الحكومة المؤقتة و بما كانت تحمله من رمزية و قدسية لدى الرأي العام الوطني و العربي ، من الصمود سوى لحظات في وجه جرافات العسكر ثم سقطت سقوطا حرا .

. يبدو لي أن العقيد هواري بومدين أراد أن يوجه رسالة الى من كان يسميهم بالسياسيين المتعفين ، الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية الضيقة ، بأنكم فشلتكم كمدنيين في لحظة حاسمة من تاريخ الجزائر الحديث و هي لحظة إنطلاق المشروع الوطني و الإقلاع بالدولة و النهوض بها ، و الشروع في وضع اللبنات الأولى لعملية البناء و التأسيس ، و هي لحظة حاسمة تتطلب من الجميع نخبة و شعبا الترفع عن الأنانية و حب الذات ، و التحلي يقيم التضحية و البذل و نكران الذات، والتفكير فقط في الوطن ، فماذا يقول الإستعمار السابق ، عندما يرى الجزائريون يتقاتلون على أشلاء دولة منهكة و هيكل وطن ، ممزق بعد ١٣٠ سنة من الإحتلال و ٧ سنوات و نصف من حرب مدمرة ، إستعمل فيها العدو كل وسائل الإبادة ضد الشعب الجزائري ، لقد فشلتكم في إدارة الصراع بينكم و في تصفية مشاكلكم الشخصية و لم تتمكنوا من الإنفاق حول الحد الأدنى من الخطوط العريضة و أصبح كل واحد منكم لا يرى سوى نفسه زعيما لهذه الأمة ، و قد كانت مشكلة الزعامة هي سبب تأخير الإنفجار، و سبب أساسي في تأخير موعد إنطلاق قطار الثورة ، و إذا إستمر الحال على ما هو عليه فستأخر عملية الإقلاع الى أجل غير مسمى ، و ستدخل البلاد في صراع دموي بدأ التحضير له مع بداية الإستقلال ، لذلك سيذهب جميع السياسيين المتعفنون الى الجحيم ، و كما تولى رجال ثوريون عسكريون تفجير الثورة و قيادتها حتى تحقيق النصر، فإن الجيش الوطني الشعبي لن يدخر جهدا في سبيل القضاء على الفتنة التي أيقظها السياسيين المتعفنون ، و سيتولى زمام الأمور بنفسه ، فكان الهدف الأساسي من الإنقلاب العسكري إذن هو إفتكاك السلطة من السياسيين و إستعادة المبادرة منهم لوضع حد لمسلسل إنهيار الدولة و سقوط الوطن ،

- حتمية سياسية -

في خاتمة هذا الفصل نحاول الإجابة قدر الإمكان على أهم الأسئلة التي طرحناها في مقدمته . هل كان التصحيح الثوري حتمية سياسية أم مغامرة عسكرية؟ في تقديرنا وبحسب إستقراء طبيعة الأحداث و تطوراتها ، و بالإستئناس بآراء و شهادات من صنعوا تلك الأحداث و من شاركوا فيها و من عايشوها عن قرب ، من الشخصيات الوطنية سواء تلك التي كانت موالية للنظام أو معارضة له ، يمكن القول أن التصحيح الثوري كان حتمية سياسية فرضتها أزمة خانقة داخل نظام الحكم كانت توشك أن تعصف بالجميع ، زيادة على عجز الطبقة السياسية الموالية و المعارضة على حسم خلافاتها المزممة حول الزعامة ، التي كانت تظن أنها تخلصت منها بتبنيها فكرة القيادة الجماعية التي أفرزت هي الأخرى زعامات متعددة ، كل منها يرى أنه أب روعي للثورة و صانع معجزة الإستقلال ، و الواقع يؤكد أن الزعماء الخمس لم يشاركوا ميدانيا في الثورة ووجدوا أرضية الحكم جاهزة بعد إستشهاد كبار صناع الثورة ، فبإدراك تعفن النظام من الداخل ، وظهور تكتلات سياسية معارضة للنظام و غير متفقة فيما بينها على شخصية بديلة ، كانت أهم الأسباب التي إستدعت تدخل عسكريا لوضع حد لمسلسل إنهيار الدولة ، و دخول البلاد في حرب أهلية .فالتصحيح الثوري في تقديرنا و في ظل تلك الأوضاع السياسية و الأمنية السيئة ، كان هو السبيل الوحيد لإنقاذ الوطن من أنياب طبقة سياسية متعفنة لم تتمكن طيلة وجودها بين أربع جدران مغلقة بالسجون الفرنسية من الإتفاق على إنتخاب أو تشكيل قيادة وطنية ، و أحسن ما تمكنوا من إنتاجه هو الخروج من السجن الفرنسي بثلاثة تكتلات سياسية تقاسم نفس الأفكار الإيديولوجية ، و لكنها تتصارع من أجل السلطة ، فظهر تكتل برئاسة أحمد بن بلة يتبنى الخيار الإشتراكي بصيغة محلية يسميها الإشتراكية الإسلامية ، و تكتل بوضياف يتبنى إشتراكية ماوية متطرفة و كان منذ التفكير في مشروع الثورة يرفض إشتراك شخصيات وطنية إسلامية من الداخل أو من الخارج في تأطير الثورة ، و تكتل بقيادة حسين آيت أحمد و محمد خيضر يقف في الوسط بين التكتلين الآخرين و هو أقرب نوعا ما الى يسار الوسط ، دون أن ننسى تكتل فرحات عباس الذي أستعاد أفكاره الإندماجية و الليبرالية بعد الإستقلال و رأى أن الفرصة جد مواتية لتطبيقها على أرض الواقع ، فالوضع السياسي إذن وصل مرحلة جد خطيرة نتيجة الصراع على السلطة من طرف عدة أقطاب و تكتلات سياسية، و زاد من خطورة الوضع تغول نظام هش ، سعى الى تجميع كل السلطات في يديه ، ولم تكن ظروف البلاد الإقتصادية و الإجتماعية تحتمل المزيد من الإحتقان السياسي و القوضي الأمنية . فكان الحل الوحيد هو قلب الطاولة على الجميع و كنسهم من الساحة ورميهم بعيدا في مزبلة التاريخ ، فكانت رسالة التصحيحيين واضحة بشكل جلي ، و جاء الإنقلاب بمضمون ثوري و مشروع وطني كبير لا زالت الحكومات الجزائرية المتعاقبة تلجأ إلى أرشيفه لإستنساخ البرامج و المشاريع كلما دعتها الحاجة الضرورية الى ذلك ، و لاتزال الأجيال المتعاقبة تحن إلى تلك المرحلة و تتمنى إستعادتها و لو في عالم الأحلام و الخيال ، بعد فشل مختلف التجارب و مشاريع التنمية الوطنية ، وكان القدر كان يخبى لهذا الرجل العظيم و هذه المفاجأة الكبرى و يذخره ليوم عظيم تكون فيه الجزائر في مفرق طريق خطير، فإما أن تستعيد عافيتها و تسير في الطريق الصحيح نحو الإستقرار و التنمية ، و إما الدخول في تجاذبات سياسية ما تلبث أن تتجرف الى صراع دموي عنيف و كأن النخبة السياسية و العسكرية التي أصرت على تعيين العقيد هواري بومدين ذات يوم و بإجماع قائدا للأركان العامة للجيش و مسؤول سياسي في نفس الوقت ، و هي مهمة نادرا ما تجتمع لدى شخص واحد ، قد أدركت بحاستها السادسة عمق الأزمة التي دخلت فيها البلاد في ذلك الوقت

و بحكم أن قيادة الأركان هي وظيفة ذات أبعاد تقنية ميدانية بحتة ، في حين تكون وزارة الدفاع في أغلب الأحيان ذات مضامين سياسية ، ولذلك تمتح هذه الحقيبة لرجال مدنيين و لا يشترط في الحصول عليها خلفية عسكرية أو أمنية ، فمنحوه صكاً على بياض ، و ضوء أخضر للقيام بمهمتين رئيسيتين ، هما تأمين طريق العبور بسلاسة من مرحلة ما بعد الثورة ، الى مرحلة إعادة بناء الدولة ، و الحيلولة دون عودة الإستعمار بإشكاله الجديدة . ولذلك قد يكون الرائد عز الدين أحد نواب العقيد هواري بومدين على صواب نوعاً ما ، عندما يؤكد في تصريحاته الإعلامية على أن اللبنة الأولى للنظام الجزائري قد وضعت سنة ١٩٥٧ و هي نفس السنة التي عين فيها هواري بومدين قائداً للولاية الخامسة برتبة عقيد ، و قد لا نوافقه الرأي عندما يؤكد بأن العقيد هواري بومدين كان يحضر نفسه للسيطرة على الحكم منذ سنة ١٩٦٠ أي نفس السنة التي إستحدثت فيها قيادة للأركان العامة و أسندت قيادتها الى العقيد هواري بومدين. و ذلك لعدة أسباب ذكرنا بعضها منها في الفصول السابقة ، وأهمها أن العقيد هواري بومدين كقائد للأركان و مؤسس للجيش الوطني الشعبي بشكله الجديد ، و من ورائه جماعة وجدة كخلفية سياسية ، كانوا من دون شك على وعي كبير بمخاطر تحمل مسؤولية التسيير السياسي في تلك المرحلة في ظل وجود عمالقة كبار و من الوزن الثقيل من صنف ، احمد بن بلة، و بوضياف ، وآيت أحمد و خيضر، و عباس فرحات ، بدليل أن العقيد هواري بومدين أرسل في سنة ١٩٦٢ و بعد الإتفاق على وقف النار عبد العزيز بوتفليقة الى فرنسا للإتصال بالسجناء الخمس ، حاملاً معه إقتراحاً من قيادة الجيش بترشيح محمد بوضياف لرئاسة الجمهورية ، لكن بوضياف رفض العرض السخي للجيش ، بحجة أنه ملزم بإتفاق مسبق مع العقيد القبائلي كريم بلقاسم . ثم أعيدت الكرة مع أحمد بن بلة و في نفس الظروف ، لكنه إعتذر بلطف و بدبلوماسية عن قبول العرض و إقتراح ترشيح رفيقه محمد خيضر ، وفي هذه المرة لم تقبل قيادة الجيش بإقتراح و توجيهات أحمد بن بلة و أصرت على أن يكون هو مرشح الجيش و حاولت إقناعه بصعوبة كبيرة ، فقيادة البلاد في مرحلة مفصلية من تاريخنا الحديث تحتاج كما ذكرنا الى شخصية وطنية تملك الكثير من المؤهلات الذاتية و الشخصية و السياسية ، ليس أقلها بحسب مقاييس ذلك الوقت شرعية ثورية قوية لا غبار عليها ، و تجربة نضالية كبيرة و روح وطنية عالية ، و قدرة على تسيير مخلفات الثورة و تداعياتها ، و التجكّم في موازين القوة و إحتواء الآخر

. ثانياً تؤكد المعلومات التي افاد بها العقيد عمار بن عودة لجريدة الشروق عدد ٠٦ - جانفي - ٢٠١٥ زهد العقيد هواري بومدين في السلطة و إستعداده الدائم للإسحاب من الساحة ، و تقديم إستقالته ، إذا كان وجوده يشكل عائقاً أمام بناء الدولة ، حيث يقول العقيد بن عودة أن العقيد هواري بومدين كان يحضر نفسه لمغادرة أرض الوطن نحو ألمانيا ، لكنه إقتنع بصعوبة بضرورة البقاء لإنقاذ الوطن من الديكتاتورية الناشئة التي بدأت تكشر عن أنيابها لتبتلع الجميع خصوماً و أصدقاء ، فوضع الجميع أمام الأمر الواقع ، و لم يكن أمام قيادة الجيش الوطني سوى خيارين لا ثالث لهما ، إما التضحية بالوطن من أجل الرجال ، أو التضحية بالرجال ليبقى الوطن شامخاً ، فكان الخيار الثاني رغم صعوبته و مرارته ، و لذلك كان التصحيح الثوري يحمل رسالة مباشرة الى من كان يسميهم بالسياسيين المتعفين ، الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية الضيقة ، مفادها أنكم فشلتكم كمدنيين في لحظة حاسمة من تاريخ الجزائر الحديث و هي لحظة الأقالع بالدولة و النهوض بها و الشروع في وضع اللبنة الأولى لعملية البناء و التأسيس ، و هي لحظة فارقة و حاسمة ، تتطلب من جميع النخب السياسية و العسكرية ، و المجتمع المدني ، و كافة أطراف الشعب ، الترفع قدر الإمكان عن الأنانية المفرطة و حب الذات و النرجسية ، و نسيان كل الخلافات السابقة و التفكير

فقط في الوطن الجريح ، و نسيان الماضي و كل الخلافات الإيديولوجية و الشخصية ، و كل مخلفات الماضي القريب و مآسيه للحظات ، و الإبتعاد عن الترف الفكري و السياسي الذي كان سببا في تعطيل قطار الثورة ، و التحلي بالتضحية و نكران الذات، و كل القيم و الأخلاق الثورية ، لأن الثورة التحريرية هي ملك لكل الجزائريين . و ليست حكرا على المجاهدين و الشهداء و ما يسمى بالعاثلة الثورية ، صحيح أن الله جل جلاله قد فضل المجاهدين على القاعدين درجة ، ولكن الكثير من الجزائريين ساهموا في الثورة المباركة كل حسب إمكانياته المادية والمعنوية و الفكرية و الثقافية ، و منهم عدد كبير لم يطالبوا بثمن مساهمتهم و احتسبوه عند الله و هو خير و أبقى ، فماذا يقول الإستعمار السابق ، عندما يرى ثوار الجزائر يتقاتلون على اشلاء دولة منهكة و هيكل وطن ممزق بعد ١٣٠ سنة من الإحتلال و ٧ سنوات و نصف من حرب مدمرة إستعمل فيها العدو كل وسائل الإبادة ضد الشعب الجزائري ، لقد فشلتم في إدارة الصراع بينكم و في تصفية مشاكلكم الشخصية و لم تتمكنوا من الإتفاق حول الحد الأدنى من الخطوط العريضة و أصبح كل واحد منكم لا يرى سوى نفسه زعيما لهذه الأمة ، و قد كانت مشكلة الزعامة عي سبب تأخير الإنفجار الكبير، و تهمة ألصقت بعدد من الشخصيات الوطنية و ابعدهم من التاريخ ، و ها هي نفس الأحداث تتكرر بنفس الطريقة و بنفس الشكل ، و إذا كان مشكل الزعامة قبل الثورة يتعلق برجل نرجسي مهوس بحب الظهور و الزعامة ، و كان أهلا لها بحكم التاريخ و المبادرة و الموقف ، فإن مشكلة الزعامة بعد إسترجاع السيادة الوطنية أصبحت مرضا مزمنيا يرهق كاهل دولة فتية مثقلة بتركة سلبية و هموم شعب متطلع الى الحياة الطبيعية العادية و المستقرة ، و ليس هنالك من حل لهذه المشكلة سوى الصبر و إنتظار نهاية العهدة الإنتخابية للرئيس الذي منحت له فرصة لإدارة و تسيير شؤون الدولة بإتفاق جميع الكتل و بإجماع النخبة السياسية و العسكرية في مؤتمر طرابلس على أنه مرشح الإجماع، و تمت تزكيته من طرف الحزب و الجيش ، و هناك مجال واسع لتقييم تجربته و حصيلة إنجازاته عبر الأطر الرسمية و المؤسسات شرعية كاللجنة المركزية للحزب و المكتب السياسي و البرلمان ، و هي المؤسسات التي تضم اطيافا مختلفة من مكونات المجتمع الجزائري ، ويشهد العديد من المحللين المحايدون و حتى من المسؤولين أنها كانت تتوفر على حد أدنى من حربة التعبير و الرأي ، و هناك حلول سياسية لكل وضعية شائكة و معقدة و إذا تتطلب الأمر حسما نهائيا يمكن اللجوء الى عقد مؤتمر إستثنائي يكون محطة لتقييم و محاسبة الرئيس المنتخب . و سحب الثقة منه و الإعلان عن إنتخابات رئاسية مسبقة ، تفتح افقا جديدا أمام النخب السياسية الموالية و المعارضة ، و تعيد الأمل الى شعب ينتظر بفارغ الصبر تحريك عجلة التنمية و البناء ليعوض ما فاتته في ليل الإستعمار الطويل ، لكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن و تعددت الحسابات السياسية الخاطئة ، و تمسك الرئيس بموقفه ، و لم يستجب لنداءات و نصائح الأصدقاء و المقربين منه ، الذين كانوا يدركون من دون شك أن الرئيس أحمد بن بلة بأقدامه على تلك الإجراءات الخاطئة كان يسير في طريق مسدودة لا نهاية لها سوى الإنتحار السياسي و الخروج من بوابة التاريخ بزاد قليل ، و سيأتي يوما يذكر فيه الناس و المؤرخين و الكتاب هذه الصفحات السوداء من تاريخنا ، و ستتذكر الأجيال كيف تلعب السلطة بمصير الرجال و كيف أنقذ الرجال الوطن و التاريخ . .

- حركة 14 - ديسمبر -67 أو المغامرة الفاشلة

ذكرنا في الفقرات السابقة أن إعادة قراءة حيثيات إنقلاب ١٩ جوان ٦٥ و مظاهره و تداعياته و أهم مبرراته السياسية و الأمنية ، يبدو بالنسبة لنا نحن جيل الإستقلال ، انه لم يكن إنقلابا بالمفهوم السياسي و العسكري و حتى اللغوي للكلمة ، بقدر ما كان تغييرا داخليا سلسا و نظيفا و من دون ضجيج أو حتى مقاومة من الضحية ، لواجهة نظام و إستبدالها بواجهة أخرى ، كما ذكرنا أن المجموعة التي خططت للإنقلاب إختارت شخصية ثورية كانت آخر من قاد الولاية التاريخية الأولى ، و هو قائد الأركان العقيد الطاهر زبيري لتنفيذ عملية عزل الرئيس التي تمت كما يعلم الجميع في منتصف الليل ، لم تكن تملك برنامج عمل واضح أو مشروع سياسي بديل ،لأن المشكلة لم تكن في الأصل مشكلة برنامج تموي أو مشروع سياسي ، بقدر ما كانت نتيجة حتمية لصراع مرير و صامت داخل النظام بين رئيس مدني منتخب لم يحسن التعامل مع حلفائه بشكل ذكي و راق و حاول تصفيتهم بدعوى التخلص من ضغوطاتهم و تدخلاتهم المتكررة في صلاحياته ، و جماعة وجدة التي شعرت بأنها خدعت من طرف حليفها السابق و خاب ظننها فيه ، و هو نفس السيناريو الذي يتكرر في كل مرة على إمتداد تاريخ الثورة و بعد الإستقلال ، مع نفس الشخصيات الثورية و مع صناع التاريخ و مختلف النخب السياسية ، يمكن تلخيصه في كلمة واحدة جامعة و هي حب . الزعامة . و المحافظة على المكاسب المادية التي تكون في بعض الأحيان معلبة بشكل جيد في إطار عام من الشعارات الجذابة ، و لذلك لم تمض سنة و نصف على الإطاحة بأول رئيس جزائري منتخب ، و فرض الإقامة لجبرية عليه ، حتى ظهرت بوادر خلافات شخصية حادة بين نفس المجموعة التي خططت و قادت الإنقلاب و التي تبلورت فيما بعد في مؤسسة . مجلس الثورة . تطورت بشكل سريع الى التفكير في تنظيم إنقلاب عسكري ضد العقيد هواري بومدين الذي اصبح بحكم الواقع رئيسا للدولة ، و سنرى من خلال تطور الأحداث أن نفس الشخصيات العسكرية التي قامت بتنفيذ الإنقلاب على الرئيس أحمد بن بلة ، هي التي حاولت القيام بإنقلاب عسكري على الرئيس هواري بومدين في ١٤ . ديسمبر . ٦٧

- العقيد زبيري... و اللعب بالنار

يحاول العقيد الطاهر زبيري في مذكراته تقديم حركة ديسمبر ١٩٦٧ الفاشلة ، و كانها فتح جديد و محاولة لإنقاذ الوطن مما يسميه بوادر ديكتاتورية عسكرية جديدة ، في حين تجمع الكثير من الشهادات التاريخية أن العقيد زبيري كان يعتقد ان توقيع إنقلاب عسكري جديد و الإطاحة بحكم زملائه من أصحاب القبعات ، هو مجرد نزهة شتوية بين جبال الونشريس و الأطلس البليدي، في عز الشتاء و في شهر رمضان المبارك ، أو هي مجرد ألعاب نارية بسيطة كالتى يتسلى بها الأطفال عشية الإحتفال بالمولد النبوي الشريف ، أو لتمثيل أدوار بوليسية مستنسخة من أفلام الكوبوي الأمريكية التي كانت مشهورة في ذلك الوقت ، و قد إجتهد كثيرا لإيجاد تبريرات مقنعة لمحاولة الإنقلاب الفاشلة على مجموعة العقيد هواري بومدين التي كان عضوا بارزا و فعالا فيها ، مؤكدا بأن الهدف من تلك الحركة هو الضغط على العقيد هواري بومدين من أجل إعادة برمجة إجتماعات مجلس الثورة ، ولم تكن تلك المحاولة منذ البداية تخطيطا و تنفيذيا محاولة إنقلابية تستهدف تغيير واجهة النظام ، كما يحاول تقديم شخصيته كمنقذ للدولة من نظام شارك في صياغته و تصميمه مع سبق الإصرار و الترصد .- مرت نحو ستة أشهر عن آخر إجتماع لمجلس الثورة ، و بومدين لا يلقي بالا لمطالبنا بضرورة عقده بشكل دوري ، فقد تركت أزمته مع علي منجلي أثرا عميقا في نفسه ، كما أنه كان يرى أن مجلس الثورة له دور شكلي فقط ، لذلك ركز في

عملية بناء الدولة على تنظيم الجيش ، قمت بإستقبال وفود عسكرية أجنبية من عدة بلدان كمصر، و سوريا ، و الإتحاد السوفياتي ، في المطار بشكل عاد ، أياما قبيل بداية الإحتفالات بعيد الثورة ، لكن في يوم الإحتفال لم أذهب لحضور الإستعراض العسكري ، وتأخر إنطلاق الإحتفال ساعتين و نصف . فأتصل بي عبد المجيد علاهم مدير التشريفات بالرئاسة و قال لي بومدين ينتظر بكصر الشعب لتذهب معه الى الإستعراض العسكري و أنت لم تأت بعد ؟ قل لبومدين أنني لن أتى حتى تنظم إجتماع مجلس الثورة و حينها سأحدث فيه ، غيابي عن الإستعراض العسكري اثار جدلا و نقاشا و تساؤلات بين الضباط و إطارات الدولة ، وحتى الوفود الأجنبية لاحظت بوادر أزمة في الجزائر تلوح في الأفق أثار رفضي حضور الإستعراض العسكري قلق بومدين ، فأرسل السعيد عبيد إلي و قال له لم يأت في الإستعراض قل له يأتي في حفل الأميرالية ، عندما جأني السعيد عبيد و أخبرني بالأمر ، أبلغته رسالة شفوية الى بومدين ما دمت لم أحضر في الإستعراض فلن أحضر في الحفل و أضفت جازما ، لن أحضر إلا في مجلس الثورة ، فأرسل بومدين بوتفليقة لمقابلتي ، لكنني بادرتة بالسؤال هل أنت مبعوث أم جئت في زيارة ؟ بل انا مبعوث ، وحاول بوتفليقة إقناعي بالعدول عن مقاطعة النشاطات الرسمية للدولة ، لكنني تمسكت بموقفي بضرورة عقد إجتماع لمجلس الثورة قبل أي شيء ، توجه بوتفليقة بصفته وزيرا للخارجية الى نيويورك لحضور إجتماع لجمعية الأمم المتحدة ، و عند عودته إجتماع مجلس الثورة للإستماع الى تقريره دون حضور قادة الداخل ، و رغم حساسية الأزمة التي تفجرت بيني و بين بومدين إلا أن مجلس الثورة لم يتناولها لا من قريب و لا من بعيد، كما أنني لم أحضر هذا الإجتماع، لأن مجلس الثورة لم يجتمع بكامل أعضائه و كنت أنوي تقديم إستقالتي كقائد للأركان لمجلس الثورة لا لبومدين ، حتى لا أمنحه هذا الشرف ، بلغ بومدين خبر تحصني بثكنة الليدو و أعتقد بأنني سأعطي الأوامر للفيلق المدرع بالزحف على مقر وزارة الدفاع و مقر الإذاعة و التلفزيون ، و قصر الرئاسة و إلقاء القبض عليه ، فإضطرب و إشتد قلقه خاصة أن بوتفليقة كان في مهمة بالخارج ، قائد أحمد في تيارت ، و يحياوي في بشار ، فغادر مقر الرئاسة و إختبأ في مكان مجهول و أخذ يصرخ على أركان دولته عبر الهاتف الثورة في خطر ، فجاءني وفد مشكل من العقيد عباس ، و الرائد بن سالم ، و الرائد سعيد عبيد ، و سألني سعيد بشيء من العتاب، لماذا أنت هنا ؟ بومدين جد قلق فأجبتة بحزم مادام يريد القبض علي فلا يرد القوة إلا القوة ، و رجع السعيد عبيد و بن سالم و كان معهما العقيد عباس و قابلوا بومدين و أخبروه بأنني لم ألق لألتحصن بثكنة الليدو إلا بعدما قرر إعتقالي ، لكن بومدين نفى بشدة صحة هذا الكلام و قال لهم هذا غير صحيح ، طلبتم إجتماع مجلس الثورة ، سأنظم الإجتماع و إذا أراد تعديل الحكومة فسأعدلها و إن خاف على أمنه فأنتم تضمنون أمنه ، هذه الإجابة ارضت كثيرا السعيد عبيد و يحياوي أخيرا قرر بومدين التنازل و الإستجابة لمطالب كبار الضباط و أغلبية أعضاء مجلس الثورة ، لكنهما لم يكونا يريدان تصعيد الأمور أكثر من ذلك ، فالأهم بالنسبة لهما هو تعديل مجلس الثورة ليكون أكثر إنسجاما ، في اليوم المولي و على الساعة الحادية عشر إلا ربعا ، فاجأني بومدين بزيارة الى بيتي في الأبيار رفقة أربعة من حراسه المقربين ، فأدخلته الى منزلي و عندما أراد حراسه الدخول منعتهم بلطف و قلت لهم إبقوا في الخارج هو عندي في أمان ، جلس بومدين على الأريكة و بادرنى بالعتاب ، يا صاحبي صنعت لنا أزمة هيتلر ، لقد ضخمت الموضوع كثيرا ، لم أكن على إستعداد لمجاملة بومدين ، فرديت عليه بشكل صريح ، يا سي بومدين ، لم ندرس مع بعض و لم نلعب مع بعض ، نحن إجتمعنا على مبادئ ، و لكنك جعلت الناس يشتمونا ، وعدناهم أن نقدم لهم أحسن مما قدم لهم بن بلة ، لكن الحالة تزداد تعفنا و الناس تصفنا ب كبرنات بومدين ، لكن بومدين لما لاحظ حدتي

في الكلام معه. فضل تأجيل النقاش الى فرصة أنسب ، و قال و هو يهيم بالإنصراف أنت غاضب جدا سنترك الأمر الى فرصة مقبلة و نتحدث ، بعد هذه الزيارة الشجاعة من بومدين ألح علي وفد الصلح أن أرد له الزيارة و لو من باب اللباقة لإمتصاص فتيل الأزمة التي بدأت تهدأ دون أن تنتهي مسيبتها ، فلم أجد مانعا في الأمر و زرت بومدين في بيته و لم يكن هذا اللقاء فرصة لإعادة الوفاق بيننا ، بقدر ما أظهر حجم البون الذي يفصلنا ، إذ أنني و بعد أن إستعرضت عليه القضايا التي دفعت بالأوضاع الى التآزم خاصة بعد تراجعته عن العديد من النقاط التي إتفقنا عليها قبل تنحية بن بلة ، و على رأسها إعادة الشرعية للبلاد و إلتزام مبدأ القيادة الجماعية رغم هذه الإنتصارات الصغيرة ، إلا أن إخفاقنا في الوصول الى البليدة جعل أمل إنتصارنا على بومدين مرتبط بمدى تحرك قادة النواحي العسكرية و الفعاليات الشعبية لدعم حركتنا ، إلا أنه لا هذا ولا ذاك حصل ، بل إن الوحدات العسكرية في الأوراس و بقية القادة العسكريين الذين وعدوني بالتحرك بقواتهم لدعمي ، تراجعوا عن موقفهم بعد واقعة العفرون ، إن حركة ١٤ ديسمبر . ١٩٦٧ لم تكن يوما محاولة إنقلاب عسكري كما يعتقد الكثيرون ، لأننا ببساطة لم نكن نسعى للإطاحة ببومدين من السلطة ، وإنما كان هدفنا الأساسي هو الضغط على بومدين لإعادة الشرعية للبلاد بعد تملصه من عهوده بمجرد نجاح التصحيح الثوري ، و إستجاب بومدين لهذا الضغط و لم ينفذ حكم الإعدام في حق ضباط حركة ١٤ ديسمبر، و سمعت أنه بعد سنوات من صدور هذا الحكم جاءه وزير الداخلية في عيد الأضحى و طلب منه أن يرخص له بتنفيذ الحكم الصادر بحقهم ، لكن بومدين أبى ذلك و قال له مستهجنا ، إذا كان الناس يضحون بالكباش فلن أضحي بالعباد يوم العيد ، بعد إستعراض هذه الفقرات من كلام العقيد الطاهر زبييري الذي نشر في مذكراته تحت عنوان نصف قرن من الكفاح ، نحاول أن نقدم قراءة تحليلية نقدية حول مضمونها ، و قبل ذلك نود أن نشير الى أن المذكرات كجنس أدبي يقترب من السيرة الذاتية في الشكل و المضمون ، كثيرا ما يغرق في الذاتية و النرجسية و مدح الذات و التغافل عن سلبياتها و أخطائها ، و رغم ذلك نسجل للعقيد الزبييري شجاعته في الإعتراف بالأخلاق العالية التي كان يتمتع بها الرئيس بومدين و خصومته الشريفة التي تجاوزت كل الخطوط الحمراء في تعاملها مع مشروع التمرد الذي قاده زبييري ، و طول النفس و التأنى و إستعمال كل الوسائل و الأساليب الممكنة من وساطات ، و إغراءات ، و تنازلات ، في سبيل عدم الدخول في صراع مسلح بين قطبي المؤسسة العسكرية .

. يستميت العقيد في الدفاع عن رؤيته لحركة ١٤ ديسمبر ١٩٦٧ الفاشلة و يصر على إعتبارها مجرد ألعاب نارية بمناسبة المولد النبوي الشريف ، و لكن بإستعمال المدفعية الثقيلة من طرف مجموعته ، و سلاح الطيران من طرف مجموعة العقيد بومدين ، و نلاحظ منذ البداية أن الرئيس هواري بومدين بحكم منصبه و مسؤوليته الثقيلة حاول أكثر من مرة تجنب الدخول في صدام مسلح قد يؤثر على وحدة المؤسسة العسكرية الفتية ، و قدم عدة تنازلات في سبيل الوصول الى حل وسط لكن دون جدوى .

. أن حركة ١٤ ديسمبر ١٩٦٧ كانت محاولة إنقلابية هدفها الأول و الأخير هو تغيير واجهة النظام ، و إستبدال العقيد هواري بومدين بشخصية سياسية أو عسكرية أخرى ضعيفة ، تحسن أداء أو تمثيل دور الرئيس - الواجهة - و يمكن إدراج هذه الأزمة كحلقة جديدة في مسلسل الإختلافات السياسية لأتفه الأسباب و الصراع على السلطة .

. أن الرئيس بومدين كان يخطط لإعادة بناء الدولة وفق أسس و مقاييس تحترم الحد الأدنى من الشروط السياسية و الإجتماعية ، وكان يطمح لإعادة شمل جميع الأخوة الذين فرقهم السياسة

و حب الزعامة و اللهث وراء الكرسي ، و حسب ما يروي العقيد عمار بن عودة لجريدة الشروق ٠٦٤ . ديسمبر ٢٠١٥ فإن أجنحة الرئيس هوارى بومدين التي حضرها كبرنامج عمل مستعجل عندما أصبحت فكرة الانقلاب أمرا واقعا لا مفر منه ، هي جمع شتات أعضاء المجلس الوطني للثورة و عقد مؤتمرا جامعا ، يكون إنطلاقة فعلية لمستقبل البلد ، إلا أن هذا المؤتمر لم يعقد للأسف الشديد، ويضيف العقيد بن عودة لنفس المصدر شارحا أسباب عدم إنعقاد مؤتمر جبهة التحرير الوطني كما كان يخطط له العقيد هوارى بومدين في إجتماع رؤساء النواحي العسكرية ، و بحضور قادة أركان الحرب للشرق و الغرب بعد التصحيح الثوري ، إفتتح بومدين الجلسة و قال أنه قرر جمع أعضاء المجلس الوطني للثورة و التحضير لمؤتمر جامع لجبهة التحرير الوطني ، فتدخل الرائد علي منجلي و قال له حرفيا - يا سي بومدين لا تحيي الموتى . و سأنده العقيد عبد الغني ، و إنتظر بومدين رد فعل القادة الآخرين لكنهم إلتزموا الصمت و لم يتكلم أحدا منهم . و لعل هذا ما جعله يتراجع عن فكرة تنظيم مؤتمر جديد للحزب ، مع التذكير بأن الرئيس بومدين كان ينوي أيضا تشكيل لجنة لمراجعة الدستور و أخرى لمراجعة إتفاقية إيفيان .

. الرئيس هوارى بومدين كان جد مستاء من عدم جدية بعض أعضاء مجلس الثورة ، و قدم تبريرات و أسباب عدم إلتزامه بعقد إجتماعات مجلسي الثورة و الوزراء بصورة منتظمة ، و لجوئه لإتخاذ بعض القرارات الهامة بشكل فردي بعد إخضاعها لإستشارة أقرب المقربين ، بأن عددا كبيرا من أعضاء مجلس الثورة يحضرون الى الجلسات و هم سكارى حتى الثمالة و لم يلمس منهم جدية كبيرة أو أدنى إهتمام بالقضايا الوطنية المصرية .

. إن إعلان ضابط سام برتبة عقيد في الجيش ، يحتل منصبا هاما في المؤسسة العسكرية ، و يتمتع بنفوذ كبير و سلطة لا حدود لها ، تجعل كل أبواب مؤسسات الدولة المركزية و المحلية مفتوحة أمامه ، بأن خط الحرارة مقطوع بينه و بين مسؤوله المباشر في الدولة و الجيش ، لدرجة لا يجد أية فرصة أو مناسبة رسمية أو غير رسمية لطرح أفكار و مناقشة بعض القضايا الهامة ، و عرض بعض المطالب المشروعة ، هو قول لا يصدق العقل البشري ، و لا يقبله المنطق ، لأن الخاص و العام و كل من لديه فكرة بسيطة عن تركيبة المؤسسة العسكرية يعرف أن قائد الأركان في كل جيوش العالم هو المسؤول التنفيذي للجيش ، و هذا المنصب لا يمنح لأشخاص مدنيين ، بخلاف منصب وزير الدفاع الذي قد يسند لشخصيات مدنية بإعتباره منصبا سياسيا ، و لا يتصور عاقل أن رئيس الدولة تحت أي ظرف من الظروف يمكنه ممارسة سلطاته و مسؤولياته في تسيير شؤون دولة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان و متاعب و مصاعب و إنشغالات ، و مسؤوليات ثقيلة بإعتبارها أمانة أمام الله و أمام الناس ، دون أن يستمع الى أقرب المقربين إليه في المؤسسات المدنية و العسكرية.

- الشروع في التنفيذ -

. أن العقيد زبيري لم يحسن إختيار اللحظة المناسبة و لم يوفق في إختيار الزمان و المكان ، فكان إختيار منتصف آخر شهر من السنة ، و في شهر ديسمبر الذي يتميز عادة بتساقط كثيف للأمطار و الثلوج ، مما يعيق حركة السير بالسيارات العادية ، فما بلك بالشاحنات و الآليات الحربية ، كما لم يوفق في إختيار التوقيت المناسب ، لأنه تصادف مع شهر رمضان الكريم ، شهر العبادة و الرحمة و المغفرة ، شهر التسامح و نكران الذات ، و التقرب الى الله في النهار بالصيام و القيام ، و في الليل بصلاة التراويح و التهجد ، زيادة على طبيعة الصيام كعبادة بدنية مرهقة نوعا ما ، تحدث تغييرا نفسيا على الإنسان ، و بعض الناس يشعرون بتشنج الأعصاب و سرعة الغضب ، نتيجة للجوع أو قلة النوم أو الحاجة الى السجائر ، و غالبا ما يتم تأجيل الحسم في القضايا الكبرى الى ما بعد شهر رمضان الكريم و من

المؤسف جدا أن لا يضع العقيد المتمرد هذه المعطيات الروحية أمامه عند تخطيطه لمحاولة الانقلاب الفاشلة .

. أن العقيد زبيري بإعتباره قائدا لأركان الجيش كان يملك خيارات أخرى للضغط على الرئيس بومدين: بوسائل و طرق سلمية ، أقل تكلفة و دون خسائر في الأرواح و المعدات.

. يؤكد العقيد زبيري في مذكراته أن الرئيس بومدين كان على إستعداد للإستجابة لجميع المطالب المشروعة و الشخصية التي طرحها العقيد زبيري ، لكن هذا الأخير تمادى في تصعيد الموقف . و بالتالي فلماذا واصل العقيد زبيري تنفيذ الانقلاب و لم يجنح للصالح ؟ مع النظام ، و أي نظام ؟ إذا كان يحيل الى تصور أن العقيد زبيري كان يدرك من حيث يشعر أو لا يشعر - أن المدة الفاصلة بين توقيع التصحيح الثوري ١٩ . جوان . ٦٥ و حركة ١٤ . ديسمبر . ٦٧ و التي تقدر بسنتين و نصف ليست مدة كافية للحكم على نظام ، أو تقييم سياسات أو برامج .

- تداعيات... و مواقف

إذا كانت مواقف الطبقة السياسية بشقيها الموالي و المعارض ، من التصحيح الثوري الذي أطاح بأول رئيس منتخب للجمهورية الجزائرية ، كانت واضحة و إيجابية و مؤيدة ، بشكل أو بآخر ، و مقتنعة بالأسباب و المبررات التي أدت الى تغيير واجهة النظام ، فإن النخب السياسية و العسكرية التي عايشت ذلك الحدث ، تكاد تجمع على إدانته بإعتباره مسرحية درامية ، غير محبوكة بشكل جيد ، بطلها عقيد في الجيش برتبة قائد أركان ، قام بإقتناع مجموعة صغيرة من أصدقائه بتمثيل بعض الأدوار الثانوية ، فجاء التنفيذ على الركح سيئا و الإخراج رديئا ، بدليل النتائج العكسية التي تمخضت عن هذه المحاولة و تداعياتها العامة و الخاصة ، و في هذا الإطار يلخص العقيد محمد الصالح يحيوي نتيجة حركة العقيد الطاهر الزبيري المجنونة في جملة قصيرة ، و بكلمات قليلة ، لكنها كافية و شافية و معبرة عن الموقف بصورة عامة ، موجها كلامه الى العقيد الطاهر زبيري قائلاً لقد مر الآن قرابة نصف قرن على الأحداث الماساوية لحركة ١٤ . ديسمبر . ١٩٦٧ و غاب عنا و عن الساحة الكثير من الإخوة الرفاق الذين عاشوا و عاشوا هذه الأحداث بكل مرارتها ، الآن يجب أن يقر و يعترف الأخ سي الطاهر الذي أكن له دائماً كل التقدير ، بان حركته دمرت الجميع ، و أنه إنفرد بقراراته ، و أن هذه العملية تسببت في تصفية عدد من الإطارات الشابة للجيش ، التي كانت ذخرا لمستقبل الوطن . يومية الشروق ع ٢٥ . أكتوبر . ٢٠١١ أما العقيد إبراهيم جوادي فيقول في شهادته ليومية الشروق ع ٢٢ . أكتوبر . ٢٠١٤ في تعقيبته عن الأحداث الماساوية التي وقعت ليلة ١٤ . ديسمبر . ١٩٦٧ قائلاً هذا الرجل يصلح لقيادة الجنود في المعارك ، لكنه لا يصلح كقائد سياسي . فهو لا يستطيع تكوين جملة مفيدة ، و هذا لا يؤهله لقيادة دولة ، تصور أن الزبيري خطط للإنقلاب على بومدين كما يتم التحضير للعرس ، الرجل كان يوجه دعوات المشاركة في الانقلاب ، كما توجه الدعوات لحضور الأعراس ، و حتى العقيد الطاهر زبيري نفسه أبدى أسفا كبيرا و ندما شديدا على قيامه بتلك المغامرة التي كلفته على الصعيد الشخصي الكثير ، أنظر تصريحه ليومية الشروق ع ٠٦ . جانفي . ٢٠١٤ .

الفصل الثالث (3)

الثورات الثلاث

الثقافية ، الصناعية ، الزراعية

- الثورة الثقافية...أولا

إرتكز مشروع الرئيس هواري بومدين على فكرة الثورات الثلاث ، الثقافية والصناعية والزراعية ، وهي فكرة ومشروعاً ظهرت بوادرها في بريطانيا وفرنسا - النهضة الفكرية والعلمية والثورة الصناعية - ، و عرفت الثورات الثلاث الثقافية والصناعية والزراعية مع بداية الدولة الصينية الحديثة ، ثم أصبحت فكرة مشاعة بين الدول ، و عرفنا أن الثورة هي حركة فاعلة لتغيير الواقع ، تسبقها وتمهد لها ثورة فكرية وثقافية هادئة وبطيئة ، فالثورات الثلاث هي في حقيقة الأمر خلاصة التجربة الإنسانية منذ غابر العصور الى العصر الحديث ، و إذا عدنا الى التسلسل التاريخي نجد أن الإسلام كدين سماوي ونظام حياة يعتبر ثورة ثقافية وفكرية وعلمية بكل المقاييس ، و هو الحدث العالمي الوحيد الذي كان فارقاً بين مرحلتين وأحدث انقلاباً جذرياً في طبيعة البشر وعلاقتهم بالله و الكون والحياة ، و في جانبه السياسي يعتبر الإسلام نظاماً عالمياً جديداً مبنياً على فكرة التوازن بين الثنائيات والتكامل بين المتناقضات ، ويخضع لنواحيث أساسية غير قابلة للمناقشة أو التعديل والإثراء ، و متغيرات عديدة ، وترك للعقل الإسلامي هامش كبير من التفكير والإجتهد لحسم القضايا الخاضعة لمبدأ المتغيرات لكن في حدود النص وفي إطاره العام ، و قد شهد التاريخ الإسلامي ثورات ثقافية وفكرية عديدة تركت بصمات خالدة في العالم ، في العصر العباسي ، و في الأندلس ، و في المغرب الإسلامي ، و يحاول العديد من الكتاب والمهتمين تسويق فكرة الثورات الثلاث كمنتوج صيني حديث ، دون أن يلتفتوا قليلاً الى الوراء لإستقراء التاريخ القريب ، ليتأكدوا أن الإسلام هو أكبر ثورة في التاريخ الإنساني بشهادة العديد من المنصفين من الكتاب الغربيين والمستشرقين ، و أن الثورات الثقافية والعلمية التي ظهرت في أوروبا وأمريكا في العصر الحديث ، إستفادت بشكل أو بآخر من التراث الفكري والثقافي والعلمي الذي صنعه الحضارة الإسلامية ، و قد ثار جدل طفيف في فترة حكم الرئيس هواري بومدين حول ترتيب الأولويات بالنسبة للثورات الثلاث ، و لمن يكون السبق ، و إذا كانت كل الثورات المسلحة التي قامت في العالم ضد حكم الإستبداد الملكي قد سبقتها ومهدت لنجاحها ثورة فكرية صامتة ، فمن الطبيعي أن تكون الثورة الثقافية هي قاطرة الثورات ، و قد أدركت النخبة السياسية في الجزائر هذه الفكرة و راهنت في بداية الإستقلال على ثورة ثقافية متدرجة وطويلة النفس ، تتطرق بالموازاة مع التحضير لثورة صناعية وأخرى زراعية ، حيث لا يمكن قيادة أو نجاح ثورة صناعية من دون نخبة مثقفة ومتعلمة ومتحكمة في تقنيات العصر وتكنولوجياته المتطورة ، و لا يمكن التكهن بنجاح ثورة زراعية من دون نخبة علمية وإطارات كفئة تتحكم في آخر تقنيات الزراعة الحديثة ، و تحسن إستعمال الآلات الحديثة .

- الثورة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية

الثورة الثقافية هي بكل بساطة تمرد هادئ على الأساليب القديمة في إكتساب العلم والمعرفة ، و قد حاولت الحركة الوطنية بشقيها السياسي والإصلاحي ، الإستثمار أولاً في الإنسان من خلال الثقافة والعلم ، و يمكن إعتبار الجهود الفكرية والثقافية والعلمية التي قام بها الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفة فردية بداية من سنة ١٩١٣ هي أولى خطوات الثورة الثقافية الجزائرية الحديثة ، ثم تكلفت بتأسيس جمعية العلماء المسلمين ، دون أن ننسى النشاط الثقافي والعلمي الذي ساهم فيه حزب الشعب في هذا المجال ، و النخب المستقلة المعربية والمفرنسة ، التي كانت تنشط في المجال الصحفي والأدبي كما كان للشعر دور لا يستهان به في إيقاظ الشعور الوطني ورفع معنويات الشعب ، و على إمتداد القرن العشرين ولدت مئات بل آلاف القصائد الثورية في شكلها العمودي

درجة من الوقاحة إعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر يمنع تدريسها إلا بعد الحصول على ترخيص من الإدارة الإستعمارية، لكن إرادة الله كانت أقوى من مكر المستعمر .

- معركة التعريب

كانت قضية التعريب من بين أهم القضايا التي إهتم بها الخطاب الرسمي منذ مؤتمر طرابلس الى غاية الميثاق الوطني لسنة ٨٦. و كانت قضية اللغة محور صراح الرفقاء بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، و كانت سببا غير معلن في تمرد حسين آيت أحمد بعد إطلاعه على تسريبات مسودة أول دستور جزائري لسنة ١٩٦٣ الذي أعطى مكانة محترمة للغة العربية و الدين الإسلامي بإعتبارهما من أهم مقومات الشخصية الوطنية ، و قد قاوم التيار العربي الإسلامي بشراسة هجومات و محاولات رموز التيار البربري و التيار الفرنكوفوني بإعتبارهما من أشد أعداء العروبة و الإسلام ، و كما حاولت أطراف من داخل النظام و ما زالت عرقلة التعريب ، فقد كانت معركة التعريب هي ثاني معركة جانبية يخوضها التيار الوطني العربي الإسلامي ضد خصومه ، بعد معركة الحسم النظري في مؤتمر طرابلس و فرض الأمر الواقع على الأرض بالقوة و إجتياح العاصمة ، حتى لا تصبح ملكا لدعاة البربرية و الفرنكوفونية و الليبرالية الذين كانوا يحلمون بأن تتحول البلاد الى قطعة ذهبية من فرنسا ، و يصبح الإستقلال مجرد إجراء شكلي لا يختلف كثيرا عن الحكم الذاتي الموسع ، فما هو مفهوم التعريب في فكر الرئيس هواري بومدين وما رؤيته و موقفه من خصوم التعريب ؟

التعريب بالنسبة للرئيس هواري بومدين و هو رمز للنخبة السياسية و العسكرية التي تبنت إتجاهها وطنيا عربيا إسلاميا ، قضية مبدئية مفروغ منها لا تحتمل المناقشة من أي طرف كان ، و موضوع مغلق من حيث المبدأ ، لسبب بسيط و هو أن اللغة هي في أبسط تعريف لها تعبير عن الإنتماء، فإذا كان الفرنسي يتكلم لغته و الروسي يستعمل لغته الوطنية ، فمن البدهة و الطبيعي أن يستعمل الجزائريون بصفتهم مسلمين و عرب اللغة العربية في حياتهم اليومية و تعاملاتهم العامة و الخاصة ، و من الطبيعي أن تكون العربية لغة رسمية للدولة ، و مشكلة التعريب هي في الحقيقة من رواسب الإستعمار ومخلفاته ، و ربما كان عذر الأجيال التي لم تتمكن من الحصول على تعليم باللغة العربية و لم تتمكن من التحكم فيها لظروف تاريخية ، فإن الجيل الجديد جيل الإستقلال لا عذر له إذا لم يتمكن من التحكم في لغته الأصلية و إتقانها بشكل جيد ، و قد تطفن الرئيس الى المؤامرات الخفية التي تحاك في الظلام من عدة أطراف للتقليل من قيمة اللغة العربية و التسويق للغات أجنبية، فأكد أن المجال لا يسمح بالمقارنة بين اللغة العربية و اللغة الفرنسية بالمرة ، و أبان عن موقف متشدد من اللغة الفرنسية بإعتبارها لغة المستعمر، قبل أن تكون لغة عالمية و نافذة للجزائر على العلوم و التكنولوجيا ، فهو يتبنى بشكل مباشر و صريح موقف الحركة الوطنية و جمعية العلماء الصارم من اللغة الفرنسية، فيؤكد أن مجرد تحقيق الإستقلال و إسترجاع السيادة الوطنية لا يعني بالضرورة أن موقفنا من اللغة الفرنسية سيتغير الى النقيض و بسهولة ، فاللغة الفرنسية ستبقى و ستظل لغة أجنبية في الجزائر ، كما يحاول دعاة الإبقاء على اللغة الفرنسية معززة مكرمة في الجزائر الإستقلال، بإعتبارها لغة عالمية و منفذ فكري نحو العلوم و التكنولوجيات الحديثة ، كما يسوق لهذه الأطروحة رموز الفرنكوفونية و حماة المصالح الثقافية الفرنسية في الجزائر ، في مقابل موقف التيار العربي الإسلامي الذي يعتبر وجودها في الساحة الفكرية هو مزاحمة و تضيق على اللغة الأم ، و الهدف من التعريب هو تخريج أجيالا من الجزائريين المتعلمين باللغة العربية ، ضرورة الإنفتاح الواعي على اللغات الأجنبية و ليست بالضرورة الفرنسية ، و حاول أن يذكر خصوم التعريب من داخل النظام ، و من خارجه، أن الجزائر ستتصر في معركة التعريب ، كما أنتصرت في حرب

إسترجاع السيادة الوطنية ، و كما فشل الإستعمار في محاولاته المتكررة لمحو اللغة العربية من الجزائر و إستبدالها باللغة الفرنسية ، رغم الإمكانيات المادية و البشرية التي سخرها لتحقيق هذا الهدف، فلن يستطيع أي طرف أن يحقق في الجزائر الإستقلال ما عجز عن تحقيقه المستعمر ، و يجب أن يكون واضحا بادىء ذي بدء أننا لا نجتمع اليوم لمناقشة مبدأ التعريب ، فذلك أمر مفروغ منه ، ولا نقاش مطلقا حول المبدأ ، وببساطة لأن الفرنسي يتكلم الفرنسية و الصيني يتكلم الصينية و الروسي يتكلم بلغته الوطنية ، وحتى الصهيوني الذي يحتل جزءا من أراضينا العربية تمكن من أن يعيد الى الحياة لغة ميتة أكل عليها الدهر و شرب ، فمن الطبيعي إذن أن نستعمل نحن العربية ، و من غير الطبيعي جدا ألا نستعمل لغتنا الوطنية و إذا كان هناك من كانوا بالأمس ضحية أوضاع تاريخية شاذة فلا عذر اليوم لأي احد ، لأن القضية أصبحت قضية كرامة ، و اللغة العربية هي جزء لا يتجزأ من الشخصية الوطنية ، التي لن تكتمل إلا بإسترجاع أحد مقوماتها الرئيسية و هي اللغة العربية ، هناك نقطة أخرى يجب أن تكون واضحة ، و هي أنه لا مجال للمقارنة أو المفاضلة بين اللغة العربية و أية لغة أخرى ، فرنسية كانت أو إنجليزية ، لأن الفرنسية كانت و ستبقى مثلما بقيت في ظل الإستعمار لغة أجنبية ، لا لغة الجماهير الشعبية ، و إن لم يتمكن المستعمر من تحقيقه بالأمس بالسلاح ، لن يتحقق بأي حال من الأحوال على أيدي أبناء الشهداء . فقرات من خطاب الرئيس هواري بومدين في الندوة الوطنية الأولى للتعريب . التي جرت من ١٤ الى ١٧ ماي . ١٩٧٤ ، و في تقييمه لجهود الجزائر في تعريب التعليم العام و التقني و الجامعي ، كتب الدكتور تركي رابع تحليلا عميقا نشره في العدد ٩١ من مجلة الثقافة جانفي فيفري ١٩٨٦ نحاول الإستئناس به و الإقتباس منه بتصريف يسير، حتى نتمكن من تعقب أهم مراحل و خطوات و جهود التعريب في الجزائر .

- العربية لغة التعليم قبل الإحتلال -

كانت اللغة العربية هي أداة التعليم في الجزائر قبل دخول الإستعمار الفرنسي ، و بإعتراف الأكاديميين و المفكرين و المستشرقين الفرنسيين أنفسهم ، فقد حقق التعليم في الجزائر قفزات كمية و نوعية مقبولة بالنظر الى ظروف و إمكانيات ذلك العصر، لكن الفرنسيين لم تعجبهم تلك المكانة الجيدة التي بلغها قطاع التعليم في الجزائر ، فشرعوا في عملية الهدم لإعادة البناء ، تحطيم المنظومة التعليمية التي كانت سائدة و بإشكال تقليدية ، و إستبدالها بمنظومة تعليمية جديدة تعتمد على إبعاد اللغة العربية و إحلال اللغة الفرنسية مكانها ، بغرض تخريج نوعية جديدة من النخبة الجزائرية لا هي جزائرية و لا هي عربية ، و لا يربطها بوطنها الأم سوى الشكل و الإسم و اللقب ، يقول الدكتور رابع تركي بعد الإحتلال بقليل بدأ هذا التعليم يتدهور شيئا فشيئا ، نظرا للتعريب المتعمد لمؤسساته و أوقافه و مكاتبه في جميع أنحاء البلاد، بالإضافة الى إضطهاد طلبته و أساتذته، و بذلك أزيحت اللغة العربية من جميع معاهد التعليم ، ماعدا بعض الزوايا و المساجد القليلة ، و أصبحت اللغة الفرنسية وحدها لغة للتعليم في المدارس و المعاهد التي كانت موجودة من قبل أو التي أنشأها الإحتلال ، كما أصبحت الفرنسية لغة العمل في الإدارة ، و المحيط الإجتماعي و هي لغة الثقافة و سائل الإعلام المختلفة ، وقد كانت الفرنسية الشاملة للجزائريين لغة و حضارة و ثقافة و جنسية ، هي إحدى الركائز الأساسية لسياسة فرنسا في الجزائر و قد توجت فرنسا عملها بصدور قرار حكومي فرنسي في عام ١٩٣٨ يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، لا يجوز تعليمها و تعلمها إلا بصفتها لغة أجنبية و برخصة خاصة من إدارة الإحتلال ، من هنا كانت مشكلة - التعريب في الجزائر بعد الإستقلال تعتبر ميراثا إستعماري و ورثته الجزائر فيما ورثت من التركة الإستعمارية الثقيلة ، و جدير بالذكر أن تدريس اللغة العربية و مبادئ الدين الإسلامي في فترة الإحتلال ، لم تنقطع

أو الحر . وأن تجتمع في جزائر الثلاثينيات ، و بعد مائة سنة من الإحتلال الفرنسي نخبة فكرية و ثقافية من الطراز الرفيع من أمثال الشيوخ . عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، الطيب العقبي و غيرهم من المثقفين من مختلف الإتجاهات الفكرية و السياسية ، حيث إلتفت النخبة الإسلامية حول فكرة تأسيس جمعية ثقافية بإمكانيات قليلة ، فتحولت بفضل الله و بمساعدة المحسنين و رجال المال ، و إلتفاف الشعب الجزائري حولها ، بعد فترة وجيزة الى مؤسسة ثقافية ضخمة تتولى مهام عدة وزارات التربية و التعليم، الشؤون الدينية ، و الثقافة و الإعلام و التسلية . فالثورة الثقافية في الجزائر إنطلقت بشكل متواضع بأولى الدروس التي كان يقدمها المفكر الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة بداية من سنة ١٩١٣، و تكللت بتأسيس الجمعية سنة ١٩٣١ ، فحاولت أن تقود ثورة ثقافية شاملة من خلال بناء المدارس و فتح مجال التعليم أمام الفتيات . و إصدار الصحف و المجلات و الكتب ، و تأسيس النوادي الثقافية ، و دعم المجهود الشعبي لبناء المساحد و تأطيرها، و تبدو نظرة المفكر الشيخ ابن باديس ثقافية و في محلها بتركيز جهوده على بناء الإنسان . و الإستثمار في تكوين نخبة علمية و ثقافية واعية، تكون خلفية فكرية و رافعة سياسية لأية ثورة مسلحة محتملة و قادمة لامحالة .

- الثورة الثقافية بعد الإستقلال

أولى مؤتمر طرابلس الذي عقد قبيل الإعلان عن إسترجاع السيادة الوطنية بأيام أهمية كبيرة الثقافة بإعتبارها رافدا مهما من روافد التنمية و التقدم . و كانت الورقة التي قدمها أحمد بن بلة و هي تعبر من دون شك عن رؤية مشتركة لجماعة وجدة ، قد تبنت مشروعا طموحا يطيح بالموروث الثقافي و العلمي الإستعماري ، ويعيد صياغة منظومة تربوية جديدة نابعة من تراثنا العلمي و تاريخنا الثقافي ، و مرتبطة بأصالتها العربية الإسلامية و منفتحة على العلوم الحديثة ، و إعتبرت هذه القضية من الأولويات المستعجلة التي لا تحتمل الإنتظار أو التأجيل ، ولذلك إستغلت الموسم الدراسي الثاني بعد الإستقلال ٦٣ ، ١٩٦٤ لتعلن عن تفاصيل مشروع الثورة الثقافية في طبعتها الجديدة ، و بعد التصحيح الثوري واصل نظام هواري بومدين دعمه لثورة ثقافية تنطلق من مقاعد الدراسة . عبر مقارنة شاملة تجمع بين التعليم العام و التقني و الإسلامي لتغطية حاجيات المجتمع الجزائري من الإطارات العلمية و التقنية و الإسلامية ، و التي ستولى بدورها تكوين الأجيال الجديدة في مختلف مجالات المعرفة ، وفي تقديري أن الإنطلاقة الثقافية و إن كانت محتشمة و متواضعة بالنظر الى نقص الإمكانيات المادية و البشرية و ضخامة المشاكل و التحديات الناتجة عن إحتلال غاشم دام قرن و أزيد من ربع قرن إستهدف منذ البداية تحطيم البنية الثقافية و الفكرية للبلد و إعادة إنتاج إنسان جزائري جديد ممسوخ و مقطوع الصلة عن جذوره الثقافية العربية الإسلامية ، دون أن يتمكن من تحصيل ثقافة فرنسية راقية ، قد تتحول في المستقبل الى شوكة في حلق المستعمر ذاته .

- مظاهرها و سيماتها

و كانت اهم مظاهر و آليات الثورة الثقافية هي بطبيعة الحال التعليم ثلاثي الأبعاد عام و تقني و إسلامي التعريب التدريجي، الإنفتاح على اللغات الأجنبية، محو الأمية، البعثات العلمية الى الخارج ،الجزارة التدريجية، بناء الهياكل الجديدة، . إنشاء مطابع الجيش ، ديوان المطبوعات المدرسية و آخر للمطبوعات الجامعية ، إنشاء مركب كبير للطباعة بالرغاية ، مركبات جهوية للطباعة و التجليد ، فتح السوق المحلية للمطبوعات الأجنبية كتب و مجلات و صحف تأسيس الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . لنشر الكتب الثقافية و العلمية العامة، و كانت أهداف الثورة الثقافية واضحة للعيان و بشكل جلي و هي الإسراع في محو آثار ١٣٠ سنة من الإستعمار الثقافي ، الذي بلغ

بشكل نهائي و لكن تم تقليص المؤسسات التعليمية الأهلية ، و فتح مؤسسات أخرى للتعليم باللغة الفرنسية ، و قد أدت المساجد و الزوايا و الكتاتيب دورا كبيرا في الحفاظ على الإرث الثقافي و العلمي ، و كانت العائلات الجزائرية تورث القرآن و اللغة العربية و مبادئ العلوم الإسلامية الى أبنائها كما تورثهم العقارات و الأموال ، و مع مطلع القرن العشرين تولى الشيخ المفكر عبد الحميد بن باديس تقديم دروس منتظمة في مختلف العلوم الإسلامية بالجامع الأخضر ، ثم تأسست جمعية العلماء سنة ١٩٣١ لنشر العلم و الثقافة العربية و توفير فرص لتعليم الجزائريين بلغتهم الأم ، حيث بلغ عدد المدارس التي بنتها ٤٠٠ مدرسة منتشرة في مختلف مناطق الوطن ، و في مرحلة أخرى قامت الجمعية بإرسال الطلبة الجزائريين لإستكمال الدراسات العليا في مختلف الجامعات العربية و الإسلامية ، كما كان لحزب الشعب نشاط تعليمي مكثف ، و قام ببناء عدة مدارس عبر الوطن تدرس مختلف العلوم الإنسانية باللغة العربية . وبعد الإستقلال وجدت البلاد نفسها أمام أزمة إطارات معربة حيث لم يكن عدد الطلبة الذين تخرجوا في الجامعات العربية يكفي لتغطية كل المؤسسات التعليمية بمختلف أطوارها ، فلجأت الحكومة الى الإستفادة من خدمات الدول العربية مصر، سوريا، العراق، فلسطين .

- واقع اللغة العربية غداة الإستقلال

أقل ما يمكن أن يوصف به واقع اللغة العربية بعد إسترجاع السيادة الوطنية هو الوضع الكارثي ، حيث كانت الفرنسية هي سيدة الموقف و من دون منازع ، و هي لغة التخاطب اليومي بين المواطنين و لغة الإدارة و الإعلام و التعليم ، لذلك كان مشروع التعريب خطوة إستراتيجية لا يمكن تأخيرها أو تأجيلها ، يحضى بالأولوية لدى النخبة الحاكمة ، يقول الدكتور رابح تركي في هذا السياق - من هنا جاءت صعوبة تحقيق عملية التعريب في الجزائر، و كانت معركة الجزائر في تحقيق التعريب و إسترجاع مقومات شخصيتها الوطنية ، معركة ضارية ، فعلى جانب النقص الكبير في الكوادر المعربة ، و عدم وجود أساس إداري معرب يمكن الإعتماد عليه في إقامة إدارة وطنية ، كانت هناك معارضة من بعض الجزائريين الذين أفلح الإستعمار عن طريق الغزو الثقافي في إستلابهم فكريا ، غير أن الإرادة السياسية للقيادة الجزائرية و تصميم الشعب الجزائري على إستعادة كل مقومات شخصيته الوطنية ، إستطاعت أن تتغلب على مجمل صعوبات التعريب و أن تتوصل عن طريق الحوار الديمقراطي ، و عملية الشرح و الإقناع لبعض الفئات الجزائرية القليلة المثقفة ثقافة أجنبية خالصة ، والتي تخوفت من عملية التعريب ، إستطاعت أن تقنعها بأن التعريب ليس عملية خاصة بطائفة معينة من الجزائريين دون غيرهم من بقية الجزائريين الآخرين .

- أهم مراحل تعريب التعليم من 1962 الى 1978

يقول الدكتور رابح تركي في نفس المصدر سارت عملية التعريب في مرحلة التعليم العام في خطين متكاملين

. الخط الأولى هو إدماج اللغة العربية في أول عام دراسي بعد الإستقلال و هو عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ في جميع سنوات التعليم الإبتدائي و المتوسط و الثانوي ، لعدد معين من الساعات يتراوح بين سبع ساعات في الأسبوع في التعليم الإبتدائي ، و ما بين أربع الى خمس ساعات في المرحلة المتوسطة و الثانوية ، حسب الإمكانيات من حيث توفر المدرسين و الكتب المدرسية ، و قدرة التلاميذ على متابعة دروس اللغة العربية ، و رغم هذا المكسب الكبير الذي أحرزت عليه اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية بعد الإستقلال مباشرة ، إلا أنه يعتبر في الواقع مكسبا رمزيا فقط ، الهدف الأساسي هو أن تصبح اللغة العربية أداة تدريس كافة المواد في المدرسة الجزائرية ، و لذلك فإن المسؤولين

و الوطنيين الغيورين على مقومات الشخصية الوطنية لم يقنعوا بهذا المكسب المتواضع ، و إنما تطلّعون الى تحقيق التعريب الشامل لمواد الدراسة في التعليم العام و التقني في مختلف تخصصاته ، بالإضافة الى تعريب التعليم العالي .

. الخط الثاني الذي سارت عليه عملية تعريب التعليم العام و التقني هو جعل اللغة العربية أداة تدريس لمواد هذه المرحلة التي مرت بدورها بعدة مراحل .

المرحلة الأولى: تعريب التعليم العام و التقني (1970 / 64)

و قد تم في هذه المرحلة تعريب السنة الأولى الإبتدائية تعريبا كاملا و ذلك في العام الدراسي ١٩٦٤ - ١٩٦٥ و بعد عامين تم تعريب السنة الثانية الإبتدائية و ذلك في العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ كما عربت السنة الثالثة الإبتدائية تعريبا جزئيا في العام الدراسي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ و ذلك بتدريس المواد الإجتماعية باللغة العربية ، و الحساب و العلوم باللغة الفرنسية ، أما المرحلة الثانوية فقد إنشئت فيها ثلاث ٣ ثانويات إبتداء من عام ١٩٦٣ معربة تعريبا كاملا ، إثنان ٢ منها في العاصمة و هما ثانوية عائشة أم المؤمنين للبنات و ثانوية ابن خلدون للبنين . الذكور ، أما الثانوية الثالثة و هي ثانوية الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد أنشئت في مدينة قسنطينة مسقط رأس الشيخ ابن باديس و هي خاصة بالذكور ، و قد كانت الثانويات الثلاثة المذكورة تشتمل على التعليم المتوسط و الثانوي معا ، و تخرجت منها أول دفعة من الطلبة الجزائريين من حملة شهادة البكالوريا الثانوية في الرياضيات ، و العلوم ، و الآداب باللغة العربية في عام ١٩٦٨ و أستسمح الدكتور الفاضل رابح تركي لنفتح قوسا للتويه بالحس الإسلامي العالي الذي كانت تتمتع به القيادة السياسة التي حكمت البلاد بعد الإستقلال من خلال حرصها على الفصل بين الذكور و الإناث في التعليم ما بعد الإبتدائي إيماننا منها بأن الإختلاط بين الجنسين في هذه المرحلة الصعبة من عمر الإنسان يؤثر بشكل سلبي على نفسية الطرفين ، و يؤدي الى زوال الحياء و ظهور آفات إجتماعية . و الثانويات المذكورة هي التي أمدت الأقسام العلمية المعربة في كلية العلوم بجامعة الجزائر المركزية بالدفعات الأولى من الطلاب المسجلين لمتابعة دراستهم باللغة العربية ، لكي يتخرجوا أساتذة في التعليم الثانوي ، و نلاحظ أن أغلبية طلبة الثانويات الثلاثة المذكورة هم من تلامذة المدارس الحرة المعربة التي أنشأتها بعض المنظمات الوطنية في عهد الإحتلال مثل جمعية العلماء ، و الجمعيات الخيرية في وادي ميزاب ، و حزب الشعب الجزائري ، و قد تم في هذه المرحلة تعريب ١٥ مدرسة متوسطة ، بالإضافة الى إنشاء أقسام عديدة معربة في عدد كبير من المتوسطات و الثانويات ، و قد شرع في هذه المرحلة في تعريب مواد التاريخ ، و التربية الوطنية و التربية الأخلاقية ، و الفلسفة ، و أنشئت عدة معاهد لتكوين المعلمين للمرحلة الإبتدائية و المتوسطة .

- المرحلة الثانية لتعريب التعليم العام و التقني (1971 / 1974)

و نلاحظ في هذه المرحلة أن اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم التي أنشئت سنة ١٩٦٩ تحت وصاية وزارة التربية الوطنية كانت قد أعدت خطة علمية لإصلاح التعليم الموروث من العهد الإستعماري و تعريبه ، و حاولت فيما يخص تعريب التعليم الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي كانت مطروحة للمناقشة خلال الستينيات من القرن الماضي ، و على ضوء الإجابة عنها وضعت خطة لتعريب التعليم في مختلف مراحلها ، و قد أقرت اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم خطة لتعريب التعليم العام ، أطلق عليها التعريب النقطي ، تمتد لمدة ١٢ سنة ، بداية من سنة ١٩٧٠ تحقيق الأهداف التالية - التعريب ، ديمقراطية التعليم ، الجزارة .

١ . تعريب جميع المواد التي تدرس في السنتين الإبتدائيتين الثالثة و الرابعة ، و تدريس الفرنسية كلغة أجنبية .

٢ . تعريب جميع المواد التي تدرس بثلاث الأقسام المفتوحة في السنة الأولى متوسط ، و تدريس الفرنسية كلغة أجنبية فقط .

٣ . تعريب جميع المواد التي تدرس في السنة الأولى ثانوي ، بما في ذلك المواد العلمية كالفيزياء و الكيمياء ، و الرياضيات و العلوم الطبيعية .

٤ . تعريب ثلث المواد التي تدرس في السنتين الخامسة و السادسة إبتدائي ، لكي تتصل حلقات السلسلة بعضها ببعض ، فيمتد التث المعرب من الإبتدائي حتى الباكالوريا

٥ . تعريب كل الشعب الأدبية المفتوحة في السنة الأولى ثانوي ، و تعريب مادة الفلسفة في السنة النهائية للتعليم الثانوي

٦ . أما في التعليم التقني فإن كل مواد التعليم العام في البرنامج معربة مثل الأدب و التاريخ و التربية الخلقية و التربية الدينية ، أما المواد المتخصصة فتدرس باللغة الفرنسية

- المرحلة الثالثة لتعريب التعليم العام و التقني (1975 - 1979)

و قد تم في هذه المرحلة تحقيق عدد من الإنجازات في ميدان تعريب التعليم العام و التقني يمكن إيجازها فيما يلي

١ . إنعقاد الندوة الوطنية الأولى للتعريب تحت رئاسة الرئيس هواري بومدين من ١٤ الى ١٧ ماي ١٩٧٥ حيث خرجت بمخطط محكم لتحقيق التعريب الشامل في التعليم و الإدارة و المحيط الإجتماعي و الثقافة و وسائل الإعلام .

٢ . صدور مراسيم تنظيم المنظومة التربوية الجديدة التي تتضمن إصلاحا جذريا للتعليم و تعريبه ، و جاء في المادة ٨ منه ما يلي يكون التعليم باللغة العربية في جميع مستويات التربية و التكوين ، و في جميع المواد ، كما حددت المادة ١٧ منه النظام التربوي كما يلي يتفرع النظام التربوي الى مستويات التعليم التالية التعليم التحضيري ، التعليم الأساسي ، التعليم الثانوي ، التعليم العالي .

٣ . تعريب المعاهد التكنولوجية الخاصة بتكوين المعلمين للمرحلتين الإبتدائية و المتوسطة .

٤ . إنشاء ثلاث مدارس عليا لتكوين أساتذة التعليم الثانوي و التقني في كل من العاصمة وهران و قسنطينة . مجلة الثقافة ٩٤ جانفي فيفري ١٩٨٦ ، و قد إعتمدت القيادة السياسية لتحقيق أهداف تعريب التعليم بمختلف مراحلها ، ثلاث خطط أو إقتراحات فسرهما الأستاذ الطاهر زرهوني في مقال له بمجلة الثقافة ٩٣ع ماي جوان ١٩٨٦ و هي التعريب الرأسي و التعريب المحلي الجغرافي، و التعريب النقطي .

١ . التعريب الرأسي ينطلق من السنة الأولى للتعليم الإبتدائي و يتوسع سنة بعد سنة دون إنقطاع ، و لم يتم الموافقة على هذه الطريقة ، لأنه يستحيل توفير كل الأعداد التي يحتاج إليها التعريب من معلمين و أساتذة باللغة العربية كل سنة .

٢ . تعريب محلي جغرافي ينطلق من الجيهاات التي سلمت الى حد ما من تأثير الوجود الثقافي، كمناطق الجنوب مثلا .

٣ . تعريب نقطي يتناول مستوى من مستويات التعليم الإبتدائي و الثانوي و إن كانت بنسبة محدودة ، فإن هذه الطريقة التي حظيت بموافقة إطارات التربية ، و شرع فعلا في تنفيذها إبتداءا من شهر أكتوبر ١٩٧١ ، و أنطلقت مسيرة التعريب ، إنطلاقة لا رجوع عنها ، و إنتقلت العربية الى مرحلة التعبير عن المفاهيم العلمية و التقنية .

- تعريب التعليم العالي

أما بالنسبة لظروف تعريب التعليم العالي و الأشواط التي قطعها و الإنجازات التي تحققت خلال الفترة محل الدراسة ٦٥ . ١٩٧٨ فيقول الدكتور رابح تركي في نفس المصدر في عام ١٩٧٠ نشأت في الجزائر وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، لأول مرة في تاريخ الجزائر ، و قد رسمت خطة شاملة لإصلاح التعليم العالي ، شرع في تنفيذها إبتداء من العام الدراسي ٧١ - ١٩٧٢ و ترتب عليها تغيير شامل لبرامج الدراسة على أساس أن أهداف التكوين المتكامل للطالب الجامعي يتضمن إيصال المعلومات العلمية إليه كاملة و مترابطة ، ضمن ميدان محدود من أجل تعميق المعرفة و الإطلاع ، و قد وضعت المناهج العلمية الجديدة طبقا للإصلاح المذكور على أساس ربط التعليم النظري بالتطبيق العملي من خلال الأعمال التطبيقية و التوجيهية ، و الحلقات الدراسية من جهة ، و من جهة أخرى فقد تقرر طبقا لإصلاح التعليم الجامعي تكييفه في جميع فروع مع الإحتياجات الوطنية في التنمية الإقتصادية و الإجتماعية ، و تقرر إحداث التغييرات التالية على هيكل التعليم الجامعي و هي

- ١ . إلغاء السنة الإعدادية في جميع الجامعات و المدارس العليا ،
 - ٢ . زيادة السنوات الدراسية في بعض التخصصات العلمية.
 - ٣ . إلغاء نظام التعليم السنوي و تعويضه بنظام تعليم نصف سنوي أطلق عليه إسم السداسيات .
 - ٤ . إلغاء الإمتحانات السنوية و تعويضها بإمتحانات نصف سنوية .
 - ٥ . تحويل جميع المناهج الدراسية في الجامعات و المدارس العليا الى نظام الوحدات .
- و من أجل تحقيق الإصلاح الشامل للتعليم العالي ، تقرر إلغاء الكليات تدريجيا و تعويضها بمعاهد علمية متخصصة ، لتحقيق الأهداف التالية
- أ . تخصيص كل معهد في ميدان علمي أو تقني محدود محدد .
 - ب . الإستقلال الإداري و المالي للمعاهد .
 - ج . مساهمة الأساتذة بفعالية أكثر في تسيير المعاهد .
 - د . إعطاء ديناميكية أكاديمية للمعاهد لكي تحقق نشاطها في مجالات التدريس و البحث العلمي بحرية و كفاءة أفضل .

- الجامعات الجديدة

بعد إسترجاع السيادة الوطنية إستلم قطاع التعليم العالي، جامعة الجزائر التي تأسست سنة ١٩٠٩، و كانت جامعة وهران هي أول جامعة جزائرية يتم بناءها بعد الإستقلال ، حيث فتحت أبوابها في ٢٠ - ديسمبر . ١٩٦٧، تليها جامعة قسنطينة التي شرع في إنجازها بداية من مارس ١٩٦٨ و إستقبلت الأفواج الأولى من الطلبة في ٠٢ سبتمبر ١٩٧١ ، أما جامعة عنابة فقد تأسست في سنة ١٩٧٥ بالإضافة الى العديد من المعاهد و المدارس العليا ، و مراكز التكوين في مختلف التخصصات الإدارية و التقنية و الفلاحية ، و المحاسبة و التسيير و تعتبر جامعتي باب الزوار للعلوم و التكنولوجيا و الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ، من أهم المشاريع التي ميزت فترة حكم الرئيس هواري بومدين و رمزاً عملياً لمبدأ الأصالة و المعاصرة.

- محو الأمية

الأمية هي عدم معرفة القراءة و الكتابة ، و تعتبر بالنسبة لجزائر ما بعد إسترجاع السيادة الوطنية من بين مخلفات الإستعمار الفرنسي المتحضر ، الذي تعمد حرمان شرائح كثيرة من المجتمع الجزائري من التعليم و لو باللغة الفرنسية ، حيث كانت نسبة التلاميذ الجزائريين في المدارس و الثانويات و الجامعات، لا تتجاوز ٨ في المائة و هي نسبة مدروسة و محددة لإحداث نوع من عدم التوازن لصالح الفرنسيين المقيمين بالجزائر، و الإستعمار هو بالطبيعة تلميذ غبي يعتقد أن التعامل مع عدو جاهل أفضل من عدو متعلم ، و العكس هو الصحيح .. فيما تجاوزت نسبة الأمية درجة الخطر حيث بلغت ٩٥ في المائة للذكور و ٩٩ في المائة للإناث ، و بعد إسترجاع السيادة الوطنية وجدت البلاد نفسها أمام كارثة ثقافية كبيرة و هي أن أغلبية أفراد الشعب الجزائري أميين لا يعرفون القراءة و الكتابة ، و منهم من تجاوز السن القانونية للتمدرس ، فتم الإستجداد بمشروع محو الأمية للتخفيف من حدة المشكلة و تأثيراتها المتعددة الأبعاد فكان مشروع محو الأمية الذي إنطلق في السنوات الأولى لما بعد الإستقلال بإمكانيات بسيطة و متواضعة ، لكن فترة ما بعد التصحيح الثوري شهدت إنطلاقة فعلية و حقيقة للمشروع ، و يعتبر الدكتور رابح تركي من أكثر الأكاديميين الجزائريين إهتماما و متابعة لمشروع الثورة الثقافية في الجزائر ، و قد تناول موضوع محو الأمية في مقال طويل غني بالمعلومات و الأفكار و التحليلات، نشرته مجلة الثقافة ع٦٤ جويلية ، أوت ١٩٨١ يمكن أن تقتبس منه بعض الفقرات بتصرف قليل - لقد كانت سياسة الجزائر في مكافحة الأمية بين صفوف المواطنين بإعتبارها من أكبر عوائق التنمية الإجتماعية و الإقتصادية في البلاد، تسير في محورين أساسيين

المحور الأول يتمثل في العمل على تعميم التعليم الإبتدائي ضمن نطاق مبدا ديمقراطية التعليم في أقرب وقت ممكن ، بحيث يشمل جميع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٦ و ١٢ سنة

المحور الثاني يتمثل في تعليم الكبار القراءة و الكتابة و مبادئ الحساب

- الإطار الطبيعي لمشكلة الأمية

وقد جاء في ميثاق الجزائر الصادر عن المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني أفريل ١٩٦٤ بخصوص مشكلة الأمية . إن توسيع وسائل تكوين الجماهير و تعبئة كل الطاقات لمكافحة الأمية ، سيمكن الجزائريين من تعلم القراءة و الكتابة في أقرب الأجل ، إن مقاومة الأمية تهتم البلاد كلها ، و هي تحتم مساهمة الجماهير الشعبية ، و الحزب هو منشط هذا العمل الذي سيكون هو أول عمل وطني ، فمن الشمال الى الجنوب ، و من الشرق الى الغرب ، سيكون كل منزل و كل حي ، و كل حظيرة شغل ميدان عمل يتعلم فيه الإنسان طوال السنة بصفة جماعية ، أو فردية و مكافحة الأمية ستتم في عين المكان ، و يجب أن تستعمل كل الوسائل لضمان نجاح هذه الحملة الواسعة ، بدأت الحملة الوطنية ضد الأمية بصفة رسمية بعد الإستقلال ، ففي عام ١٩٦٣ تشكلت اللجنة الوطنية لمكافحة الأمية تحت رعاية حزب جبهة التحرير الوطني ، و شرعت فورا في عملية تأليف كتب مكافحة الأمية ، حيث ألقت كتابين ٢ لتعليم القراءة ، أحدهما باللغة العربية و الآخر باللغة الفرنسية ، و شرعت في فتح أقسام دراسية لتعليم الأميين ، و في العام التالي ١٩٦٤ مباشرة إنطلقت عملية مكافحة الأمية من نطاق الحزب الى الدولة ، ففي ٣١ أوت ١٩٦٤ صدر مرسوم رئاسي في الجريدة الرسمية تكون بمقتضاه المركز الوطني لمحو الأمية تحت رعاية وزارة التربية و قد حدد المرسوم المذكور ، مهام المركز الوطني لمحو الأمية في الأمور التالية

١ - البحث في الطرق التربوية الملائمة لتعليم الكبار ، حسب نفسياتهم الخاصة ، و قد كانت الطرق

- السابقة في مكافحة الأمية، تستعمل نفس الطرق التي تستعمل في تعليم الأطفال الصغار .
- ٢ . إعداد البرامج المختلفة و الوسائل التعليمية من كتب ، و صور و بطاقات ، و أفلام و غيرها لتطبيقها و ذلك لمختلف القطاعات الموجهة لها هذه البرامج .
- ٣ . تكوين المنشطين و المكونين و يختارون من بين العمال الذين لهم مستوى معلوم في اللغة العربية ، ثم يدرّبون على الطرق التعليمية . و تطبيق البرامج المنجزة من طرف المركز .
- ٤ . مراقبة محو الأمية حيثما وجدت و تقييمها تقييما علميا ليتسنى للمركز معرفة ما أنجز و ما بقي عليه إنجازة .
- و قد نص المرسوم المذكور في مادته ال ٦ على أن محاربة الأمية المرتبطة إرتباطا متينا بالتربية الدائمة الوطنية و التقنية و المهنية للكبار، مهمة تقوم بها الأمة جمعاء . و عليه يجب إنشاء مركز محلي لمحاربة الأمية في كل ولاية و كل دائرة و كل بلدية .

- برامج محو الأمية

لقد كانت البرامج التي طبقت في ميدان مكافحة الأمية في البداية ، برامج تقتصر الى الواقعية و المنهجية العلمية، حيث طبق في البداية برنامج محو الأمية الجماهيري ، الذي لم يستند الى عملية تحديد دقيق لنوعية الأشخاص الذين ينبغي التركيز على محو أميتهم ، إنما كانت فصول و مدارس محو الأمية تستقبل عينات من الدارسين من مختلف الأعمار. و المهن ، فتقدم للجميع تعليما متشابهها يتركز أساسا حول تعليم مبادئ القراءة و الكتابة و الحساب ، ولذلك لم تعط الحملة نتائج ذات قيمة معتبرة ، لكن الحافز الذي يدفع الأميين الى الانتظام في الدراسة و متابعة التعليم بجد و نشاط، و هو الحافز المادي مثل الزيادة في الأجور، و الترقية في الوظيفة ، و الأولوية في الحصول على العمل أو المسكن ، هذا الحافز كان مفقودا ، و بالتالي إنعدم الحماس في الإقبال على فصول محو الأمية و متابعة الدراسة بها ، و إبتداء من عام ١٩٦٦ بدأت تجربة برنامج جديد لمحو الأمية ، و هو برنامج محو الأمية الوظيفي ، الى جانب محو الأمية الجماهيري ، الذي ظهر بعد مؤتمر طهران لمحو الأمية الذي عقدته منظمة اليونسكو في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ و شاركت فيه أكثر من ٨٨ دولة من بينها الجزائر، كطريقة جديدة و ناعمة لمكافحة الأمية

- مشروع محو الأمية بالتعاون مع منظمة اليونسكو (66 / 1970)

في ٣١ . ١٢ . ١٩٦٦ وقعت الجزائر إتفاقية مع منظمة اليونسكو لتنفيذ المشروع الوظيفي لمحو الأمية، الذي يستغرق تنفيذه ٥ خمس سنوات ، و هو يستهدف محو أمية ٨٠٠٠٠ عامل و عاملة في قطاعي الصناعة و الفلاحة ، و يشتمل على ٣ مشروعات فرعية

. أولها ينفذ في منطقة سطوالي قرب العاصمة و هي منطقة زراعية ، و يهدف الى محو أمية ٥٠٠٠ عامل و عاملة في مزارع التسيير الذاتي .

. ثانيها مشروع ارزيو و هي منطقة صناعية هامة في البترروكيمياويات ، و تسييل الغاز الطبيعي ، و يهدف المشروع الى محو أمية ٢٥٠٠٠ عامل و عاملة تقع أعمارهم بين ١٥ و ٣٥ سنة .

. ثالثها مشروع عنابة و هي منطقة زراعية و صناعية ، و يستهدف محو أمية ٥٠٠٠٠ عامل و عاملة في قطاعي الزراعة و الصناعة ، و قد سار العمل في تنفيذ المشروع بفروعه الثلاثة على أساس تقسيم العمل الى مرحلتين

. المرحلة الأولى و هي مرحلة الإستعداد و تستغرق عاما كاملا ، يقوم المركز الوطني لمحو الأمية ، بإجراء الدراسات ، و إنتاج المواد التعليمية ، و إعداد المعلمين .

. المرحلة الثانية ، هي مرحلة التنفيذ و تستغرق ٤ سنوات ، و يتم خلالها تطبيق الوسائل السابق إعدادها

في مرحلة الإستعداد ، بصورة تدريجية .

و يلاحظ أن المشروع الوظيفي لمكافحة الأمية في الجزائر ، قد واجه عدة صعوبات تعود الى إنخفاض مستوى المعلمين ، وعدم إقبال الدارسين الى حد ما على الإنتظام في الدراسة ، وعدم ضبط عملية الإشراف على المشروع و قد أدمجت مشكلة مكافحة الأمية بين المواطنين ضمن المخططات العامة للتنمية ، حيث نفذ المخطط الثلاثي ٦٦ - ١٩٧٠ كمخطط أول و تجريبي ، و في المخطط الرباعي الأول ٧٠ - ١٩٧٣ تقرر محو أمية ١٠٠٠٠٠٠ عامل و عاملة في ميادين الصناعة و الزراعة ، عن طريق برامج محو الأمية الوظيفي ، كما تقرر محو أمية مليون مواطن و مواطنة ، عن طريق برنامج محو الأمية الجماهيري ، أما المخطط الرباعي الثاني ٧٤ - ١٩٧٧ فقد تقرر فيه محو أمية ١٦٠٠٠٠٠ عامل و عاملة ، عن طريق برنامج محو الأمية الوظيفي ، و ٤٠٠٠٠٠ مواطن و مواطنة عن طريق برنامج محو الأمية الجماهيري ، و نلاحظ أن هذا العدد يقل من العدد الذي حدده المخطط الرباعي الأول ب ٦٠٠٠٠٠٠ نسمة مشكلة الأمية في الجزائر ، و الجهود المبذولة في مكافحتها - الدكتور رابع تركي مجلة الثقافة ع ٦٤ جويلية أوت ١٩٨١ ص ٣٥ - ٥١ و جدير بالإشارة الى أن مشاريع التعليم التحضيري والمدرسة الأساسية و التعليم الثانوي و التقني المتوسط و الثانوي و جامعة باب الزوار للعلوم و التكنولوجيا ، و جامعتي قسنطينة المركزية و الإسلامية . كانت مسجلة ضمن مخططات التنمية كأهداف اولوية لتطوير التعليم .

- التعليم الإسلامي

قصة التعليم الإسلامي في الجزائر قصة عجيبة و غريبة ومحزنة في نفس الوقت ، في بدايتها و في نهايتها ، قصة إنطلاقة من الصفر رغم قلة الإمكانيات البشرية و الهياكل ، قصة تحد للثقافة الفرنكوفونية الإستعمارية ، و محاولة لإعادة ربط العقل الجزائري بموروثه الحضاري العريق ، و بقدر ما كانت النخبة الوطنية السياسية و العسكرية التي حكمت البلاد بعد إسترجاع السيادة الوطنية متمسكة بالخيار الإشتراكي كمنهج إقتصادي و إجتماعي ، رغم معارضة صامته من داخل النظام و من خارجه ، بقدر ما كانت مصرة على بناء منظومة صلبة للتعليم الإسلامي للطورين المتوسط و الثانوي مستقلة عن التعليم العام و التقني ، و تحت وصاية وزارة قائمة بذاتها ، سميت وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، رغم معارضة شديدة و صامته من عدة أطراف داخلية و خارجية بعضها مقرب بشكل كبير من مصدر القرار، رغم محاولات اللوبي الفرنسي عرقلة الفكرة و إحباط المشروع قبل وصوله مرحلة النضج و اللاعودة ، أصرت القيادة السياسية على ضرورة إستعادة أمجاد مدارس و معاهد جمعية العلماء و تبني نفس التعليم الذي كانت تقدمه جمعية العلماء المسلمين لأبناء الجزائر ، مع إدخال تعديلات بسيطة و ضرورية في الشكل و في المضمون تتماشى مع طبيعة المرحلة ، و كان من المفروض أن يوفر التعليم الإسلامي ، إطارات متوسطة لتغطية حاجيات البلاد من الإطارات الإسلامية كالأئمة و المرشدين و المرشدات ، و أساتذة العلوم الإسلامية في مختلف أطوار التعليم ، في إنتظار بناء كليات للعلوم الإسلامية في المناطق الأربع من الوطن، تتوج بإنشاء جامعة إسلامية ذات بعد عالمي ، تضاهي جامعات الأزهر و الزيتونة و القرويين ، لكن ؟ تدخلت أطراف و لوبيات معادية للتوجهات الطبيعية للجزائر ، لعرقلة تطور المشروع بمجرد ، أن أدركت تلك اللوبيات جدية التفكير و التخطيط لبناء منظومة تعليم إسلامي عال في الجزائر ، لإحتضان الناجحين والنجاحات في إجتياز إمتحان شهادة البكالوريا شعبة التعليم الأصلي ، و بذكر الأستاذ المفكر أحمد توفيق المدني صاحب الفكرة و المشروع في عهد أحمد بن بلة ، أنهم كانوا يصارعون بقوة و في عدة جهات داخلية من أجل تثبيت مشروع التعليم الأصلي في الجزائر المستقلة العربية المسلمة

و حسب العديد من المصدر فبعد سنوات قليلة من تأسيس نظام التعليم الإسلامي في الجزائر ، حتى ذاع صيته في مختلف بقاع الدنيا و أصبح شباب العالم الإسلامي يتطلعون للدراسة في الجزائر، نظرا للسمعة الطيبة التي إكتسبها و طرق التدريس الحديثة التي جمعت بين علوم الدين و علوم الدنيا، و حتى تاريخ صدور هذه الدراسة في مجلة الأصالة أي شهر ماي ١٩٧٢ كانت تلك المعاهد تستقبل كما يقول الأستاذ درار ، أفوجا من الطلبة المسلمين قدموا من السينغال ، فولتا العليا ، غينيا ، ساحل العاج ، الكونغو ، موريتانيا ، غينيا بيساو ، السودان ، سيراليون ، غامبيا ، إريتريا ، تانزانيا ، نيجيريا ، النيجر، مالي ، الصومال ، تشاد ، تايلاندا، يتمتعون بالنظام الداخلي و التكفل التام من الجزائر .

- الهياكل الجديدة

لجأت الحكومة بعد إسترجاع السيادة الوطنية الى إستعمال كل الإمكانيات المتوفرة من هياكل و فضاءات إستقبال ، و تخصيصها لقطاع التعليم بمختلف أنماطه ، وكان من الطبيعي أن تواجه عجزا كبيرا في الهياكل بالنظر الى طبيعة الإستعمار و سياسته التعليمية ، التي كانت توزع العلم و المعرفة على الجزائريين بالقطرة ، و حتى التراث المادي لجمعية العلماء الذي وصل رقم ٤٠٠ مدرسة لم يساهم في القضاء على مشكل الهياكل سوى بنسبة قليلة ، و لذلك عانى قطاع التعليم الإسلامي كغيره من القطاعات بداية الإستقلال من نقص الهياكل و المرافق المكلمة ، و لذلك قامت القيادة السياسية ببرمجة إنشاء مؤسسات جديدة لإستقبال تلاميذ و طلبة التعليم الإسلامي حيث تم بناء عدة ثانويات روعي فيها شكلها و تصميمها و هندستها روعة و جمال الهندسة المعمارية الإسلامية العريقة ، و حتى تكون متناسقة شكلا مع المضمون المعرفي ، و حيث يزيد جمال الشكل و روعته على المكان قداسة و هيبة تتناسق مع قداسة و هيبة العلوم الإسلامية ، باعتبارها أم العلوم ، و حسب نفس الدراسة فقد تم برمجة إنجاز عدة ثانويات مزودة بالنظام الداخلي ، و تم تصميمها بشكل حديث و تجهزها بمختلف المرافق الضرورية ، كالمخابر و قاعات العرض، قد فتحت هذه المؤسسات أبوابها لإستقبال الطلبة في الموسم الدراسي ٧٢ - ١٩٧٣ في كل من قسنطينة ، وهران ، تيزي وزو، سطيف ، بجاية ، معسكر ، كما تم فتح ثانويات أخرى في الموسم الدراسي ٧٣ - ١٩٧٤ ببسكرة و تيارت و سعيدة و أدرار ، و في نفس السياق يقول الأستاذ درار و ستخصص المؤسسة الحالية بأدرار لإستقبال من فاتته السن الدراسي من حفظة القرآن الكريم من الجزائريين بصفة خاصة ، لتكوين الإطارات الدينية ، و الوافدين الآفارقة الذين لا تسمح لهم سنهم بمتابعة الدراسة النظامية بالثانويات ، و هناك مؤسسات جديدة بصدد البناء و هي ثانوية الذكور بتلمسان ، على أن تخصص المؤسسة الحالية دار الحديث . من ثراث جمعية العلماء للبنات و العمل جار لتحسينها و القسم الداخلي على وشك الإنجاز ، ثانوية بالعاصمة للذكور، على أن تخصص المؤسسة الحالية للبنات بعد تحور و توسع و ينشأ بها القسم الداخلي ، ثانوية أقبو للبنات ، كما تقرر إنشاء ثانوية داخلية للبنات بالمدية ، و بذلك ستكون لنا أربع ٤ ثانويات داخلية مخصصة للبنات ، ثانوية الأصنام ، ثانوية تمراس ، تكميلية ندرومة ، تكميلية المسيلة ، تكميلية قنرات ، تكميلية البيض ، تكميلية المشرية ، و في ضوء كل هذه الإنجازات خلا عشر ١٠ سنوات من إسترجاع الإستقلال ، نرى أن التعليم الأصلي خطى خطوات عملاقة في طريق البناء ، و يعمل في الوقت الحالي على مواكبة الركب الحضاري ليكون مهذا امينا للحفاظ على الشخصية الوطنية و ينبوعا غزير المدد يضمن للشباب حفاظه على أصالته و إرتباطه بماضيه ، و حظه الوفير الزاهر في مستقبله .

- النشاطات الإضافية

كانت تكميليات و ثانويات التعليم الأصلي لا تقتصر فقط على أداء دورها التعليمي البيداغوجي العادي ، و تلقين التلاميذ و الطلبة مختلف العلوم الإسلامية التقليدية و الحديثة ، بطريقة آلية جافة خالية من كل روح أو ذوق رفيع ، بل كانت تعتبر طلبة ثانويات التعليم الأصلي جزءا مهما من ضيوف ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي ، و كانت تبرمج نشاطات ثقافية و ترفيهية و أعمال تطبيقية تساعد التلاميذ و الطلبة على تنمية الشخصية و تطوير الأداء و إكتساب الجرأة و الشجاعة الأدبية ، لمواجهة واقع مغاير لأجواء المدارس و الثانويات الإسلامية و التعامل مع شرائح من المجتمع لا تملك الحد الأدنى من المعارف الإسلامية البسيطة ، بحكم أميتها أو غربتها اللغوية و إنقطاع صلتها بثقافتها العربية الإسلامية ، نتيجة لعوامل ذاتية و أخرى خارجة عن إرادتها ، و ضمن هذا السياق يقول الأستاذ درار في مجلة الأصالة ع ٨ ماي جوان ١٩٧٢ إن هذه المؤسسات على الرغم من حداثة سنها ، إستطاعت أن تتجب فرقا عديدة في مختلف النشاطات المدرسية ، و تسهم بقدر جليل في ميدان الفنون و الآداب و التوجيه و التربية ، فكل مؤسسة لديها نخبة من الأساتذة من ذوي الإختصاص تشرف على رعاية الفرق المختلفة وفق الميول و الرغبات نحت إشراف إدارة المؤسسة ، وهذه الفرق هي الخطابة ، المحاضرات ، التوجيه و الإرشاد ، الشعر ، التمثيل و المسرح ، الرسم و النحت ، الخياطة و التطريز ، الصحافة ، الرياضة ، و قد تعكف هذه الفرق على ممارسة إختصاصاتها في جدول محدد لا يضر بسير المؤسسة ، و لا يضغط على ساعات المراجعة ، و تمخضت هذه النشاطات على إكتشاف بواكير فنية صادقة في عدة مجالات - و على سبيل المثال فإن - فرق الثقافة التي تعنى بشؤون الخطابة و إلقاء المحاضرات ، و التدريب على الكتابة في شتى المواضيع الأدبية ، قد تمكنت من إبراز خامات واعدة و أقلام غزيرة ، و إنتاجا صالحا للنشر ، أما فرق التوجيه و التربية و الإرشاد ، فإنها إهتمت بتنمية الجانب الروحي ، بحكم إيمانها بأهمية التعليم الأصلي و دوره الكبير في معركة التعريب و العودة بالأمة الى الأصل الذي هو أساس شخصيتها ، و الدعامة المتينة لمقوماتها ، فإن هذه اللجان تقوم بحملة توعية عامة إنطلاقا من المسجد في كل مكان يقام فيه نشاط ثقافي ، طبقا لما نادى به السلطة الثورية في بلادنا كههدف يجب تحقيقه ، و هكذا كان للدروس و المحاضرات التي ألقيت في المساجد و الأندية ، و المساهمة الفعالة في حملة محو الأمية ، و المواضيع الأخرى المقترنة بالمناسبات الدينية و الوطنية ، عامل إيجابي في الدلالة على الدور الذي تلعبه هذه اللجان في معركة التعريب و التوعية ، كما أن الفرق الأخرى لا تقل شأنًا في ولوعها بما تقدمه من إنتاج وفق إختصاصها ، ففرق الموسيقى و الشعر عملت على تقديم أناشيد وطنية و دينية ، و مقطوعات شعرية في شتى الأغراض بحسب المناسبات .. و تكفلت فرق أخرى بإصدار مجلات داخلية يتم تبادلها مع مؤسسات مماثلة - و بالنسبة للمسرح قدمت مختلف الفرق مسرحيات تاريخية و إجتماعية تعالج عدة قضايا و تم عرض بعضها في التلفزة الوطنية ، و بعضها في الإحتفالات المدرسية و غيرها ، و أحرزت على إعجاب الملاحظين ، أما في ميدان الفنون الجميلة فقد أظهرت هذه الفرق إمكانيات مبدعة ، بما قدمته من لوحات زاخرة بالحياة تتم عن مواهب كاملة ، هذه اللوحات تمثل صور الشخصيات العلمية و السياسية و الوطنية و مواقف تاريخية ، و المناظر الطبيعية و المعالم التاريخية ، أما الرياضة البدنية فأنشئت فرق لممارسة كرة القدم و كرة اليد و كرة السلة و الكرة الطائرة ، و ألعاب القوى، وتم تزويدها بالمعدات العصرية اللازمة لممارسة مختلف النشاطات الرياضية .

- عن مقال للأستاذ درار منشور بمجلة الأصالة - مع تصرف يسير .

- التعليم الإسلامي العالى -

لا شك أن القيادة السياسية التي بادرت منذ إسترجاع السيادة الوطنية الى الإهتمام بقطاع التعليم الإسلامي ووضعتة على السكة ووفرت له كل الإمكانيات المادية و البشرية ، كانت تدرك أهميته و دوره في تربية و تكوين أجيال متشعبة بقيمها الروحية و مرجعيتها الفكرية المتميزة ، كما كانت تدرك من دون شك دور الثقافة الإسلامية في تحصين الوطن و المواطن من الأفكار القادمة من الشرق و الغرب ، فكانت تعتبره قطاعا إستراتيجيا هاما لا يقل قيمة و أهمية من قطاعات التعليم الموازية ، التعليم العام و التقني و العسكري - مدارس أشبال الثورة - لذلك لم تكتف بالنتائج الطيبة التي حققتها تجربة إكماليات و ثانويات التعليم الإسلامي ، فوضعت أهدافا أخرى تتفق مع طبيعة المرحلة و تواكب وصول الأفواج الأولى من براعم و زهرات التعليم الإسلامي الى إجتياز إمتحان البكالوريا . حيث سبقت الموعد بإصدار مرسوم رئاسي يعترف و يرسم باكالوريا التعليم الأصلي ، و يعادلها من شهادات البكالوريا الأخرى ، فكان من الطبيعي التفكير في إنجاز كليات جديدة تحتضن الطلبة المتحصلين على شهادة البكالوريا شعبة العلوم الإسلامية أو كما كانت تسمى . باكالوريا تعليم أصلي . و عن ظروف تأسيس التعليم الإسلامي العالى في الجزائر بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، و بعد البحث و الإستقصاء وجدت عدة روايات متضاربة مع بعضها نوعا ما . نحاول تقديمها كما جاءت في مصادرها حرفيا ثم نحاول التعليق عليها و إختيار الرواية التي نراها أقرب الى الحقيقة و الواقع.

الرواية الأولى و تؤكد أن المشروع في البداية كان يتعلق بإنجاز مسجد كبير يليق بتاريخ و مستقبل مدينة قسنطينة . مدينة العلم و العلماء التي كانت مهدا لإنطلاق أكبر ثورة ثقافية في الجزائر مطلع القرن العشرين ، بقيادة و إشراف المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ عبد الحميد بن باديس و التي تخرج منها طلائع ثورة التحرير الكبرى ، و لم تكن فكرة الجامعة الإسلامية واردة في أذهان المواطنين ، لكن بعد عرض الفكرة على القيادة السياسية و عبر القنوات الرسمية الرسمية ، باركت المشروع و إحتضنته و إقترحت توسعته ليضم جامعة إسلامية ، و هنا إلتقت الرغبة الشعبية بالإرادة السياسية و تمت الموافقة على المشروع الجامعة الإسلامية و المسجد الكبير ، و حسب ما جاء في الكتاب الإشهاري الذي أشرفت على إنجازها للجنة الشعبية المشرفة على المشروع لقد ظهرت فكرة بناء مسجد كبير في قسنطينة سنة ١٩٦٨ .و لم يكن المقصود في البداية سوى تشييد مسجد جديد يتسع الى ١٠٠٠٠ من المصلين حسب رغبة أصحاب الفكرة ، وكان المشروع الأول لم يأخذ مسالة المحيط بعين الإعتبار ، إذ كان المكان غير معتدل و الوصول إليه في غاية الصعوبة ، هذا المكان هو حي الأمير عبد القادر ، و من ثمة جاءت التسمية الحالية التي أطلقت على المسجد ، و بمبادرة من بعض الأعيان القسنطينيين ، جمعت الأموال لبناء المسجد ، ثم جاءت ظروف جعلت المشروع يتجاوز إطاره الأول ليشمل الجامعة الإسلامية و مسجد الأمير عبد القادر . و من جملة هذه الظروف . الإتصالات المختلفة التي أجراها أصحاب الفكرة مع العقيد محمد بن أحمد عبد الغني عضو مجلس الثورة - و قائد الناحية العسكرية الخامسة . و تلك التي أجراها هذا الأخير مع رئيس مجلس الثورة و الحكومة السيد هواري بومدين ، وكذلك أهمية المشروع ، و بعد ذلك شكل دعاة المشروع من أنفسهم لجنة أصبحت هي المشرفة على الأعمال ، و كلفت مكاتب سوناتراك التقنية بوضع الدراسات ، فصممت المشروع بأكمله ، و كلفت فرق الهندسة العسكرية بوضع الأسس بين شهري ديسمبر ١٩٧٠ و جانفي ١٩٧١ بينما أسندت عملية الإنجاز الى المديرية الوطنية لتعاونيات الجيش ، أما رواية الأستاذ درار التي وردت في دراسته القيمة المذكورة سابقا ، فتؤكد أن إنجاز مؤسسات للتعليم الإسلامي

العالي يعتبر تحصيل حاصل و ضرورة طبيعية لمواكبة تطور قطاع التعليم الإسلامي القاعدي نحو التعليم العالي ، و هذه الفكرة لم تكن غائبة عن ذهن القيادة السياسية ، بدليل صدور مرسوم رئاسي يعترف بشهادة البكالوريا تعليم أصلي و ترسيمها و معادلتها مع بقية الشعب في ١٣ ماي ١٩٧١ أي قبل شهر تقريبا من موعد إجراء إمتحان شهادة البكالوريا ، و هي السنة التي شهدت اجتياز أول كوكبة من طلبة التعليم الإسلامي لإمتحان شهادة البكالوريا إذا إتفقنا على أن بداية الدراسة في التعليم الإسلامي إنطلقت في الموسم الدراسي ٦٣ - ٦٤ و تحضيرا لإستقبال كوكبة البكالوريا الإسلامية التي واكبت النظام السياسي الجديد الذي حكم البلاد بداية من ١٩ جوان ١٩٦٥.و إذا أضفنا سبع ٧ سنوات دراسة مقررة في التعليم الإسلامي المتوسط و الثانوي و هي أربع ٤ سنوات دراسة في التكميليات الإسلامية و ثلاث ٣ سنوات دراسة في الثانويات الإسلامية ، يكون الموسم الدراسي ٦٦ - ١٩٦٧ هو أول سنة دراسية تحت ظلال النظام الجديد ، إمتحان شهادة البكالوريا شعبة التعليم الأصلي لسنة ١٩٧٣ هي أولى ثمار التعليم الإسلامي بشكله الجديد ، و نستنتج من رواية الأستاذ درار المنشورة في مجلة الأصالة ، أن إنشاء أو فتح كليات للتعليم الإسلامي كان يحضى بمباركة و موافقة القيادة السياسية ، و هو صادر عن قناعة شخصية للرئيس هواري بومدين ، يقول الأستاذ درار في هذا السياق إن إنبثاق كلية للشريعة و القانون ، و أخرى في أصول الدين و تاريخ الأديان المقارن ، و الثالثة في اللغة العربية و آدابها و بعض اللغات القديمة ، في كل من قسنطينة، و العاصمة و وهران كنواة لجامعة إسلامية شاملة في المستقبل القريب تضم جميع الكليات الأخرى ، كالطب و الصيدلة و الإقتصاد و الزراعة و الهندسة و العلوم الإنسانية ، سوف تثري الوطن بعناصر واعية متشعبة بالروح الثقافية الدينية ، متفهمة لأسرار الإسلام الى جانب العلوم العصرية ، و هي مرحلة طبيعية يرتقي إليها و يتوج بها التعليم الأصلي بعد التكميلي و الثانوي ، كنتيجة حتمية و ملحة ، على غرار جامعة الأزهر بالقاهرة التي تضم مختلف الكليات الموجودة في أغلب الجامعات الأخرى . مع إضفاء الطابع الديني الذي يجعلها مميزة بمرونة خريجها و إتساع أفقهم و تشبعهم بالروح الدينية و الأخلاق الفاضلة ، ما يزيد من كفاءتهم و قدرتهم على ممارسة الإختصاصات و تحمل المسؤوليات ، إن وجود هذه الجامعة في الجزائر المسلمة ، ليس وليد فكرة إعتباطية ، بل هي حقيقة فرضتها حقائق المبادئ التي ندين بها ، و الأهداف العليا للوطن وعن إقتناع بأن وجود جامعة إسلامية بالجزائر، هو بمثابة الروح للجسد و السماد للتربة ، إن الإقتضار على ثمرة التعليم الأصلي بمرحلتيه التكميلية و الثانوية سيبقى عملا ناقصا ، إن لم يعزز بالتعليم الأصلي العالي الذي لا منطلق له إلا من رحاب جامعة إسلامية تتلاءم و متطلبات العصر الحديث . لتكوين ذوي الخبرة في ميدان التوعية و التوجيه و نشر الأخلاق و الفضيلة والمثل الإسلامية التي تساعد على تكوين جيل متكامل و مجتمع فاضل ، في حين أن رواية السيد محمد الصغير بلعالم و هو رفيق درب الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الأصلي و الشؤون الدينية في تلك الفترة و أحد المهتمين بالتعليم الإسلامي في مختلف أطواره ، أن فكرة الجامعة الإسلامية برقت في ذهن الرئيس هواري بومدين عندما كان يحتفل بمدينة القيروان التونسية رفقه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بالمولد النبوي الشريف سنة ١٩٧٢ تقول الصحفية زهية منصر على لسان الأستاذ بلعالم بالحرف الواحد في جريدة الشروق ع٣ سبتمبر ٢٠١١ ص ١٧ أن بومدين كان يحتفل بعيد المولد النبوي مع بورقيبة بالقيروان ، التي كان يدعى إليها كافة الرؤساء ، قال لمولود قاسم . التونسيون يفتخرون علينا بالزيتونة ، و المغاربة بالقرويين ، و المصريون بالأزهر الشريف ، و نحن ليس عندنا شيء أحسن مما عندهم ؟ ... سنقوم بإنشاء جامعة إسلامية كاملة متكاملة . فكان أن أعلن بومدين هذا القرار من تونس في ١٩٧٣ و في نفس الفقرة يؤيد الأستاذ بلعالم ما ورد في

دراسة الأستاذ درار حول مشروع التعليم الإسلامي العالي ، حيث كتبت الصحفية المذكورة على لسانه . كان مشروعا سينطلق ب ٣ كليات في كل من العاصمة وهران و قسنطينة على أن تعمم التجربة ، و هناك رواية أخرى أوردتها مراسلي جريدة الشروق بكل من قسنطينة و قالمة ، تقول أن مشروع الجامعة الإسلامية بمدينة قسنطينة ، جاء بناء على رؤيا رآها مواطن من مدينة قسنطينة ، فحواها أنه رأى في المنام مشروع بناء مسجد كبير بمدينة قسنطينة، فلم يكتب بالإستمتاع بالرؤيا أو يتركها تمر مرور الكرام كأي رؤيا عابرة ، فقام بمراسلة رئاسة الجمهورية و إقترح عليها مشروع بناء مسجد كبير ، و إشتكى من ضيق مسجد الحي و كيف يجد المصلون صعوبة في أداء صلاة الجمعة ، و تستدرك الرواية فتؤكد على لسان الشيخ، أن الرئيس هواري بومدين قرا رسالة المواطن القسنطيني بإهتمام كبير و كلف المصالح المعنية بدراسة الموضوع بصفة جدية ، و قرر تبني مشروع المسجد الكبير بمدينة قسنطينة ، و قد جاء موضوع الجامعة الإسلامية و الرؤية في سياق سلسلة مقالات حول الرئيس هواري بومدين كتبها ناصر بن عيس، و عصام بن منية في جريدة الشروق ع ٢٩ ديسمبر ٢٠١٤ ، ص ١١ حيث ذكرا في مقدمة الجزء الرابع و الأخير من سلسلة المقالات بصيغة التأكيد و من دون تحفظ ما يلي و حكاية جامع الأمير عبد القادر ، بدأت برؤيا في المنام رآها الشيخ أحمد بن عبد الرحمان أحد مؤسسي الجامع في بداية حكم بومدين ، فراسل هواري بومدين عبر رسالة بريدية عادية في عام ١٩٦٧، و لم يكن يظن أن الرئيس سيرد عليه برسالة بريدية أيضا ، الشيخ عبد الرحمان الذي جاوز سنه التسعين ، قال للشروق اليومي أنه كتب للرئيس بلغة فرنسية كلاما و جيزا هل ترضى سيدي الرئيس أن يصلي أبناء بن باديس على الأرصفة في غياب المساجد ، و قد رأيت في المنام أننا نبني جامعا عملاقا ، و لم يكن يتصور أن الرسالة تتحول الى حقيقة . و يباشر بومدين في تطبيقها بالرد بالقول بل إننا قررنا أن نبني أكبر مسجد في الجزائر و المغرب العربي في عاصمة بن باديس ، و وضع بعد سنة واحدة فعلا حجر أساس الجامع الذي تطور الى جامعة و بغض النظر عن الاختلافات البسيطة بين الروايات في تحديد تاريخ معين لظهور فكرة إنشاء جامعة للعلوم الشرعية في الجزائر، يمكن القول أن مشروعا إستراتيجيا بهذا الحجم لا يمكن أن يكون مرهونا برؤيا أو صادرا عن رغبة مفاجئة متأثرة بأجواء إحتفالية ، خاصة و أن مشكلة التعليم الإسلامي العالي كانت مطروحة منذ الإستقلال على الأقل وفي نفس اليوم الذي أصدرت فيه الحكومة قرار بإعتماد نظام التعليم الإسلامي المتوسط و الثانوي ، كانت تفكر في ضرورة تحضير هياكل إستقبال اول كوكبة من الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا شعبة العلوم الإسلامية في الموسم الدراسي ٧٠ - ١٩٧١ وكانت الحكومة أمام خيارين هما فتح ثلاث ٣ كليات لعلوم الإسلامية ، أو إنشاء جامعة كبيرة تؤدي نفس الدور ، لكن على الأرض لم يتحقق أي شيء فمشروع الجامعة الإسلامية ظل يراوح مكانه الى غاية سنة ١٩٨٤ أي بعد ١٦ سنة من ظهور الفكرة. و ١٤ سنة من بداية الإنجاز، و ست ٦ سنوات من وفاة الرئيس هواري بومدين الذي كان متحمسا للمشروع و أول من فتح باب التبرع من ماله الخاص ، مما يطرح عدة تسؤلات مشروعة عن المؤامرة الداخلية و الخارجية على التعليم الإسلامي في الجزائر ، بمختلف أطواره ، و التي إستكملت آخر حلقاتها سنة ١٩٧٦ بإلغائه من الخارطة المدرسية و تحويل هياكله الى وزارة التربية ، و ذلك موضوع آخر سنتناوله بالتفصيل في فصل قادم ، حول الصراع بين الإسلام و الإشتراكية ، و قد فكرت كثيرا و حاولت إكتشاف بعض الأسرار و الحكم و أهداف و الرسائل ، التي قد تكمن وراء فكرة تكوين المكونين في التعليم الإسلامي العالي ، في جامعات إسلامية فرنسية و بلجيكية ، بدل الجامعات و الكليات الإسلامية العريقة المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي ، و قد

توصلت الى عدة إستنتاجات قد تكون صحيحة و قد تكون خاطئة ، في غياب معلومات من مصادر موثوقة حول هذا الموضوع المحير أهمها .

. رغبة أصحاب القرار في إستغلال ظروف وجود كوكبة من الطلبة الجزائريين الحاملين لشهادة البكالوريا شعبة العلوم الإسلامية ، و تتوفر فيهم ميزة ثقافية قد لا تتكرر في المستقبل إذا مضى مشروع التعريب في طريقه دون توقف أو عرقيل ، و هي تحكهم في اللغة الفرنسية نطقا و كتابة ، و بالتالي كان من المناسب جدا تحويلهم الى جامعات إسلامية فرنسية و بلجيكية ، و ستستفيد منهم البلاد في تكوين النخب الإسلامية الجديدة ، و في توجيه و إرشاد الجالية الجزائرية المقيمة في المهجر ، و هذا القرار لا يعني عدم الإستفادة من خدمات الجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر الشريف و كليات الشريعة في سوريا و لبنان ، في إنتظار فتح الجامعة الإسلامية الجزائرية .

. رغبة القيادة السياسية في عدم إثارة الغبار حول هذا الموضوع و تطمين خصومها بالداخل و الخارج الذين كانوا يتوجسون خيفة من التوجهات السياسية للرئيس هواري بومدين وواقفه المتشددة من القضايا السيادية كالتعريب و التعليم الإسلامي ، بالرغم من تمسكه الشديد بالإشتراكية كخيار إقتصادي ، و علاقاته الوطيدة بقيادة الدول الإشتراكية الكبرى الإتحاد السوفياتي، الصين، يوغوسلافيا، كوبا .

. فتح نافذة علمية تسمح للنخب الإسلامية الجزائرية بمعرفة نظرة المؤسسات الأكاديمية الغربية للإسلام ، و مواقفها من المحاولات التي تقوم بها عدة بلدان إسلامية في ذلك الوقت لتهيئة الأجواء نحو العودة التدريجية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، و الإستفادة من ثمار الثورة الثقافية و العلمية الغربية في تكوين نخبة إسلامية جزائرية متشعبة بالثقافة الإسلامية ، و متحكمة في العلوم الإنسانية الحديثة ، بحيث لا يخفى على العام و الخاص أن الثورة الثقافية و الفكرية الغربية أنجبت مفكرين و فلاسفة عظام كان لهم تأثير كبير على الحضارة الإنسانية المعاصرة.

. يبدو تأثير المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي ، مؤسس و منظر المدرسة الإسلامية الحديثة التي تجاوز إشعاعها الجزائر ليعم العالم الإسلامي من جاكربا الإندونيسية الى طنجا المغربية، و كانت كتاباته و لا تزال تدرس في أكبر الجامعات الأمريكية ، جد واضحا في تفكير و قرارات الرئيس هواري بومدين .

. تأثير النخبة الإسلامية المحيطة بالرئيس و التي كانت تتكون من شخصيات سياسية و فكرية جمعت بين الثقافة الإسلامية و الغربية وزير التعليم الأصلي و الشؤون الدينية مولود قاسم نايت بلقاسم الذي درس الفلسفة في مصر ، والدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الذي يتحكم في اللغة الفرنسية أكثر من تحكمه في اللغة العربية ، بدليل صياغته لكتبه و مذكراته باللغة الفرنسية ، و هذه الإستنتاجات الإيجابية لا تنفي تدخل أطراف فرنكوفونية معادية للتوجه الإسلامي العربي في الموضوع لتميع المشروع و إفراغه من مضمونه و توجيهه .

. أن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قد وضع حجر أساسها الرئيس هواري بومدين في شهر جانفي ١٩٧٠ ، لكن المشروع أهمل و بقي يراوح مكانه ، الى غاية مجيء الرئيس الشاذلي بن جديد الذي إهتم بالمشروع تنفيذا لوصية الرئيس الراحل ، هواري بومدين الذي أوصاه بضرورة الإسراع في إنجاز الجامعة و فتح أبوابها للطلبة الجزائريين و الأجانب ، و إقترح تنصيب الشيخ محمد الغزالي مشرفا عاما عليها ، و يبدو أن الرئيس بومدين قد ندم أشد الندم لعدم إهتمامه بهذا المشروع الحضاري و الإستراتيجي ، بإعتباره حصنا حصينا لمواجهة كل المرجعيات الدينية الوافدة من المشرق بشقيها السني و الشيعي ، و لولا وجود هذه الجامعة العامرة لأصبحت مرجعيتنا في خبر كان

- مدارس أشبال الثورة

تعتبر مدارس أشبال الثورة أحد أهم مرتكزات نظام التعليم في مشروع الرئيس هواري بومدين ، و كانت تهدف بداية الى رد الإعتبار و الجميل الى أبناء الأسرة الثورية بصفة عامة و أبناء الشهداء بصفة خاصة ، و هي تجسد إعتراف الدولة بالتضحيات الجسيمة التي قدمها آباءهم من أجل أن تعيش الأجيال الأخرى حرة مستقلة ، و من خلال نظرة داخلية عابرة حول شكل و مضمون مدارس أشبال الثورة ، نكتشف في أنها عبارة عن مؤسسات تعليمية . تكميلية متوسطة و ثانوية ، مفتوحة لإستقبال أبناء الأسرة الثورية بصفة خاصة و كل الراغبين من أبناء الجزائر، و تعتمد النظام الداخلي و تتميز بصرامة كبيرة في نظامها العام ، و تتبنى نفس البرنامج التعليمي المعتمد في وزارتي التعليم الإبتدائي و الثانوي ، كما كانت تسمى في ذلك الوقت و التعليم الأصلي، بالإضافة الى العلوم العسكرية و الرياضات القتالية ، و يوجه الناجحون في شهادة البكالوريا مباشرة الى مدارس النخبة العسكرية ، و واضح بشكلي جلي أن الهدف من إنشاء مدارس أشبال الثورة هو تكوين نخبة ممتازة من الجيش الوطني الشعبي بإمكانيات جزائرية محلية ، متشعبة بالمرجعية الوطنية الأصلية التي أكدتها مبادئ أول نوفمبر النظام الجمهوري الديمقراطي الإجتماعي، السيادة الوطنية ، الإطار الإسلامي للدولة ، خاصة و أن أول دستور جزائري تم الموافقة عليه في سنة ١٩٦٣ قد أعطى مكانة هامة للجيش الوطني الشعبي في الحياة الوطنية .

- الإعلام و الثقافة

القراءة و الكتابة هي مفتاح الثورة الثقافية في كل زمان و مكان ، و لذلك كانت أول آية من كتاب الله نزلت على سيدنا محمد ﷺ تمثل أمرا صادرا من الله لنبيه الكريم بالقراءة و توجيهه الى أهم وسائل القراءة و هو القلم ، كما نزلت سورة بكاملها تسمى صورة القلم ، و في القرآن الكريم مفردات كثيرة تؤكد إهتمام الإسلام بالعلم و الثقافة و الفكر — قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون — و من أهم مظاهر الثورة الثقافية التي شكلت أحد أذرع مشروع الرئيس هواري بومدين بالإضافة الى التعليم بأبعاده الأربعة . العام و التقني و الإسلامي و شبه العسكري ، و كما كان القلم هو أول وسيلة حضارة لتدوين العلوم و الثقافات و الأفكار في العصور القديمة ، كانت المطبعة هي أهم مظاهر الحضارة الإنسانية الحديثة . و لذلك قامت الحكومة بإقتناء العديد من المطابع من أجل تلبية حاجيات قطاع التعليم بمختلف مراحلها الى الكتاب المدرسي ، كما جندت مطابع الجيش لنفس الغرض ، و في مرحلة ثانية تم تأسيس الشركة الوطنية للنشر و التوزيع التي تكفلت بسوق الكتاب طباعة و نشر و توزيعا ، و إسترادا ، و كانت يومية الشعب الصادرة باللغة العربية و يومية المجاهد باللغة الفرنسية هما أهم صحيفتين وطنيتين بالبلاد . بالإضافة الى يوميتي النصر الصادرة بشرق البلاد و يومية الجمهورية الصادرة بالغرب ، و كانتا تصدران باللغة الفرنسية الى غاية بداية السبعينيات ، حيث تم تعريبها بشكل تام ، و بقيت جريدة يومية واحدة فقط تصدر باللغة الفرنسية لتلبية حاجة فئة كبيرة من الجزائريين الذين لا يحسنون القراءة باللغة العربية و لكنهم يتقنون اللغة الفرنسية ، لظروف تاريخية قاهرة خارجة عن نطاقهم ، و في الإعلام الرياضي المكتوب إشتهرت أسبوعية الهدف الصادرة باللغة الفرنسية عن مؤسسة النصر للصحافة بمدينة قسنطينة ، و كانت هناك محاولات لإصدار صحف و مجلات أسبوعية و شهرية لكنها لان تعمر طويلا ، كما غضت الحكومة الطرف عن إصدارات إعلامية خاصة أشرف على إنجازها شخصيات فكرية مقربة من النظام مجلات مالك بن نبي على سبيل المثال و أهم ما ميز الخط الإعلامي في تلك الفترة بطبيعة الحال ، هو نبرة التوجيه الإرشاد ، و تفسير الخطاب أو الموقف الرسمي للدولة ، و القيام بدور

الدعاية الحزبية لتجنيد الشعب حول أهم الخيارات السياسية و القرارات المصيرية الصادرة عن القيادة السياسية ، و كانت المؤسسة الرسمية الوحيدة التي تتقاسم مع الحكومة فضاء الإعلام المكتوب هي الحزب الحاكم و منظماته الجماهيرية ، من خلال سيطرته على عدة مؤسسات إعلامية كبيرة تستفيد سنوياً من ميزانية ضخمة ، و يمكن حصر الخريطة الإعلامية في الجزائر من سنة ١٩٦٥ إلى أواخر سنة ١٩٧٨ كما يلي

. الإعلام السمعي و البصري

الإذاعة و التلفزيون الجزائري،

. الصحافة العمومية المكتوبة

مؤسسة الشعب و تصدر يومية وطنية باللغة العربي تسمى . الشعب . و تملك مطبعة صحف خاصة بها و مقرا فحما بوسط العاصمة

مؤسسة المجاهد للصحافة و تصدر يومية وطنية باللغة الفرنسية تسمى المجاهد و تملك مطبعة خاصة بها و مقرا فحما بقلب العاصمة

مؤسسة النصر للصحافة و مقرها بشارع العربي بن مهيدي بمدينة قسنطينة تصدر يومية جهوية باللغة الفرنسية تم تعريبها في الفاتح جانفي سنة ١٩٧١ و تملك مطبعة صحف خاصة بها ، كما تصدر أسبوعية رياضية باللغة الفرنسية تسمى الهدف

مؤسسة الجمهورية و مقرها مدينة وهران ، و تصدر يومية وطنية باللغة الفرنسية تم تعريبها في السبعينات،

- صحافة الحزب

سيطر حزب جبهة التحرير الوطني بصفته الحزب الواحد و الحاكم في البلاد على مفاصل الإعلام السمعي و البصري و المكتوب بصفة عامة ، و كانت الوظائف السامية في قطاع الإعلام تسند الى إدارات الحزب و المناضلين العقائديين الأوفياء ، من أجل التحكم في الرسالة الإعلامية و ضمان تمرير مواقف و رؤى الحزب و قراراته التي كانت متماهية في قرارات الحكومة ، كما أحتفظ لنفسه بعدة مؤسسات إعلامية ضخمة تسير بميزانية الحزب

. مؤسسة الثورة الإفريقية للصحافة و كانت تصدر مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية. تعتبر بمقاييس ذلك الوقت و بحساب نسب التوزيع الشهرية أهم عنوان إعلامي مؤثر في الدولة و الحزب و المجتمع و قد إستقطبت في بداية صدورها أهم الأقلام الفرنكوفونية و تداول على إدارتها شخصيات فكرية لامعة

المجاهد الأسبوعي و هي اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني إحتضنت الأقلام الواعدة و المواهب الشابة و تخرج منها نخبة من رجال الإعلام المعريين

مجلة الوحدة اللسان المركزي للإتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية ، وهي منظمة جماهيرية تعتبر من أهم روافد الحزب الحاكم ، إستفادت من مقر راق بشارع ديدوش مراد يتكون من عدة طوابق و أهدت لها منظمة شبانية من ألمانيا الشرقية مطبعة حديثة ، ساعدتها على مواصلة إصدار المجلة الأسبوعية بإنتظام و القيام بأشغال مطبعية تجارية لتأمين سيولة مادية للمؤسسة و المنظمة على حد سواء ، و كانت تصدر في بداية على شكل جريدة بحجم طابليد و عرفت بخطها الإفتتاحي المقرب من التيار الشيوعي . و في منتصف الثمانينات تغير خطها الإفتتاحي بشكل جذري ليواكب التحولات السياسية الجديدة التي بدأت مع إثراء الميثاق الوطني و التراجع عن الخيار الإشتراكي ، كما كانت المنظمات الجماهيرية و هي التنظيمات الفئوية التي كانت تعتبر مشتلة لحزب جبهة التحرير الوطني و روافده ، كإتحادات ، العمال ، النساء ، الفلاحين ، المجاهدين ، تصدر مجلات شهرية لكنها غير منتظمة و مناسباتية فقط . و حتى إتحاد الكتاب الجزائريين و في أوج قوته و بوجود رموز الكتابة و الأدب الجزائري ، لم يتمكن من إصدار مجلة شهرية محترمة تحافظ على صدورها بإنتظام كبقية إتحادات الكتاب العرب ، رغم أن الحزب الذي كان يمول تلك المنظمات ، تخصص له الدولة سنويا ميزانية هائلة تعادل تقريبا ميزانية وزارة الدفاع .

– صحف و مجلات أخرى : صدرت في الجزائر هي:

الثقافة. آمال ، ألوان ، عن وزارة الثقافة ، مجلة الثقافة دورية كانت تصدر كل شهرين و تميل الى الجانب الأكاديمي ، أما مجلة آمال فاهتمت بأدب الشباب ، و مجلة ألوان تبنت أسلوبا صحفيا أقرب الى ما يمكن أن نسميه بالصحافة الفنية و الترفيهية الخفيفة ، لكن و بإستثناء مجلة الثقافة التي كانت تصدر بانتظام ، فإن مجلتي ألوان و آمال لم تتمكن من إحترام مواعيد صدورها و كانتا تطلان على القراء كالهلال و تصدران كيفما إتفق ، أما وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية فقد أصدرت مجلة شهرية فكرية تسمى الأصالة ، عالجت عدة قضايا راهنة من منظور إسلامي ، و عبر صفحاتها ظهرت عدة أقلام صحفية و كتاب جزائريين ، و قد إستمرت في الصدور من بداية السبعينيات الى بداية الثمانينيات تقريبا ، و تعتبر سجلا وافيا للحياة الفكرية في الجزائر خلال تلك العشرية ، و قد تميز المشهد الإعلامي بشح كمي في العناوين و عجز في إيصالها على قلتها الى مختلف مناطق الوطن ، وبالرغم من وجود طاقات بشرية هائلة ووسائل تقنية ضخمة فقد كانت أكبر المطابع تشتغل بنسبة ضئيلة من طاقتها الحقيقية ، و حاولت الحكومة تغطية التقص الملحوظ في العناوين بتكثيف الصحف و المجلات الأجنبية العربية و الفرنسية و حتى السوفياتية و الألمانية، و قد كان القراء يجدون في كل صباح في الأكشاك و المكتبات الصحف و المجلات الجزائرية جنبا الى جنب مع الصحف الأجنبية ، اليومية و الأسبوعية و الشهرية و شكلت تلك العناوين نافذة كبيرة للقارئ الجزائري على الأحداث العالمية و الثقافات الأجنبية، مكنته من الإطلاع على افكار و آراء و تحاليل لأهم القضايا السياسية و الثقافية من زاوية مغايرة ، من أهم الصحف التي كانت تلقى رواجا كبيرا لدى القراء ، يوميات الشرق الأوسط ، القبس، و مجلات العربي ، منار الإسلام ، الفيصل ، الدوحة ، الجيل ، بالنسبة للقراء المعربين ، و عدد من الصحف و المجلات الصادرة بفرنسا كيوميات ، لوموند ، ليبراسيون ، و مجلات ، الملاحظ الجديد ، و إفريقيا آسيا ، التي كانت تحضى بدعم واضح و غير مباشر من الحكومة الجزائرية ، من خلال إستفادتها من عدة صفحات إشهار للشركات الجزائرية ، كما كانت المجلات الرياضية و مجلات الأطفال تستهوي عددا كبيرا من القراء ، و أشهر مجلة أطفال في ذلك الوقت كانت مجلة .بيف . التي تميزت بنشر القصص المصورة التي تساعد القراء على التحكم في اللغة الفرنسية ، و من دون شك فإن الحكومة كانت واعية بالمشاكل و التحديات المطروحة أمام قطاع الإعلام و الثقافة ، التي يعتبر ثاني ركيزة لنجاح الثورة لثقافية بعد قطاع التعليم ، و لذلك أدرجته في مخططات التنمية المختلفة و كانت تنتظر بفارغ الصبر وصول الدفعات الأولى من الإطارات الجزائرية الحاملين لشهادات الليسانس و الماجستير و الدكتوراه في مختلف الشعب ، لقيادة قطار الثورة الثقافية في مرحلته الثانية نحو الطريق الصحيح ، و في نفس الوقت إنطلقت عدة مشاريع لإنجاز هياكل و مرافق و منشآت صناعية لدعم الثورة الثقافية و ضمان نجاحها ، حيث تم في البداية وضع حجر الأساس ل ثلاث ٣ مركبات كبرى بكل من قسنطينة ، سوق أهراس ، تلمسان ، و هي المناطق القريبة مناجم المواد الطبيعية الأولية الأساسية الضرورية لصناعة الورق ، كما شرع في إنجاز مركب الرغبة للطباعة بمواصفات عالمية و إنشاء العديد من مركبات الطباعة و التجليد في عدة ولايات ، و كان من المفروض أن تكون سنة ١٩٨٠ هي سنة الإنطلاقة الفعلية للثورة الثقافية بإستقبال الأفواج الأولى من الإطارات الجزائرية التي إستفادت من تكوين راق و عال في الجامعات الوطنية و الأجنبية و في مختلف الشعب و التخصصات، و بلوغ أهم المنشآت الصناعية و المرافق الثقافية نسبة كبيرة من الإنجاز، لكن الوفاة المفاجأة للرئيس بومدين أواخر ديسمبر ١٩٧٨ حالت دون رؤية بعض ثمار مشروعه الوطني الكبير و الشامل على الأرض

- الثورة الصناعية (عرض حصيلة مختصرة للإنجازات)

نجاح الثورة الصناعية مرتبط و مرهون بتحقيق الثورة الثقافية لأهم أهدافها ، وهو تكوين نخبة من الإطارات الجزائرية في مختلف الميادين ، تتحكم في التكنولوجيات الحديثة و تقنيات الإدارة و التسيير ، ويمكن الإعتماد عليها في تسيير وإدارة المركبات الصناعية و الوحدات الإنتاجية .

- الأهداف الإستراتيجية

- إقامة نسيج صناعي شامل و متوازن يغطي مختلف المجالات الصناعية الثقيلة و المتوسطة و الخفيفة ، و يشمل مختلف مناطق الوطن ، في إطار سياسة التوازن الجهوي و التركيز على المناطق الريفية للحد من الزحف و الهجرة الداخلية نحو المدن ، و قد إستفادت كل الولايات و المدن الكبرى في مرحلة أولى من مشاريع مختلفة لإنجاز مركبات صناعية و وحدات إنتاجية . و في مرحلة ثانية تم تعميم التجربة على المدن الصغيرة و المناطق النائية .

- توفير أكبر عدد ممكن من مناصب الشغل للإطارات الجزائرية التي تم تكوينها في الخارج ، و تأمين وظائف قارة للمواطنين البسطاء .

- تحقيق إكتفاء ذاتي في مختلف المواد و المنتجات يغني البلد عن الإستيراد .

- تصدير فائض المنتج الى الدول الإفريقية .

- نماذج من المشاريع الكبرى

- الطاقة و المناجم و تهدف لتحقيق الإكتفاء الذاتي في المواد البترولية ، و مشتقات البترول ، و إستغلال عائدات البترول في التنمية الوطنية و تحضير البلاد لمرحلة ما بعد البترول ، من خلال تنوع مصادر الثروة و التركيز على نشاطات أخرى خارج قطاع المحروقات .

- إنتاج مختلف مواد البناء من خلال الإستثمار في إنتاج الرمل بمختلف أشكاله ، و إنجاز مركبات لإنتاج الإسمنت في الشرق و الوسط و الغرب ، و أخرى لإنتاج الجبس .

- إنجاز أكبر مركب في إفريقيا لإنتاج الحديد الموجه للبناء و لإنتاج المركبات الشاحنات و الحافلات و الجرارات ، مركب الحجار للحديد و الصلب .

- إنجاز مركبات لصناعة المحركات ، و الجرارات و مختلف آلات الأشغال العمومية ، في كل من منطقة وادي الحميميم و عين السمارة بقسنطينة ، لدعم مشاريع البناء و شق الطرقات

- إنجاز مركبات لصناعية الآت الفلاحة في سيدي بلعباس

- **الشركة الوطنية للبناء (سوناطيبا)** سلسلة مؤسسات و فروع لإنجاز السكن و المنشآت الكبرى،

شركة سونيتاكس: سلسلة وحدات كبيرة و متوسطة و صغيرة تم توزيعها بشكل مدروس عبر مختلف مناطق الوطن ، و تتكفل بصناعة كل المواد التي تدخل في إنتاج الألبسة بمختلف أشكالها ، من اللباس الداخلي الى الأقمصة و السراويل ، و المعاطف الفخمة و البدلات الأنيقة و الألبسة الصيفية ، و ألبسة الأطفال ، و المآزر ، و على سبيل المثال نذكر وحدة إنتاج الخيوط الصناعية بمدينة عين البيضاء ولاية أم البواقي ، ووحدة إنتاج الملابس الرجالية الفاخرة بولاية تبسة .

و وحدات أخرى لإنتاج الألبسة الرياضية و المآزر .

- **الشركة الوطنية للجلود:** و تتكون من سلسلة وحدات منتشرة عبر مختلف مناطق الوطن تتج مختلف أنواع الأحذية الموجهة للكبار والصغار، والأحذية الرياضية .

- سلسلة وحدات لإنتاج الحليب و مشتقاته ، و أخرى لإنتاج البسكويت بمختلف أنواعه .

- سلسلة وحدات لإنتاج تجهيزات المؤسسات التعليمية .

- سلسلة وحدات لإنتاج السكر و أخرى لإستغلال مناجم الملح .
- عشرات الوحدات لإنتاج السميد و الفرينة ، و البسكويت بجميع أنواعه ،
- مركب سكيكدة لتكرير النفط .
- مركب أرزيوا للبترولوكمياويات .
- مركب الروبية للسيارات الصناعية .
- مركبي الإلكترونيات بكل من تيزي وزو و سيدي بلعباس .
- مركب المطابخ المنزلية و المدافىء بفرجيوة ميله و سي مصطفى بومرداس .
- مركب الخروب لإنتاج السميد و الفرينة و العجائن و البسكويت .
- الشركة الوطنية للفلين و الخشب .
- مركبات ضخمة لإنتاج مواد التنظيف .
- مركب سوجيديا لإنتاج زيت المائدة علامة صافية .
- مركبات ضخمة بالشرق ، سوق أهراس و قسنطينة و الغرب تلمسان و الوسط العشور لإنتاج الكرايس و تحويل الورق .
- الشركة الوطنية للخزف ، لصناعة كل المواد الخزفية .
- وحدات لصناعة مواد البناء الحمراء ، الأجر و القرميد .
- وحدات لإنتاج المشروبات الغازية .
- وحدات إنتاج الطماطم المصبرة و الهريسة .
- وحدات لإنتاج المربي و العصير . و أشهرها مؤسسة نقاوس بولاية باتنة .

بالإضافة الى ماتّ الوحدات الإنتاجية الصغيرة و المتوسطة من مؤسسات ولائية و بلدية ، التي كانت تثبت على الأرض و في كل مكان كما تثبت الفطريات ، و أهم ما ميز النسيج الصناعي الجزائري هو شموليته من حيث نوعية الإنتاج و التوزيع الجغرافي ، بحيث يكفل تغطية إحتياجات المواطن و البلاد من كل المنتجات و المعدات ، من الأبرة الى الدبابة ، مع إحترام مبدأ التوازن الجهوي بحيث تستفيد كل المناطق الحضرية و الريفية و في الجهات الأربع للوطن من مشاريع لإنجاز مركبات أو مصانع أو وحدات إنتاجية صغيرة و متوسطة ، تستجيب لطابع المنطقة و إمكانياتها و ثرواتها ، بحيث تم تركيز مصانع تحويل الخشب و الفلين بمنطقة القل و ولاية سكيكدة التي تشتهر بكثرة غابات الفلين، و مركبات إنتاج المربي و العصير بمداشر ولاية باتنة التي تعرف بكثافة أشجار الفاكهة، وكان من المفروض أن تتخلص البلاد بصفة نهائية من التبعية الى الخارج و يتوقف إستيراد المواد الغذائية الأساسية ، مع مطلع سنة ١٩٨٢ على أقل تقدير و سنة ١٩٨٥ على أكثر تقدير، و هي نفس السنة التي تلتقي فيها الثورات الثلاث عند منعطف واحد بعدما تكون قد قطعت أشواط كبيرة على إمتداد ١٥ و ٢٠ سنة و هي مدة كافية نسبيا لجني ثمار تجربة الثورات الثلاث وبشهادة العديد من الملاحظين الأجانب فقد كانت البلاد في منتصف الجسر و تقترب شيئا فشيئا من الخروج من نفق الدول المتخلفة و تلتحق بالدول السائرة في طريق النمو ، و كثيرا ما كان الرئيس هواري بومدين يردد بأن البلاد ستتحول قريبا الى يابان إفريقيا ، من خلال الوصول الى تحقيق الأهداف الرئيسية للمشروع التنموي الوطني الذي تبناه الرئيس و هي إقامة نسيج صناعي شامل و متوازن ، وإستيعاب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة ، وتحقيق الإكتفاء الذاتي في كل الواد الأساسية و الوسائل و المعدات ، ، و كان من المفروض أن تشرع البلاد في تصدير البضائع و المنتجات المخففة و اللحوم الحمراء و البيضاء المجمدة الى العديد من الدول الأفريقية ، لكن مشروع الرئيس لم يكتمل بوفاته .

- الثورة الزراعية

ظهرت الثورة الزراعية كفكرة و كمشروع بصفة رسمية سنة ١٩٧٢ كتجربة فلاحية جديدة موازية ومكاملة للنشاط الفلاحي الذي كان يعتمد على المزارع المسيرة ذاتيا ، و على القطاع الخاص بنسبة قليلة ، وكانت تهدف الى تحقيق نفس الأهداف التي رسمت لكل من الثورة الثقافية و الثورة الصناعية ، و هي تحقيق إكتفاء ذاتي في مختلف المنتوجات الغذائية كالحبوب ، و الحليب و مشتقاته و اللحوم الحمر و البيضاء ، و إستيعاب الأيدي العاملة البسيطة في مرحلة أولى ثم الإعتماد على الإطارات الفلاحية المتخرجة من الجامعات و المعاهد و المتوسطات الفلاحية في مرحلة ثانية ، و تصدير فائض المنتج الى الدول الإفريقية ، و هي من حيث المبدأ فكرة جيدة و مشروع واعد ، و يقصد بالثورة في المجال الزراعي بطبيعة الحال، تجاوز الطرق و الأساليب التقليدية في إستغلال الأرض ، و إدخال تقنيات جديدة و إستعمال آلات حديثة في الحرث و الزرع و الجني تساعد على ربح الوقت و تقليل الجهد و زيادة الأنتاج و تحسينه، وإذا كانت الثورتان الثقافية و الصناعية لم تواجه أية معارضة من داخل النظام أو من خارجه سواء من حيث المبدأ ، أو بعد ظهورها كمشاريع واقعية على الأرض ، فإن بعض المظاهر و الإجراءات التي رافقت مشروع الثورة الزراعية لقيت معارضة صامتة من بعض الشخصيات الوطنية التي كانت قريبة من مصدر القرار، خاصة مع بداية تأميم الأراضي الفلاحية التي مست عددا كبيرا من عائلات جزائرية كانت لديها إمتدادات داخل النظام ، و لم يشفع لها ذلك القرب لئتم إستثنائها ، فقد كان الرئيس هواري بومدين صارما في توزيع المغنم و المغارم على الجميع و من دون إستثناء ، و قد فتحت عليه هذه السياسة أبواب المعارضة الصامتة و تحول مشروع الثورة الزراعية من محاولة لتسوية بعض المشاكل التي كان يعاني منها قطاع الفلاحة ، الى جزء من مشكلة النظام في حد ذاته و محل سخرية و إستهزاء و تنكيت في الشارع ، و هكذا واجه المشروع معارضة من الداخل تمثلت في عدد من أعضاء مجلس الثورة و مسؤولين آخرين و عدد من الوزراء ، لم يكونوا مقتنعين بنجاح التجربة و منهم من حاول إستغلال سلطاته و نفوذه و علاقاته لعرقلة المشروع ، و يبدو لي أن مشروع الثورة الزراعية تحول فجأة من مشروع وطني الى قضية شخصية بالنسبة للرئيس هواري بومدين ، و قضية تنافس و صراع داخل مجلس الثورة و شركاء النظام الذين أدركوا بعد فوات الوقت ، انهم كانوا مخطئين عندما وافقوا على تبني الخيار الإشتراكي وربما ندموا على أيام الرئيس أحمد بن بلة الذي كان يوصف بالإشتراكي المتطرف فوجدوا أنفسهم أمام عقيد متحكم في الجيش ، و أكثر تطرفا من سابقه في تمسكه بالإشتراكية ، زيادة على تعاطفه غيرالمعلن مع التيار الإسلامي في الداخل و في الخارج و تسويقه لفكرة الإشتراكية الإسلامية .

- طبيعة المشروع

- . تسخير مئات الهكتارات من أراضي الدولة الصالحة للزراعة .
- . فتح باب التبرع لصندوق الثورة الزراعية وفد حققت العملية نجاحا كبيرا ، حيث سارع كبار الملاك ، و عن طواعية للتبرع بالأراضي ووضع ملكياتهم الخاصة تحت تصرف الدولة .
- . تأميم الملكيات الكبرى و تحويلها الى مشروع الثورة الزراعية ، دون المساس بأصل الملكية .
- . إنشاء تعاونيات الثورة الزراعية ، بحيث تتكون كل تعاونية من ١٥ الى ٢٥ عامل ، يستفيدون بشكل جماعي من عدة هكتارات من أرضي الدولة الصالحة للزراعة ، و تزويدهم بقروض فلاحية ووسائل الإنتاج ، و يعملون بتسويق تام مع المصالح الفلاحية المعنية و البنوك و قد تنوعت طبيعة الإنتاج لهذه التعاونيات حسب طبيعة المنطقة من زراعة الحبوب الإستراتيجية كالقمح و الفرينة و الشعير .

و مختلف الحبوب الجافة، الى الخضر و الفواكه و تربية الأغنام و الأبقار و الجمال ، و في مرحلة ثانية
تكثيف إنتاج اللحوم البيضاء ، و البيض .

. إنشاء مركبات لصناعة الآلات الفلاحية لمرافقة المشروع

. إنشاء وحدات لتحويل المنتوجات الفلاحية .

. إنشاء وحدات للحليب و مشتقاته .

. المشروع في بناء ١٠٠٠ قرية فلاحية بالقرب من تعاونيات الثورة الزراعية و تزويدها بمساكن حديثة و
جميع المرافق الحيوية ، المدرسة ، المسجد المستوصف ، السوق، و تعبيد الطرق و المسالك الرابطة بين
تلك القرى و الطرق الرئيسية . فالثورة الزراعية و بعيدا عن كل ما أحيط بها و أثير حولها ، هي
بكل بساطة محاولة لإستثمار العقل و الفكر و الذكاء للسيطرة على الأرض و إستغلالا عقلانيا
لصالح الفرد و المجتمع و الدولة ، حيث أن الزراعة هي الثروة الدائمة ، عندما تزول كل الثروات
الباطنية ، و إذا لم تستغل البلاد عائدات البترول في بناء أسس فلاحية حديثة تسمح بتحقيق الأهداف
الثلاثة المعروفة ، و هي الأكتفاء الذاتي ، توفير مناصب شغل دائمة ، التصدير نحو إفريقيا ، فسيلحق
الشعب و المسؤولين المقررين والتنفيذيين الويل الذي ذكره الرسول ﷺ عندما قال ويل لأمة تأكل
مما لا تزرع و تلبس مما لا تنسج .

- تقييم حصيلة الثورات الثلاث

حاول الرئيس هواري بومدين أن يمزج مشروع الثورتين الثقافية و الزراعية بنكهة إسلامية من خلال
دعم الثقافة الأصيلة و الإهتمام بالتعريب ، و رفع شعار الأرض لمن يخدمها المستوحى من الحديث
النبوي الشريف . من أحيأ أرضا مواتا فهي له . و إذا كان مشروع الثورة الصناعية قد مر بسلام و لم
يجد من يقف في طريقه بشكل أو بآخر، فإن الثورتين الثقافية و الزراعية واجهت عدة صعوبات و
عراقيل داخل النظام و في مجلس الثورة بالذات و خارجه من طرف تيارات ثقافية فرنكوفونية
لائكية ، لم تعجبها توجهات الرئيس نحو العودة التدريجية الى الأصل . لكن و قبل تقييم المشروع من
جميع النواحي ، يمكن أن نتساءل هل نجح الرئيس هواري بومدين في تنفيذ مشروع الثورات الثلاث
كما كان مخطط له أم أن المشروع في حد ذاته توقف بمجرد وفاته ؟ إن نجاح أي مشروع
إستراتيجي كمشروع الثورات الثلاث يحتاج الى عدة عوامل مادية و بشرية و الى وقت طويل ، و الى
عدة مراحل. حتى يحقق نسبة كبيرة من أهدافه ، و في تقديري أن مشروع كبير و ضخم بحجم
الثورات الثلاث يحتاج الى فترة طويلة من الزمن تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سنة تكون البلاد قد تمكنت من
تحضير الظروف المادية و البشرية لإنطلاقة حقيقية للمشروع ، صحيح أن الثورة الثقافية بدأت منذ
الإستقلال بمشروع التعليم الإبتدائي و الثانوي المتعدد الأبعاد عام و إسلامي و تقني ، لكن مشاريع
إنجاز الجامعات تأخر الى غاية شهر ديسمبر سنة ١٩٦٧ تاريخ إفتتاح جامعة وهران ، و بغض النظر عن
وجود جامعة الجزائر كإرث إستدماري ، فإن تخرج أول دفعة من الطلبة الناجحين في شهادة
الباكالوريا كان في أواخر الموسم الدراسي لسنة ١٩٧٥ و هذه الكوكبة التي وجهت الى التعليم
العالي سواء في الجزائر أو في الخارج كان أمامها فترة تتراوح من ٤ الى ٧ أو ١٠ سنوات حتى تعود الى
البلاد بشهادات ليسانس أو ماجستير أو دكتوراه ، أي في حدود سنة ١٩٨٠ و سنة ١٩٨٥ ، و لنجاح
مشروع الثورات الثلاث كان من المفروض المرور عبر عدة مراحل ، تنطلق من مرحلة تجريبية تمتد
من سنتين الى خمس سنوات تستغل فيها ما تتوفر عليه البلاد من إمكانيات مادية و بشرية مهما
كانت بسيطة ، و تستهدف تغطية حاجيات البلاد الإستعجالية من المواد الغذائية بدرجة أولى و المواد
الضرورية الأخرى للحياة ، عبر قطاع عام قوي يستثمر في الصناعات الإستراتيجية .

المرحلة الثانية تتجه فيها البلاد الى الإنفتاح التدريجي على القطاع الخاص،

. المرحلة الثالثة تفتح فيها المجال الى شراكة حقيقية بين القطاع العام و القطاع الخاص من خلال شركات مختلطة، في نهاية الأمر تتحول الثورات الثلاث من مشروع الدولة الى مشروع المجتمع، و يكون لدينا عدة قطاعات إستراتيجية ، قطاع عام قوي و إستراتيجي، قطاع خاص مؤسسات صغيرة و متوسطة محترمة ، و قطاع مختلط ،

في هذه المرحلة يتم تحقيق نوعا من الإكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية و المواد الغذائية المصنعة ، و المكملات ، و كل المواد الضرورية ، ووسائل الإنتاج الفلاحي ، و الأشغال العامة، و هنا يتم التركيز على الكمية ، ثم تأتي مرحلة تحسين النوعية و التفكير في التصدير .

فنجاح الثورات الثقافية و الصناعية و الزراعية ، يجب أن يعتمد على تكامل بين القطاعين العام و الخاص ، فكل ثورة مراحلها الضرورية فالثورة الثقافية تركز في البداية على التعليم بكل ابعاده و مراحلها ، ثم تتجه نحو الصناعة الثقافية ثم الفنون الثقافية كالمرسح و السنماء و الرسم ، و الدولة هي التي تبادر. و تضع الأسس الأولى لأية ثورة لكنها أبدا لا يمكن أن تستمر لوحدها أو تنجح دون مشاركة القطاع الخاص ، سواء في الثورة الثقافية من خلال المطابع و دور النشر و الإنتاج السنمائي، و المنتجات الثقافية ، أو من خلال مؤسسات صغيرة أو متوسطة مكملة و داعمة للإنتاج الصناعي الذي تتكفل بها مصانع القطاع العام ، و نفس الأمر بالنسبة للفلاحة التي لا تستقيم من دون القطاع الخاص ، و في التقييم النهائي لمشروع الثورات الثلاث الذي قدمه الرئيس هواري بومدين يمكن القول أنه مشروع إستراتيجي ضخم و طموح ، لكنه لم يكتمل و لم يصل الى محطاته النهائية ، و لم تستكمل مراحلها الأخرى ، فالبلاد التي كانت عبارة عن ورشة حقيقية تمكنت من إستلام أهم المشاريع مطلع الثمانينيات ، و كانت قبل ذلك على وشك الخروج بصفة نهائية من دائرة التخلف و الإلتحاق بركب الدول السائرة في طريق النمو ، و ذلك بشهادة الملاحظين و المراقبين المنصفين الأجانب بصفة عامة و الفرنسيين بصفة خاصة ، وربما يتذكر جيلنا ، جيل الإستقلال عنوان الإستطلاع الذي أنجزه صحفي فرنسي حول جزائر أو آخر سبعينيات القرن الماضي ، حيث جاء العنوان أمينا و مطابقا للواقع دون تزييف أو تملق أو نفاق - الجزائر في منتصف الجسر ، بمعنى أنها كانت في طريقها للخروج من التخلف و اللحاق بركب الدول السائرة في طريق النمو ، و في الحقيقة أن من يعيد قراءة الميثاق الوطني لسنة ١٩٧٦ بغض النظر عن جانبه الإيديولوجي سيء الذكر ، يجد أن الرئيس هواري بومدين الذي كان ملهم الخبراء و المخططين ، كان يفكر في تحويل البلاد بعد سنوات الثمانينيات على أقل تقدير و التسعينيات على أكثر تقدير الى إحدى النُمور الإفريقية ، خاصة و أن كل الإمكانيات المادية و البشرية كانت متوفرة بشكل يسمح للبلاد بالنهوض و التقدم و تحقيق التنمية الشاملة و أكثر من ذلك المعجزة الإفريقية ، لكن القدر و الأجل ، كان لهما كلمة أخرى ، فرحل الرجل دون أن يتمكن من رؤية ثمار الثورات الثلاث و الإنجازات التي كان يحلم بتحقيقها لصالح البلاد و العباد .

الفصل الرابع (4)

الإسلام ... و الإشتراكية

وجهها ... لوجه

- المرجعية الوطنية من الأمير عبد القادر الى بيان أول نوفمبر -

يتفق الكثير من الباحثين و المهتمين بتاريخ الجزائر ، على أن فكرة الوطنية الجزائرية الأصلية قد ولدت مع تأسيس النواة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة على يد الأمير عبد القادر ، و أن فكرة الوطنية الممزوجة بالإسلام ، واصلت توهجها عبر كتابات و خطابات المفكر الجزائري ابن العنابي الذي كان شوكة في حلق الإدارة الفرنسية التي سارعت لنفيه الى الإسكندرية ، ثم حمل مشعل الوطنية الأصلية من بعده المفكر الجزائري الثري حمدان خوجة صاحب كتاب المرأة و الذي تبني طروحات و مواقف متشددة من الإستعمار الفرنسي رافضا أي تبرير للإستعمار و كان من أوائل الرافعين للواء الإستقلال ، و في سنة ١٩١٤ و بعد إعلان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني تأسيس الجامعة الإسلامية كدرع لحماية الخلافة الإسلامية من المؤامرات و الدسائس التي تحاك في الخفاء لإسقاطها ، و عزل الإسلام عن الحكم و إدارة و تنظيم شؤون الحياة ، تلقفت النخبة الإسلامية الجزائرية الفكرة بسرعة و أعلنت عن تأييدها و الإلتفاف حولها ، و ظهر تيار وطني يضم رموزا من مختلف شرائح المجتمع الجزائري ، علماء من كل الإتجاهات و المدارس و شيوخ القبائل و الأثرياء ، و المرابطين و السادة الصوفية و كان في طليعتهم نخبة المفكرين الإسلاميين الجزائريين و هم السادة عبد القادر المجاوي ، سعيد بن زكري ، ابن سماية و مولود بن الموهوب ، و تسمي في الأدبيات السياسية بجماعة المحافظين تمكنت من تجنيد رموز من مختلف شرائح المجتمع الجزائري ، و حاول إفتكاك ضمانات من الإدارة الفرنسية للمحافظة على الحقوق الأساسية للجزائريين لصالح الشعب الجزائري ، ثم تبلورت و تجددت هذه المطالب مع بداية الحراك الوطني بشقيه السياسي و الإصلاحي مطلع القرن العشرين ، و نجد في طروحات و أفكار الشيخ العنابي ، و ابن باديس ، و الأمير خالد ، محاولات لوضع اللبنة الأولى للوطنية الجزائرية الأصلية ، ثم تلقف الفكرة و المشروع مصالي الحاج و بعد تخبط إيديولوجي بين اليسار و الوسط ، إقتنع بعدم جدوى الإيديولوجيات الوضعية و عاد الى الطريق المستقيم و عبر عن المبادئ و الأفكار الجديدة التي كانت ثمرة لقاءه مع التأثير و المفكر الإسلامي الكبير شكيب أرسلان ، و أعلن عنها صراحة في لقاء جماهيري حاشد في نوفمبر ١٩٣٦ ، و بعد الفراغ السياسي الذي ميز الحراك الوطني بصدور قرار غلق حزب الشعب و منعه من النشاط ، ظهر مشروع حركة أحباب البيان و الحرية الذي كان تعبيرا عن مرحلة جديدة في حياة فرحات عباس . إنتقل فيها من النقيض الى النقيض ، و هي تعبير عن وصوله الى حالة من اليأس الشديد من إمكانية توبة الإستعمار ، و الوفاء بوعوده الضئيلة و تراجع خطوات مهمة الى الوراء و الإعتراف بالحقوق الأساسية للشعب الجزائري ، التي كانت بالنسبة للتيار الإندماجي ، لا تبتعد كثيرا عن المطالبة بالمساواة في الحقوق و الواجبات بين المواطنين الجزائريين الأصليين أصحاب الأرض ، و الفرنسيين المقيمين ، حيث تمكن فرحات عباس من إقناع مصالي الحاج و البشير الإبراهيمي بدعم مشروع التنظيم السياسي الجديد ، و في تقديري المتواضع أن حركة أحباب البيان و الحرية كانت تعبر بصدق عن كل مكونات المجتمع الجزائري ، و حاولت أن تجمع شمل التيارات الوطنية المتناقضة و الفارقة في خلافات إيديولوجية و فكرية و صراعات حول الزعامة و طريقة التعامل مع الظاهرة الإستعمارية ، و بعد وصول حركة إنتصار الحريات الديمقراطية وريثة حزب الشعب ، الى الطريق المسدودة و إنشطارها الى ثلاثة ٣ إتجاهات متصادمة بداية الخمسينات ، و دخول الحركة الوطنية في أزمة خانقة ، تشكل تكتل شباني سمي في ما بعد بمجموعة ال ٢٢ و حمل القضية الوطنية على كاهله و قرر تجاوز الجميع و و تأسيس اللجنة الثورية للوحدة و العمل ، التي تغيرت تسميتها فيما بعد الى جبهة التحرير الوطني ، و أعلنت الثورة المباركة في الفاتح من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، و قادت الكفاح المسلح كحركة إسلامية سياسية و ثورية في جوهرها ، فأجبرت

الإستعمار على التفاوض ثم الإنسحاب بشرف من أرض الجزائر، و بغض النظر عن بعض الأخطاء التي رافقت إعلان الثورة كفشل النواة الصلبة في تشكيل قيادة فعلية و رسمية لإدارة شؤون الثورة ، و تبنى خيار القيادة الجماعية الذي أفرز عدة مراكز قوة في الداخل و الخارج ، و أقطاب ورموز يدعي كل منهم أنه آلاب الشرعي للثورة و الآخرين مجرد أتباع ، و تجاوز كل التنظيمات و الرموز و الشخصيات الوطنية المقيمة بالداخل و الخارج بما فيهم الزعيم مصالي الحاج و الشيخ العربي التبسي و الشيخ البشير الإبراهيمي ، يمكن القول أن جبهة التحرير الوطني و من خلال الأفكار و المبادئ التي أعلنت عنها في بيان أول نوفمبر قد إلتزمت بالمحافظة على البعد الإسلامي للثورة، و تبنت نفس المبادئ الرئيسية التي ظلت تتردد في أدبيات الحركة الوطنية منذ إعادة تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة على يد الأمير عبد القادر بصفة عامة ، و يبدو تأثير أدبيات و مواقف و مبادئ حركة أحباب البيان و الحرية واضحا في بيان أول نوفمبر الذي حدد الهدف الرئيسي للثورة في بناء دولة ديمقراطية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية ، و هي نفس الأفكار و المبادئ و الأهداف التي يمكن قراءتها في أدبيات حركة أحباب البيان ، على وجه الخصوص و هي الحركة السياسية الوحيدة التي أقتعت التيار الإسلامي بقيادة جمعية العلماء المسلمين و جذبته الى العمل السياسي من خلال عضوية الشيخ البشير الإبراهيمي في مكتب الحركة ، دون أن نقلل من تواجد البعد الإسلامي في أدبيات و مواقف تنظيمات سياسية أخرى كحزب الشعب و حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، و دون أن ننسى دور الشيخ الفضيل الورثلاني الذي سبق جميع قادة الثورة الى القاهرة و أعلن عن تأسيس جبهة لدعم قضية إستقلال الجزائر ، و قام بنشاط سياسي كبير داخل القاهرة التي كانت ملتقى لجميع التيارات الوطنية و الإسلامية و ممثلي حركات التحرر في العالم ، و نقطة عبور لكبار المصلحين و المفكرين الإسلاميين و القوميين و غيرهم ، و قد كانت ثورة أول نوفمبر تمثل حلقة أخيرة من مسلسل الحروب الصليبية ، و شوطا آخر من الصراع الأبدي بين الصليب و الهلال ، و كان الإسلام و العربية و الجزائر ، هي أهم منطلقات و أهداف الثورة ، الى غاية مؤتمر الصومام حيث إستغلت النخبة الفرنكوفونية فراغا سياسيا نجم عن إستشهاد قيادات الصف الأول و إختطاف أخرى للعبث بالثورة و تحريف مسارها ، و الإنقلاب على مرجعية أول نوفمبر التي حددت طبيعة النظام و مرجعيته بدقة لا تقبل المناقشة و هي بناء جمهورية ديمقراطية إجتماعية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية و بعد الإستقلال إنقسمت النخبة السياسية و العسكرية التي كانت تكافح الإستعمار تحت راية واحدة هي جبهة التحرير لتحقيق أهداف أول نوفمبر الى عدة أجنحة ، جناح بن بلة بومدين يمكن تصنيفه ضمن التيار العربي الإسلامي ، جناح بوضياف كريم بلقاسم ، يساري علماني فرنكوفوني متطرف معاد للعروبة و الإسلامية و متعاطف مع الأكاذوبة البربرية، جناح آيت أحمد خيضر، علماني فرنكوفوني بربري ، جناح فرحات عباس ليبرالي وسطي تعاطف مع التيار العربي الإسلامي لفترة و لحسابات تكتيكية ظرفية ، ثم أنحاز الى التيار العلماني ، والغريب في الأمر أن جميع هذه التكتلات أعلنت عن تبنيتها للخيار الاشتراكي كمنهج إقتصادي و إجتماعي ، وفي مؤتمر طرابلس واقفت بأغلبية مريحة على تمديد صلاحيات جبهة التحرير الوطني لقيادة معركة البناء و التشييد ، و تأجيل فتح المجال السياسي الى غاية توفر بعض الشروط الموضوعية ، كما تم تأجيل النقاش حول المرجعية السياسية للنظام الجزائري و موقع ومكانة الإسلام في منظومة الحكم ، و عاشت البلاد منذ الإستقلال حتى الآن - ديسمبر ٢٠١٩ ، في صراع وهمي حول الهوية و المرجعية السياسية الوطنية .

- النظام بين الإسلام و الاشتراكية

ذكرنا في فقرة سابقة أن الخيار الاشتراكي كان هو القاسم المشترك بين جميع الأجنحة المتصارعة على الحكم بعد الإستقلال ، لكن و على ما يبدو فإن لكل جناح مفهومه الخاص للإشتراكية ، فما هي الإشتراكية و كيف وصلت الى قلب النظام الجزائري و تغلغت في أعماقه و تطورت من مجرد خيار إقتصادي و إجتماعي و تجربة إنسانية قابلة للإستتساخ الى عقيدة و مرجعية الإشتراكية كما جاء في أهم المراجع هي نظرية سياسية و إقتصادية و إجتماعية ، تعتمد على فكرة ملكية الدولة لوسائل الإنتاج ، و جاءت كنفويض للنظرية الليبرالية التي تفتح المجال واسعا للقطاع الخاص دون قيود أو شروط ، مما نتج عنه سلبيات عديدة ، و ترى النظرية الإشتراكية أن إحتكار القطاع الخاص للنشاط الإقتصادي يهدد كيان الدولة و يفرز مراكز قوى إقتصادية تتحول تدريجيا الى سلطة موازية تملئ شروطها على الحكومات ، و تعتبر الإشتراكية مظهرا عمليا للشيوعية كمنظريتها سياسية ، و بعيدا عن التنظير الفلسفي يمكن القول أن الإشتراكية في مفهومها الشعبي البسيط هي تقمص الدولة لدور الأم الحنون و قيامها بتوفير كل الحاجيات الضرورية للمواطنين و من أبرز مظاهرها ديمقراطية التعليم و مجانيته و ضمان مقعد دراسي لكل تلميذ من السنة الأولى إبتدائي حتى الجامعي ، رعاية صحية للأمم و الطفولة و الشيوخ ، و كل المواطنين ، من خلال الطب المجاني ، توفير السكن الإجتماعي أو قطع أرضية و مواد البناء لكل المواطنين ، توفير الشغل لكل مواطن قادر على العمل وفق مؤهلاته العلمية ، توفير السلع و الخدمات بأسعار رمزية ، تحسين إطار معيشة المواطنين و توفير المياه الصالحة للشرب ، الكهرباء ، الغاز ، تعبيد الطرقات ، و وسائل النقل ، تقريب الإدارة إنشاء المصانع و الوحدات الإنتاجية و المزارع و الإدارات و المستشفيات وضعها تحت تصرف المواطنين لإدارتها و تسييرها ليس كأجراء و لكن كشركاء بصفة معنوية ، تخصيص منح سياحية سنوية للمواطنين ، ضمان تقاعد مريح لكل عامل بلغ سن الستين ، أو منحة شيخوخة ، و على العموم فإن الهدف الكبير الذي تصبو الى تحقيقه الإشتراكية هو بناء مجتمع مثالي لا وجود له سوى في الجنة التي وعد الله المتقين ، ولذلك نجحت النظرية الإشتراكية في التأثير على العديد من النخب السياسية و الفكرية و العلمية ، و تبنتها العديد من الدول التي عانت من ويلات الإستعمار و بطشه و لجأت إليها كملجأ آمن يحميها من ظلم الدول .

- الإشتراكية ... كحتمية إقتصادية

تبنى مؤتمر طرابلس بإجماع الطبقة السياسية و العسكرية الخيار الإشتراكي كسبيل وحيد و ممكن للتنمية الوطنية ، و هناك عدة عوامل ذاتية و موضوعية كانت تدفع نحو هذا الإتجاه منها موقف المعسكر الإشتراكي الإيجابي من الثورة الجزائرية ، و إستعداده لمساعدة الجزائر المستقلة ، في مقابل مواقف متخاذلة أو متواطئة مع الإستعمار الفرنسي أبدتها العديد من الدول الرأسمالية ، و تأثر النخبة السياسية و حتى العسكرية بالتجارب الإشتراكية الناجحة ، تسويق الإشتراكية لنموذج حياة مثالية خالية من المشاكل تتكفل فيها الدولة بتوفير كل متطلبات العيش و الراحة و الأمن و الإستقرار ، و قد إستعمل مصطلح الإشتراكية لأول مرة خلال القرن ١٩ م كتعبير مناقض للأناية و الفردانية و حب الذات ، و قدم المفكر الإسلامي الكبير مصطفى السباعي مقارنة فلسفية لإحتواء الإشتراكية و تكييفها مع النظام الإسلامي الشامل ، و يعتبر الشيخ محمد الغزالي من بين المنظرين الإسلاميين الذين تأثروا مبكرا بالنظرية الإشتراكية في جوانبها الإقتصادية و الإجتماعية ، و بدا ذلك واضحا في كتاباته الأولى التي صدرت أواخر الأربعينيات الإسلام والأوضاع الإقتصادية ، الإسلام و المناهج الإشتراكية ، الإسلام و الإستبداد السياسي ، و الحقيقة أن الإشتراكية في بعدها الإقتصادي

و الاجتماعي نظريا جد مغرية و جذابة و مثيرة . . . فهي تعزف على وتر إشتراك الناس في أبسط ضروريات الحياة و لصعوبة تحقيق هذا الهدف بصورة تلقائية ، وتتدخل الدولة لتحقيق ما تسميه الأدبيات الإشتراكية ب العدالة الاجتماعية و توزيع الثروة بالتساوي على المواطنين ، و في المجتمع الإشتراكي طبقة واحدة لها نفس الحقوق و الواجبات لا وجود للتفاوت بين البشر في مظاهر الحياة سوى ما يفرضه تفاوت الأفراد في المستويات العلمية و الثقافية ، و يسعى النظام الإشتراكي دوما و بانتظام الى مكافحة كل مظاهر التفاوت الطبقي في أي صورة إقتصادية أو إجتماعية أو ثقافية ، حتي يحافظ على تماسك المجتمع وإستقراره ، لكن هل تبنت بعض الأنظمة العربية و من بينها الجزائر نظاما شيوعيا شاملا ، أم إنها تبنت منه الجزء المضيء و تخلت عن الشيوعية ، بمعنى هل كانت الإشتراكية التي طبقت في الجزائر مع مطلع الإستقلال معزولة عن مرجعيتها الفلسفية المادية الإلحادية والإباحية ؟ اغلب الظن أن النخب العربية و منها الجزائرية فضلت تجربة الإشتراكية كخيار تكتيكي قابل للتراجع أو الإلغاء في أية لحظة ، بإعتباره الخيار الوحيد و الممكن في ذلك الوقت لعدة إعتبرات سياسية و إقتصادية و إجتماعية ، بمعزل عن الإيديولوجية الشيوعية بدليل دخول معظم البلدان العربية التي تبنت النهج الإشتراكي مصر تونس، الجزائر في مطلع سبعينات القرن الماضي في صدام عنيف مع النخب الشيوعية .

- الإشتراكية الإسلامية -

أستعمل مصطلح الإشتراكية الإسلامية لأول مرة في كتابات المفكرين الإسلاميين أواخر الإربعينيات و بداية الخمسينيات ، ورحب به عدد من المنظرين دون أن يتبنوه بصفة مباشرة ، و كانت أغلب تلك الكتابات ترى أن الجانب العملي المشرق من الإشتراكية و بعض مظاهرها الإقتصادية و الإجتماعية ليست بعيدة عن روح الإسلام ، فمحمد الغزالي ومصطفى السباعي و هما من كبار المنظرين للإسلام السياسي في العصر الحديث كانا من أوائل الكتاب الإسلاميين الذين إستعملوا صراحة مصطلح الإشتراكية الإسلامية. و لم يريا مانعا في إستيراد اية تجربة تنموية أثبتت نجاحها في الغرب و إعادة تطبيقها في العالم الإسلامي و تكييفها مع الإسلام، و في كتابه الإسلام و المناهج الإشتراكية الصفحة ٢١٢ إستعمل الشيخ الغزالي صراحة مصطلح الإشتراكية الإسلامية في معرض رده على كاتب شيوعي إعتبر الدين ألعوبة في أيدي الرأسماليين و الإشتراكية الإسلامية التي تستبعد الطبقات المترفة ، و تأبى وجود أي أثر للجوع و الجهل و الهوان ، لايمكن البتة أن توصف بأنها تقنع العمال بحب ظالمهم و الخنوع لمستغليهم كما يزعم و في الصفحة ٢١٥ من نفس الكتاب فقرة بعنوان أخوة في الدين و إشتراكية إستعرض فيها أهم مظاهر الإستبداد و الإستعباد التي مرت بها البشرية قبل الإسلام و بعده ، و ختمها بالعبارات التالية فلنصرخ في وجوههم بالحق المر أن الإسلام أخوة في الدين ، و إشتراكية في الدنيا ، أما في كتابة الأول و باكورة أعماله فقد بدا الشيخ الغزالي متأثرا بشكل كبير بالنظرية الإشتراكية في جانبيها الإقتصادي و الإجتماعي و بمعزل عن فلسفتها الشيوعية المادية الإلحادية و الإباحية، حيث ذهب في إتجاه يؤيد ضمنا تحديد الملكية الخاصة إذا كانت تحقق إستقرارا سياسيا و إقتصاديا و إجتماعيا، يمنع من ظهور طبقات مترفة تتحكم في دواليب الدولة و تسيطر عليها أما الأستاذ مصطفى السباعي فقد ألف كتابا سماه . إشتراكية الإسلام . فقد إستعرض الجوانب الإقتصادية و الإجتماعية التي يوفرها الإسلام للمواطنين ، و هي إمتيازات طبيعية و ضرورية سبقت كل ما تتشدد به النظريات الإقتصادية و الإجتماعية ، سواء أكانت الإشتراكية أو الليبرالية ، و يقدم تفاصيل حول محاربة الإسلام للفقير و سعيه للمحافظة على التوازنات الإقتصادية و الإجتماعية داخل المجتمع الإسلامي ، و حتى الأستاذ

سيد قطب الذي يعتبره كثيرا من الناس متشددا في أطروحاته و أفكاره و مواقفه من الأنظمة الوضعية ، فقد بدا في كتابه العدالة الإجتماعية في الإسلام متأثرا الى حد ما بالخطاب الإشتراكي والشعارات المرافقة له ، و في موضوع الملكية الخاصة أبدى موقفا مؤيدا لإمكانية تدخل الدولة لتحديدها أو تضييقها لتحقيق أهداف إستراتيجية بعيدة المدى ، مع تأكيده على أن حق الملكية الخاصة في الإسلام مكفول و مقدس في الحدود التي لا تؤدي الى تضرر المجتمع ، و يبدو لي أن الطبقة السياسية الجزائرية بغض النظر عن خلفياتها الفكرية و الثقافية قد تأثرت بشكل كبير بالإشتراكية ، خاصة و انها قضت أجمل فترات عمرها النضالي بالقاهرة التي خرجت لتوها من نظام ملكي ليبرال إستبدادي إقطاعي متوحش ، و تبنت الإشتراكية كمنفذ للدولة و الشعب و مبشرا بمجتمع مثالي تتحقق فيه العدالة الإجتماعية بين جميع أفرادها و تمحى منه كل مظاهر التفاوت الطبقي ، حتى أن بعض التحليلات الصحفية و الآراء السياسية ، تذهب في إتجاه تفسير المبدأ الإجتماعي الذي ورد في بيان أول نوفمبر ، بأنه إشارة الى الإشتراكية و أن الترجمة الحرفية للنص من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية حرفته من الإشتراكية الى الإجتماعية. بمعنى أن النخبة السياسية التي فجرت الثورة قد حاولت أن تجمع بين الإشتراكية و الإسلام ، لكن الواقع و منطق الأشياء قد يقول عكس ذلك ، فبيان أول نوفمبر في تقديره كان يؤسس لدولة ديمقراطية إجتماعية إسلامية أو العكس دولة إسلامية ديمقراطية إجتماعية. و كان يتجه الى نوع من الليبرالية الإجتماعية التي تبنتها أحزاب الوسط الديمقراطي في ألمانيا. و هو نموذج نظام وسطي يحاول أن يستفيد و يستثمر في إيجابيات النظريتين الرأسمالية و الإشتراكية .

- مظاهر الإشتراكية

حاولت العديد من الكتابات و التحليلات تقديم نظام الرئيس هواري بومدين في صورة نظام شيوعي مغلق و ديكتاتوري و مستبد ، و نسجت حوله العديد من الحكايات و الأساطير، و كان الرئيس هواري بومدين هو الذي قام بنقل التجربة الإشتراكية شكلا و مضمونا من الإتحاد السوفياتي أو من يوغسلافيا و فرضها على الجزائريين بقوة الحديد و النار، و الحال أن فكرة الإشتراكية كما يعرف الجميع كانت قاسما مشتركا بين جميع النخب السياسية و العسكرية. و تمت الموافقة عليها كخيار إقتصادي بالإجماع في مؤتمر طرابلس الذي حدد المحاور الكبرى للدولة الجزائرية المستقلة ، لكن حصل خلاف في فهم حقيقة الإشتراكية طبيعتها و حدود علاقتها بالإسلام دين الدولة ، و لتمرير الخيار الإشتراكي و تسويقه شعبيا حاول النظام الجزائري سواء في عهد الرئيس المنتخب أحمد بن بلة ، أو في عهد الرئيس هواري بومدين ، تفريغ الإشتراكية من حملتها الأيديولوجية الشيوعية المادية الإلحادية و الإباحية ، و إلباسها ثوبا إسلاميا عصريا ، مستفيدا من دون شك من كتابات المنظرين الإسلاميين الذين حاولوا بدورهم تكييف الإشتراكية مع الإسلام، في إتجاه المحافظة على موقع الإسلام كمرجعية سياسية و فلسفية و مصدر أساسي للتشريع ، مع الإستفادة من كل التجارب الإنسانية الناجحة في العالم ، و كانت هناك عدة عوامل سياسية و إقتصادية و إجتماعية و تاريخية ترشح الإشتراكية على حساب الرأسمالية لتكون نموذجا تمويا في مختلف دول العالم الثالث و العالم الإسلامي جزء مهم منه بطبيعة الحال ، و هناك عدة عوامل ذاتية أدت الى تبني هذا الخيار السياسي، أهمها الخلفية الفكرية و الثقافية و السياسية للرئيس هواري بومدين، و العوامل التاريخية المؤثرة في شخصيته ، و التي نجدها واضحة دون عناء كبير بعد تحليل بسيط لشخصيته و أفكاره و مواقفه ، و حياته الخاصة و العامة ، حيث لا يخفى على الناس أنه تلقى في بداية حياته ثقافة إسلامية تقليدية ، حاول صقلها و تنميتها بصورة أكاديمية

بالقاهرة من خلال دروس و حلقات الأزهر الشريف ، و محاضرات منظري الفكر الإسلامي الحديث ، سيد قطب محمد الغزالي على وجه الخصوص ، بالإضافة الى إستفادته من العلوم الحديثة التي تلقاها في الثانوية الجديدة ، و بطبيعة الحال فقد إستفاد الرجل من تكوين عسكري ، و حاول تنمية و تطوير ثقافته بقراءته الحرة في مختلف الإتجاهات السياسية و الفكرية الحديثة ، فكل هذه العوامل كونت منه شخصية سياسية متوازنة و معتدلة تحاول أن تستفيد من التاريخ لخدمة الحاضر و المستقبل ، و يقول بعض المقربين منه أنه كان متأثراً بشخصيات تاريخية قدمت اروع الأمثلة في التضحية و الوفاء و الأمانة ، و كان مثله الأعلى هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، كما كان متأثراً بشكل كبير بالأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ، و نفس الوقت كان معجبا بالتجارب التنموية الناجحة في عدد من الدول الاشتراكية ، و حاول الإستفادة منها في تنمية البلاد و تطويرها و ترقية حياة المواطنين من خلال مشروع الثورات الثلاث الذي لم يكتمل ، و توقف في منتصف الطريق ، فنظام الرئيس هواري بومدين حاول أن يمزج بين الإسلام كمرجعية سياسية و فكرية و مصدر للتشريع ، و بين الاشتراكية كتجربة تنموية مفصلة عن جذورها الفلسفية الشيوعية. و منذ سنة ١٩٦٧ و هي البداية الفعلية لنظام الرئيس هواري بومدين دخلت البلاد في سباق غير معن بين ثلاث ٣ إتجاهات ، يحاول كل منها سباق الزمن و فرض رؤيته على الإتجاهين الآخرين ، إتجاه العودة الى مرجعية أول نوفمبر و إستكمال الشطر الأخير و مشروع الدولة التي بشر بها البيان ، و يتشكل من شخصيات وطنية من داخل النظام و مقربة الى الرئيس ، نجحت الى حد كبير في إقناع الرئيس بالفكرة و المشروع و خطت عدة خطوات على الأرض في سبيل تحقيقه، و هذه الشخصيات التي يمكن تصنيفها ضمن خانة التيار الإسلامي هي بطبيعة الحال

. المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي

. الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي

. الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم

. الأستاذ أحمد حماني

. الأستاذ عبد الرحمن شيبان

و قد حاول كل واحد من هؤلاء الإستفادة من تشنج العلاقات بين المعربين و الفرنكوفون ، و إستثمارها لصالحه ، بغض النظر عن موقف بعض رموز تيار المعربين من الإسلام ، ومدى إستعدادهم لهضم المشروع الإسلامي بشموليته السياسية و التشريعية، مع المحافظة على الخيار الاشتراكي ،

. إتجاه بريري فرنكوفوني ، حاول إستغلال نفوذه و إمداته في الإدارة لعرقلة مشروع التعريب، و رفض فكرة العروبة و الإسلام بالمرّة،

. إتجاه فرنكوفوني كان يتشكل من نواة لما أصبح يعرف سياسيا و إعلاميا ب - حزب فرنسا هاجسه الوحيد هو الدفاع عن القيم الفرنسية و المحافظة على مصالح فرنسا في الجزائر. ويرى نفسه مرتبط ب بشكل عضوي بوجود جميع المظاهر الفرنسية في الجزائر. و في مقدمتها الثقافة الفرنسية التي تشكل اللغة أحد أهم روافدها ، و ربما كان هذا الإتجاه هو الأقوى و الأكثر تأثيرا على الساحة الوطنية التي لا تزال بكرة في ذلك الوقت ، أي السنوات الأولى بعد الاستقلال ، حيث لم تزال الدولة أو النظام الجزائري في بداية الطريق ، و غارقة حتى أذنيها في تصفية مخلفات الإستعمار ، في مختلف الجوانب الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية ، ويستمد هذا التيار قوته المادية و المعنوية من إرتباطه بالمستعمر السابق ، و بوجود نخبة مفرنسة تخشى من ضياع إمتيازاتها المادية و نفوذها و مصالحها ، إذا تمكن تحالف اليسار المعتدل مع الوطنيين و الإسلاميين من تحقيق أهدافه الرئيسية

. إتجاه شيوعي لم يقتنع بفكرة الاشتراكية الإسلامية و بدأ منزعجا من تنامي المظاهر الإسلامية و تخوف من إتجاه النظام نحو العودة الى مشروع بيان أول نوفمبر، ووجد في إهتمام الدولة بالتعريب و التعليم الإسلامي ، خطرا يهدد وجوده ، فكربا و سياسيا ، و إكتشف متأخرا أن الاشتراكية في الجزائر ما هي في حقيقة الأمر سوى شعارا ، و خيارا تاكتيكيا يقترب شيئا فشيئا من الزوال بوصول مشروع الثورات الثلاث الى نهايته ، و أن البديل المحتمل لن يكون سوى العودة الى الأصالة و تحقيق مشروع بيان أول نوفمبر ، و تبني نوعا من الليبرالية الإجتماعية .

و يمثل هذا الإتجاه ثلاث ٣ شخصيات جزائرية شيوعية تعتبر في ذلك الوقت رموزا للإتجاه ، و تلتقي مع التيار المقرب من فرنسا في عدة طروحات و مواقف ، أهمها المحافظة على المظاهر و المصالح الفرنسية في الجزائر ، و في مقدمتها الإقتصاد ، و اللغة و الثقافة و هذه الشخصيات هي

. رضا مالك

. مصطفى الأشرف

. عبداللطيف رحال

و لكن مشروع التعريب قد حسم أمره على مستويات أعلى و لا يمكن معارضته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بحيث أصبح مشروعا وطنيا إستراتيجيا يتعلق بإسترجاع أحد أهم مقومات الشخصية الوطنية وهي اللغة العربية و إعطائها مكانة تليق بها في الدولة و المجتمع ، و كانت بعض الأطراف من داخل النظام و من خارجه تعتقد أن الرئيس بومدين يحاول فقط إستعمال مكونات الشخصية الوطنية الأساسية وهما العروبة و الإسلام للتمكين لنظامه ، و إحتواء تيارات العروبة و الإسلام ، غير أن الأمور لم تكن تسيير كما كان يتمنى التيار الشيوعي الذي كان يتربص بالبلاد و يتحين أية فرصة للحيلولة دون أن تتجه نحو مجالها الطبيعي عمليا و ليس بالشعارات و الخطابات الحماسية الديماغوجية .

- خطوات نحو الطريق الصحيح

كان مشروع التعريب الذي تبنته البلاد في الموسم الدراسي الثاني ٦٣ - ١٩٦٤ ، و التعليم الإسلامي من أهم أركان معركة تقرير مصير البلاد و العودة التدريجية للمنابع الأصيلة و إستكمال الشطر الأخير من مشروع بيان أول نوفمبر المتعلق بإعتماد الإسلام كإطار للدولة و كمرجعية سياسية و فكرية و مصدر رئيسي للتشريع ، دون أن يعني أن هذا التوجه سيؤدي الى التخلي عن الخيار الاشتراكي ، و بقدر ما كانت البلاد جادة في تطبيق الاشتراكية في شقها الإقتصادي و الإجتماعي، كانت هناك عدة معطيات على الأرض توحى بأن البلاد تتجه تدريجيا نحو إستعادة المرجعية الإسلامية كفلسفة لنظام الحكم و كمصدر أول للتشريع ، و الفقرة التالية من إحدى خطابات الرئيس هواري بومدين تبين بوضوح كبير ، محاولاته تسويق المشروع الإسلامي و إقناع الطرفين الإسلاميين و اليساريين بأنه لا مناص من التعايش السلمي و قبول الأمر الواقع ، و أنه بالإمكان التوفيق بين الإسلام و الاشتراكية الأصيلة ، قال الرئيس بومدين — إن الإسلام دين الحضارة و التطور، و أنه في جوهره لا يتنافى إطلاقا مع الاشتراكية الحققة الأصيلة ، إذ هو دين التضامن و العدالة ، و التساوي في الفرص للجميع — و في التحليل البسيط لهذه الفقرة التي حددت رؤية و موقف الرئيس من الإسلام، و علاقته بالاشتراكية، نستنتج الحقائق التالية

. الإعتراف بأن الإسلام ليس مجرد عقيدة أو شعائر تعبدية ، تعمق الصلة بين العبد و ربه فقط ، بمعزل عن الحياة العامة بكل مظاهرها السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية ، و هذه نقطة إيجابية تكفي لوحدها كرد مفحم على أفكار و طروحات العلمانيين المتطرفين الذين يعتبرون الإسلام مجرد علاقة روحية بين الإنسان و الله في أحسن الأحوال ، و الشيوعيين كما هو معلوم ينكرون

وجود الخالق و لا يعترفون بالأديان السماوية .

. الإسلام كدين لا يقف في وجه الحضارة و التطور، بل هو دين يشجع الحضارة و التطور، و يدعو الى التضامن بين أفراد المجتمع في السراء و الضراء ، و في شعائره و عباداته اليومية و الدورية أسمى مظاهر التضامن ، في زكاة الفطر نوع من التضامن مع البؤساء، و في زكاة الأموال، تضامن للأغنياء مع الفقراء ، حتى في عيادة المريض و المشي في الجنائز، و دفن الموتى نوع من التضامن الإجباري ، و هو في الحقيقة فرض كفاية ، لكنه يصبح واجبا و فرضا على المسلمين ،

. أن الإسلام هو دين العدالة ، بمعناها السياسي و الإجتماعي و التشريعي القضائي ، و ربط الإسلام هكذا بالعدالة، يعنى أن العدالة بمفهومها الواسع خلقت مع الإسلام .

. و هو دين جاء لتحرير البشر من عبودية البشر، و منحهم فرصا متساوية في الحياة تحددتها قدراتهم العقلية و الفكرية و العملية ، التفاوت الطبقي في الإسلام هو تفاوت طبيعي ضروري للإستمرار الحياة ، و هو ما يسميه الخطاب القرآني ب الدرجات .

. يحدد الخطاب نوعا جديدا للإشتراكية التي تبنتها الجزائر و يسميها ب .الإشتراكية الأصلية . مما يوحي بعدة دلالات و إشارات قد لا تتناسق مع المصدر الغربي للإشتراكية و بفلسفتها المادية الإلحادية و الإباحية ، و بجذورها المزدكية الوثنية ، بل تعيد ربط صلتها بجزورنا التاريخية و تستمد مقوماتها من تجاربنا السياسية و الإقتصادية ، و بقراءة عابرة لما بين السطور ، نصل الى تفسير كلمة الأصالة بمعناها البسيط و هو التراث السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي الثري الممتد من عصر الرسالة الى آخر نظام إسلامي عاشته البلاد و العالم الإسلامي ، فعندما نذكر مصطلح الوطنية الأصلية على سبيل المثال فقد يذهب تفكيرنا مباشرة إما الى تجربة الأمير عبد القادر، بإعتباره مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ، و رمز الوطنية الأصلية و المعاصرة ، أو الى الأستاذ عبد الحميد بن باديس بإعتباره منظرا و مجددا لفكرة الوطنية الأصلية مجسدة في شعاره الجذاب الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا .

. إشارة عميقة الى أن الإشتراكية في جوهرها هي حوصلة و خلاصة تجارب الإنسانية و أن الإسلام قد سبق منظرو الإشتراكية في تجسيد العدالة الإجتماعية و محاربة التفاوت الطبقي و توفير فرص الحياة أمام الجميع ، فالإشتراكية الأصلية هي من دون شك إشارة غير مباشرة الى الإشتراكية الإسلامية التي تعنى إحتواء الإشتراكية و أسلمتها .

. أن هناك قواسم مشتركة بين النظام الإقتصادي و الإجتماعي الإسلامي ، و بين الإشتراكية في بعديها الإقتصادي و الإجتماعي، حيث يتفقان في السعي للوصول الى تحقيق مجتمع مثالي راق، تسودها العدالة الإجتماعية و يتمتع أهله بالرفاهية و التقدم، و تتمحي فيه كل مظاهر التفاوت الطبقي

. إن التأكيد على أن الإسلام هو دين الحضارة و التطور، هو إعتراف مباشر و على مستوى أعلى بالإسلام كدين و دولة ، عقيدة و شريعة ، صالحة للتطبيق في كل زمان و مكان .

. إن هذه الفقرة التي وردت في إحدى خطب الرئيس هواري بومدين هي في تقديرنا تلخص مفهوما متقدما للإسلام و ترتفع به الى مكانته الطبيعية كنظام سياسي و إقتصادي و إجتماعي عالمي .

. تضمنت الفقرة عدة رسائل مشفرة موجهة الى مختلف التيارات المتصارعة داخل النظام و خارجه حول المرجعية السياسية و الفكرية لنظام الحكم ، و مكانة الإسلام و موقعه داخل النظام و الدولة ، في محاولة للمحافظة على التوازنات الكبرى التي إقتربت من الوصول الى نقطة الصدام ، و إن كانت توجهات النظام تميل حسب المعطيات و بشكل كبير الى تبني إسلاما عصريا لا يتصادم مع الخيار الإشتراكي ، أو إشتراكية محلية مبتورة من جذورها الفلسفية يمكن أن نسميها إشتراكية

إسلامية قد تساعد على تطبيق تدريجي للشريعة الإسلامية، دون التضحية بالخيار الإشتراكي

. التذكير بأن الإشتراكية التي تبناها النظام الجزائري منذ مؤتمر طرابلس ، و بغض النظر عن جذورها الفلسفية و التاريخية ، فإنها بالنسبة للنخبة الوطنية فكرة أصيلة تنبثق من تجاربنا السياسية البعيدة و القريبة ، و هي بمظاهرها السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ليست غريبة عن المجتمع السياسي . أي أن أصول و مبادئ الإشتراكية موجودة في أدبياتنا السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ، فالإسلام قد سبق النظريات الحديثة في تقييد الملكية الخاصة إذا كانت تلحق أضرارا بالمجتمع ، و سعى لتوزيع الثروة بالعدل و المساواة على كافة أفراد الشعب ، و وضع اللبنة الأولى للقطاع العام ، و بصفة عامة فإن رسالة الخطاب هي الإجتهد في إبعاد تهمة الشيوعية و اليسار، و تهميش الإسلام و حشره بين جدران المساجد و المعاهد،

- تغيير المنظومة التشريعية

شرعت حكومة الرئيس هواري بومدين في محاولات جادة، لإستبدال القوانين الفرنسية الوضعية التي كانت سائدة في البلاد ، بمنظومة قوانين جديدة مستمدة من الشريعة الإسلامية ، و كونت الحكومة لجنة من الخبراء لمراجعة القوانين و إثرائها لتكون متطابقة مع الشريعة الإسلامية نصا و روحا ، و في إجتماع اللجنة المذكورة في ٣١ . مارس . ١٩٧١ ألقى الرئيس هواري بومدين كلمة صريحة و مباشرة لا تحتمل أي تأويل . وصف فيها القوانين الوضعية السائدة بالغريبة عن المجتمع الجزائري ، و أكد أنها تتناقض مع التشريع الإسلامي ، و طالب اللجنة المعنية بالإسراع في تكييف المنظومة التشريعية مع الشريعة الإسلامية و إنقذ فيها القوانين الوضعية و تأسف عن التأخر الحاصل في تغيير المنظومة التشريعية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من السيادة الوطنية ، و مما جاء في كلمة الرئيس هذه الفقرة - إن قوانيننا الحالية غريبة عنا، تتعارض مع أحسن ما في تشريعنا الإسلامي ، فيجب إعادة النظر فيها جذريا ، لترد الى المصادر التشريعية الإسلامية -

. في فترة السبعينات أعلنت عدة دول عربية من بينها مصر ، الجزائر، ليبيا ، عن التوجه نحو تطبيق الشريعة الإسلامية ، و شكلت لجان لدراسة القوانين الوضعية و تحليلها و فرزها و إختيار ما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية أو مقاصدها العليا ، و التخلي عن كل القوانين التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية و إستبدالها بقوانين أخرى مستمدة مباشرة من مصادر التشريع المعروفة ، وهناك عدة مؤشرات أخرى تؤكد على أن النظام الجزائري و بخلاف ما ذهب إليه تحليلات و آراء و إنتقادات نخبا إسلامية ، كان منذ الإستقلال لا يبدي أية معارضة لتطبيق الشريعة الإسلامية ، و لكن بمفهوم و عقلية رجل الدولة الذي يضع أمامه حسابات دقيقة و يراعي التوازنات الدولية و الإقليمية و الداخلية ، و قد ذكرنا في فقرات و فصول أخرى أن مجرد الإصرار على تأكيد الإسلام و العروبة كأهم مكونات الشخصية الجزائرية ، في مواجهة طروحات البربر، و الفرنكوفون ، و الإصرار على تعريب التعليم بعد سنة من الإستقلال ، و وضع منظومة للتعليم الإسلامي بالموازاة مع التعليم العام و التقني ، و تسجيله ضمن مخططات التنمية الوطنية كأولوية إستراتيجية لا تقل أهمية عن الأولويات الإقتصادية و الإجتماعية الأخرى .

- الصراع الخفي

مشكلة نظام الرئيس هواري بومدين منذ التصحيح الثوري ، الى أواخر سنة ١٩٧٨ أنه سعى الى إحتواء كل التناقضات السياسية و الفكرية و حاول التعايش معها ، إن لم يتمكن من ترويضها و إستغلالها لصالحه ، كما سعى لعقد تحالفات طبيعية و غير طبيعية أحيانا ، دون أن يتمكن من تحديد الرؤية بوضوح ، و حالت حجة المحافظة على التوازنات الإستراتيجية المحلية و الإقليمية

و التحالفات الهشة دون تحديد الإتجاه العام و حسم قضية المرجعية الفلسفية للحزب و الدولة التي ظلت متأرجحة و دون تحديد ، كما حاول الخطاب الرسمي أن يبقي على شعرة معاوية و حبل الوصال بين مختلف التيارات و الاجنحة التي أعلنت عن نفسها بعد تثبيت قواعد النظام الجديد ، و إذا رجعنا قليلا الى نظام الرئيس أحمد بن بلة نجده منذ البداية يعلن الحرب على جمعية العلماء و يرفض الترخيص لها بالنشاط بسبب خلافات تاريخية مع رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي ، لكنه في المقابل ، لا يغلق الباب أمام النشاط الإسلامي الرسمي و الشعبي و يفتح آفاق أخرى أمام التيار الإسلامي من خلال . الإعتزاز بالإنتماء العربي الإسلامي و إعتبار العروبة و الإسلام أهم مقومات الشخصية الوطنية. و عدم الإعتراف بالبعد الأمازيغي .

. أن جناح أحمد بن بلة الذي إنتصر في النهاية على منافسيه من الأجنحة السياسية الأخرى ، كان يقدم نفسها ضمنا كأحسن مدافع عن قيم العروبة و الإسلام .

. أن دستور ٦٣ يعتبر بمقاييس ذلك الوقت إنجازا عظيما بحكم الظروف التي إنجز فيه و معارضة التيار الفرنكو بربر المتحالف مع الشيوعيين ، لعروبة الجزائر و لفكرة الإسلام دين الدولة

. الترخيص لرموز من التيار الإسلامي بتأسيس جمعية القيم ، كبديل بالنسبة له لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

. تقريب المفكر الإسلامي الجزائري الكبير مالك بن نبي من مصدر القرار و محيط النظام و محاولة الإستفادة من أفكاره و إستثمارها في الميدان .

. تعريب المدرسة الجزائرية بداية من الموسم الدراسي الثاني ٦٣ - ١٩٦٤

. فصل الذكور و الإناث في التعليم الثانوي

. تبني نظام تعليم إسلامي متوسط و ثانوي و فتح العديد من التكميليات و الثانويات ذات النظام الداخلي خاصة بالذكور و أخرى بالإناث .

. منح التيار العربي الإسلامي إمتياز تسيير وزارات ذات نفوذ كبير على المجتمع التعليم ، الإعلام و الثقافة، العدل، الشؤون الدينية .

و لكن و في نفس الوقت كان النظام حريصا على تقريب رموز و شخصيات من تيار اليسار المتطرف ، و منحها عدة مواقع مؤثرة في المكتب السياسي و في الإعلام و الثقافة، و بعد تغيير واجهة النظام و صعود نجم العقيد هواري بومدين لم تتغير معاملة النظام و علاقته بمختلف مكونات المشهد السياسي وواصل العقيد هواري بومدين على نفس المنوال في محاولة لإحتواء الإسلاميين و اليساريين و اللعب على المتناقضات و الحفاظ على الحد الأدنى من التوازن الداخلي بين الطرفين، فكان الرئيس بمثابة الحكم بين الجميع ، و هكذا سارت البلاد في طريق التنمية وسط أمواج من الصراعات الخفية بين التيارين المتناقضين، و لإمتصاص غضب الطرفين أبدع النظام فكرة . الإشتراكية الإسلامية كحل وسط قد يرضي جميع الأطراف في الداخل و الخارج ، و بتشريح سريع و بسيط لنظام الرئيس هواري بومدين ، نجد أنه ومنذ الساعات الأولى لإستلامه السلطة الفعلية كرئيس للدولة بعد نجاح الإنقلاب الأبيض فجر يوم ١٩ جوان ١٩٦٥ ، و حتى قبل وفاته بأشهر قليلة حاول الإستفادة من كل التيارات و الرموز و الكفاءات و الشخصيات الوطنية دون إستثناء ، و ذهب أبعد من ذلك حينما إقترح تنظيم مؤتمر شامل لحزب جبهة التحري الوطني يرسخ قيم التصالح و المصالحة بين جميع النخب السياسية و العسكرية ، ينبثق عنه مكتب سياسي جديد يتولى إختيار قوائم المترشحين للمجلس الشعبي الوطني ، و يفتح المجال لحكومة جديدة نابعة من الإرادة الشعبية

لكنه لم يجد أي ترحيب أو تجاوب من طرف أعضاء مجلس الثورة،

. قام بإحتواء عناصر معارضة للنظام السابق و منحها حقائب وزارية و منهم العقيد محند أولحاج على سبيل المثال

. الإنفتاح أكثر على جمعية العلماء و إعادة الإعتبار لرموزها من خلال تقريب الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي و منحه حقيبة التربية .

. دعم التعريب و التعليم الإسلامي .

. منح المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي الضوء الأخضر للعمل بكل حرية في نشر الفكر الإسلامي من خلال إلقاء المحاضرات العامة بمنزله و بالجامعات و المعاهد و حتى في مدارس النخبة العسكرية .

. تعيين شخصيات وطنية محسوبة على التيارين المعرب و الإسلامي، في مناصب إستشارية برئاسة الجمهورية للإستفادة من أفكارها و إقتراحاتها .

. التمهيد للعودة الى إستكمال الشطر الأخير من مشروع أول نوفمبر من خلال تهيئة الأرضية و المناخ الفكري و السياسي ، عبر ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت بمثابة جامعات صيفية سنوية تلتقي فيها النخبة الفكرية و السياسية الجزائرية و طلبة الجامعات و المعاهد و الشباب ، مع رموز الفكر الإسلامي الحديث و مع المنظرين و المفكرين و العلماء من كل الإتجاهات لتبادل الأفكار و تقريب وجهات النظر، في أجواء من حرية التعبير والرأي ، تناولت كل القضايا و المواضيع التي تهتم الأمة الإسلامية حاضرا و مستقبلا، و خصص الملتقى الذي إحتضنته ولاية تيزي وزو من ١٠ الى ٢٢ يوليو ١٩٧٣ لدراسة و مناقشة و تحليل أخطر مشكلة سياسية وفكرية تواجه العالم الإسلامي في العصر الحديث و هي مكانة و موقع الشريعة الإسلامية في الأنظمة العربية و الإسلامية ، وقد تجاوزت المناقشات كل الحدود و الخطوط الحمراء، و كل ذلك بمبادرة و تمويل و تشجيع من النظام الذي كان حريصا على العودة التدريجية لإعتماد الشريعة الإسلامية كمرجعية سياسية و فكرية و كمصدر اساسي للتشريع ، دون أن يتخلى عن الخيار الإشتراكي بجرة قلم .خاصة و أن العديد من الطروحات الإسلامية قد فتحت الباب اما إمكانية الإستفادة من أية تجربة إنسانية بشرية وضعية تتعلق بالتنمية الإقتصادية و شؤون الحياة، إذا كانت مفصولة عن جذورها الفلسفية المادية و الإلحادية و الإباحية، و تهذيبها و تعديلها و تكييفها مع المرجعية الإسلامية و رغم قبول التيار الإسلامي داخل النظام و على مضمض بفكرة الإشتراكية الإسلامية ، مادامت البلاد كانت متجهة في ذلك الوقت ، كغيرها من دول العالم الإسلامي نحو تطبيق تدريجي للشريعة الإسلامية ، فإن التيار العلماني بمختلف مكوناته ، و خاصة جناح اليسار الشيوعي المتطرف لم يتقبل الفكرة و إعتبرها خدعة و تظليل و ربعا للوقت من طرف إسلاميي النظام .

- الصدام في المنعرج الأخير -

كان التيار العلماني بحكم قربه من مصدر القرار يراقب تطورات الوضع السياسي الداخلي بشكل دقيق ، و حاول إستباق الأحداث بإصطناع مناوشات و صراعات هامشية مع طلائع الصحوة الإسلامية ، و حتى الوطنيين المتعاطفين مع التعريب ، فكانت المعاهد و الكليات و الجامعات مسرحا لتلك المناوشات التي إعتد فيها التيار العلماني مبدأ أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم ، و كان الرئيس هواري بومدين ، بعد صبر و طول إنتظار ، قد أعلن في ١٩ جوان ١٩٧٥ عن نهاية الحكم الإرتجالي و العودة السريعة للشريعة الشعبية . فاقترح مشروع الميثاق الوطني و عرضه على الشعب للمناقشة و الإثراء ، حيث رمى بالكرة ملعب الشعب و حملة مسؤولية تحديد الإتجاه الصحيح للدولة و النظام

باعتباره سيدا في هذا البلد و مصدر السلطات، من الناحية النظرية على الأقل ، كما كان يردد الخطاب الرسمي ، و خطابات الرئيس هواري بومدين في عدة مناسبات ، و قد تحولت مناقشات إثراء الميثاق الوطني الى عرس ديمقراطي كبير يتكلم فيه الناس بكل حرية وديمقراطية ، و يعبرون عن آرائهم و يعلنون مواقفهم و يقدمون إقتراحاتهم في أجواء بهيجة رائعة ابهرت الجميع ، و قد شاركت مختلف أطياف الشعب الجزائري في مناقشات إثراء محاور الميثاق الوطني ، و قدمت أفكارا و إقتراحات صبت جميعها في ضرورة إستكمال مسيرة التنمية الوطنية بنفس الوتيرة و تثمين الإنجازات و المكتسبات المحققة في المجال الثقافي و الصناعي و الزراعي ، و طالبت بطرق مباشرة و غير مباشرة بضرورة إستكمال الشطر الأخير من مشروع بيان أول نوفمبر ، أو العودة إليه لحسم مشكلة المرجعية السياسية و الفكرية للحزب و الدولة، و التي ظلت قضية عالقة و غير محسومة منذ مؤتمر الصومام. و في تقديري أن مبادرة الرئيس بمشروع الميثاق الوطني ، جاءت كمخرج لأزمة سياسية داخلية خانقة ناتجة عن إختلاف وجهات النظر في العديد من القضايا السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية بين الرئيس و حلفائه ، و جاءت كتفيس للإحتقان الداخلي و ترحيل لتلك الخلافات الى مواقع أخرى قد تفتح آفاق جديدة للنظام .

. كانت فرصة للرئيس لحسم خلافات تاريخية مزمنة بين التيار العربي الإسلامي ، و التيارات العلمانية بمختلف أجنحتها ، و التي كانت تتربص ببعضها البعض و تتحين فرصة الحسم لصالحها. فالتيار العربي الإسلامي داخل النظام نجح الى حد كبير في إكتساب الرئيس لصفه و إقناعه بطروحاته السياسية و الفكرية، و كان للسادة مالك بن نبي ، و أحمد طالب الإبراهيمي ، و مولود قاسم نايت بلقاسم ، و أحمد حماني، و عبد الرحمن شيبان و غيرهم كثير ، دور كبير في كل القرارات و الخطوات التي إتخذها الرئيس لخدمة المشروع الإسلامي. بشكل لم يعد خافيا على أحد. بحيث كانت البلاد قاب فوسين أو أدنى من البدء في تطبيق الشريعة الإسلامية ، من خلال تنصيب لجنة من الخبراء لإعادة النظر في كل التشريعات و القوانين و تكييفها مع الشريعة الإسلامية ، و هي خطوة جريئة من الناحية النظرية ، ستتبعها حتما خطوات عملية تؤدي في نهاية المطاف الى إعتماد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي للتشريع .

. أن الرئيس بصفته حكما بين مختلف التيارات المتصارعة داخل النظام أو في محيطه و خارجه ، و مسؤوليته في المحافظة على الحد الأدنى من التوازنات الضرورية جعل موقفه من مشكلة المرجعية السياسية و الفكرية و طبيعة النظام و مكانة الإسلام في المنظومة التشريعية ، يتطلب الكثير من المرونة و البراغماتية و الصبر ، و عدم التسرع .

و في الإتجاه المعاكس كان التيار العلماني بمختلف أجنحته يراقب الأوضاع عن كثب و يتحين فرص الإنقضاض على النظام و إجهاض المشروع الوطني الذي تبناه التيار الوطني العربي الإسلامي ، الذي ساعدته ظروف ما بعد الإستقلال على التعاون مع النظام من خلال مواقع جد متقدمة و في قطاعات حساسة و ذات إمتدادات شعبية ، كالتعليم و الشؤون الدينية و العدل و بعض مواقع الثقافة و الإعلام ، بالإضافة الى تحالفه الظرفي مع تيار التعريب الذي تمكن من التغلغل بكثافة داخل أجهزة الحزب و الدولة و المنظمات الجماهيرية و الإعلام و الثقافة ، فإن التيار العلماني بصفة عامة و اليسار الشيوعي بصفة خاصة فقد حاول إلتفاف حول الرئيس هواري بومدين و تقديمه داخليا و خارجيا كرمز لليسار العربي ، و وجد في مشروع الثورة الزراعية التي لاقت معارضة صامتة و معلنه أحيانا من محيط الرئيس و حلفائه ، ضالته ، حيث سيطر الشيوعيون مثلا على منظمتي الطلبة و الشبيبة و إنغمسوا بشكل ملفت للإنتباه في تسويق مشروع الثورة الزراعية عبر آلية التطوع و الزيارات العملية

للقرى و الأرياف ، بحيث شهدت الساحة الوطنية عودة قوية لتيار اليسار بداية من منتصف السبعينات و حاولوا السيطرة على المنظمات الجماهيرية و قاموا بإستعراض عضلاتهم في الجامعات و المعاهد و الثانويات ، و في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الجزائر السياسي ، حاول التيار الشيوعي أن يكون سيدا للموقف و أن يسبق الأحداث و القرارات التي كانت تطبخ على نار هادئة و يقدم نفسه في الداخل و في الخارج على أنه متحكم بشكل جيد في الشارع و في القرار السياسي ، و قد نجح بشكل كبير في ترجيح الكفة لصالحه و لو بصورة مؤقتة و حقق فوزا مسبقا على التيار العربي الإسلامي ، خاصة بعد نجاحه في إستدراج طلائع الشبيبة الإسلامية الى صراعات هامشية دموية في الجامعات و المعاهد و الثانويات و في الشارع بغرض القضاء على طلائع الصحوة الإسلامية قد تكون إمتدادا طبيعيا لرموز التيار العربي الإسلامي و حاضنة شعبية للمشروع الإسلامي ، و هكذا إحتشد التيار الشيوعي بكل قواته و إمتدادته داخل أجهزة النظام لقطع الطريق عن مشروع بيان أول نوفمبر و الحيلولة دون أن تعود الجزائر الى مجالها الطبيعي ، و في تقديري أن الأزمة التي شهدتها النظام الجزائري بداية من منتصف السبعينات ، كانت الى حد ما مشهدا متكررا و مستنسخا من الأزمات التي شهدتها الثورة بعد مؤتمر الصومام ، و أزمة ٦٢ و الخلافات الحادة التي ظهرت في مؤتمر طرابلس ثم خمدت مؤقتا و تأجلت . و ظهرت في شكل صراع دموي بعد ٦٣ ثم في الصراع الداخلي بين أجنحة النظام والذي أدى بجماعة وحدة للتخلي عن حليفهم الرئيس أحمد بن بلة ، فالصراع من ناحية الموضوع هو نفسه يتكرر في كل مرة باشكال جديدة ووجوه أخرى ، فالصراع في حقيقته هو بين تيار عربي إسلامي يعتبر بيان أول نوفمبر نصا وروحا هو المرجع الفاصل في طبيعة الدولة و شكل النظام و مرجعيته السياسية و الفلسفية ، و بين تيارات و أجنحة أخرى تدعي أنها تستقي أفكارها و مبادئها و أهدافها و إستراتيجيتها من نفس النبع ، أي بيان أول نوفمبر، و لكنها تحاول تفصيله حسب مقاسها، و تفسيره و توجيهه في إتجاهات تخدم مصالحها .

- أصداء - - - و رجع الصدى

و حسب ما تقول بعض المصادر فإن الرئيس هواري بومدين و بعد حصوله على معلومات حول الإتجاه العام للمناقشات تأكد بأن ما أنجزته الثورة الجزائرية منذ الإستقلال حتى تاريخ الإعلان عن الميثاق الوطني ، و على جميع الأصعدة و رغم تواضع الحصيلة و عدم إكمال نسبة كبيرة من المشاريع و قبل إنجاز المراحل المتتالية من مشروع الثورات الثلاث ، فقد كانت الإنطلاقة سليمة و كان الإتجاه صحيح ، بدليل أن أغلبية الإقتراحات كانت تصب في تامين التجربة التنموية و المطالبة بتعميقها و توسيعها ، و أن إختيار الشعب لفكرة دمج التعليم العام في التعليم الإسلامي و إعتماده كنظام واحد للتعليم الجزائري ، يعرب عن اصالة الشعب الجزائري و رغبته في العودة السريعة الى مجاله الطبيعي العربي الإسلامي قلبا و قالبا ، و التخلي تدريجيا عن كل التجارب المستوردة ، قد تفتن رموز التيار العلماني بسرعة و أدرك ان مقترح إدماج التعليم العام في التعليم الإسلامي سيتبعه لامحالة مطلب شعبي ضمني بالتخلي عن التجربة الاشتراكية عاجلا أم آجلا، و تقول بعض المصادر أن الرئيس هواري بومدين و قبل صياغة المشروع النهائي للميثاق الوطني ، طلب من الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الأصلي و الشؤون الدينية و مستشاره السابق و رفيقه بالقاهرة، بتحضير نفسه لإستلام حقيبة وزارة التربية للإشراف على مشروع توحيد التعليم الجزائري تلبية لرغبة الجماهير الشعبية ، لكن حكاية الميثاق الوطني أخذت أبعادا أخرى ستعرضها في الفقرات التالية .

- الميثاق الوطني ... الفكرة و المؤامرة

مشروع الميثاق الوطني، هو أحد الآليات التي إستعملها الرئيس هواري بومدين لحسم عدة قضايا ضلت عالقة منذ مؤتمر الصومام ، و لوضع حد لمشكلة غياب مرجعية سياسية و فكرية واضحة للحزب و الدولة ، و وضع قواعد متفق عليها تحدد طبيعة النظام الجزائري ... فكرة الميثاق كانت محاولة ذكية من الرئيس للتهرب من إتخاذ موقف واضح من التيارين الرئيسيين الذين يتجادبان النظام نحو الشرق أو الغرب ، من خلال رمي الكرة في ملعب الجماهير و تبني ما تسفر عنه الآراء و الإقتراحات و إتجاهات الرأي العام ، و في سنة ١٩٧٦ قدم حزب جبهة التحرير مشروع الميثاق الوطني للإثراء و المناقشة عبر جلسات حرة مفتوحة أمام المناضلين و كل اطياف الشعب ، و شاركت مختلف التيارات الشعبية في إثراء المشروع و جندت اتباعها و رمت بثقلها من أجل الخروج بوثيقة سياسية تحدد المبادئ الأساسية للحزب و الدولة و طبيعة النظام و المجتمع ، في إتجاه العودة الى منابع أول نوفمبر ببساطتها ووضوحها و شفافيتها التي لا تقبل أكثر من قراءة أو تفسير، و حسب تحليلات و قراءات لكتاب و مثقفين جزائريين كانوا شاهدين للعرس الديمقراطي الذي شهدتها البلاد لأول مرة في حياتها منذ الإستقلال ، فإن كل المناقشات التي كانت مؤطرة من طرف حزب جبهة التحرير الوطني ، كانت تجري في حرية تامة و بكل ديمقراطية ، و بحضور وسائل الإعلام التي كانت تسجل و تبث أجزاء من تلك المناقشات عبر أمواج الأثير و الشاشة الصغيرة ، و قد تمحورت جل الإقتراحات في تثمين المشروع الوطني الذي تبناه الرئيس هواري بومدين و الذي يرتكز على بناء دولة قوية لا تزول بزوال الرجال ، بالإستغلال الجيد لعلاقتنا مع المنظومة الإشتراكية ، و محاولة إستتساج التجربة الإشتراكية الناجحة عدة دول ، في بعديها الإقتصادي و الإجتماعي ، من جهة و التمسك بالمرجعية الإسلامية كفلسفة و خلفية للنظام و مصدر رئيسي للتشريع ، في إطار نموذج لنظام سياسي و إقتصادي و إجتماعي يجمع بين الإسلام و الإشتراكية ، و إذا كان الإتجاه الإسلامي الرسمي أو الشعبي قد ابدى مرونة في قبول و تبني مشروع الإشتراكية الإسلامية و إستفاد من تطبيقات و أفكار رموز الإسلامي في العصر الحديث التي لا ترى مانعا في إستساج تجارب إنسانية ناجحة سواء أكانت قادمة من الشرق أو من الغرب ، و إحتوائها و تكييفها مع فلسفتنا الإسلامية و عقيدتنا ، فإن التيار الشيوعي لم يهضم حسب ما يبدو فكرة الإشتراكية الإسلامية ، التي جاءت كحل وسط بين تيارين متناقضين و كان يرى أن الإسلام سيبتلع الإشتراكية في جوفه في يوم من الأيام بعدما صيغ الرئيس هواري بومدين الثورات الثلاث بنكهة إسلامية و شرع في إتخاذ خطوات جريئة ، وإن كانت بطيئة لأسلمة الحزب و الدولة و المجتمع ، و هكذا كان الإعلان عن مشروع إثراء الميثاق الوطني بمثابة إطلاق صفارة السباق من جديد و إحياء الصراع الصامت داخل اروقة النظام و خارجه ، بين التيار العربي الإسلامي و التيارات العلمانية بصفة عامة و الجناح الشيوعي بصفة خاصة بقيادة الثلاثي مصطفى الأشرف ، رضا مالك ، عبد اللطيف رحال .

- الإنقلاب الشيوعي

قدم الرئيس هواري بومدين مشروع وثيقة الميثاق الوطني للشعب الجزائري من أجل مناقشتها و إثرائها و تقديم أفكار و إقتراحات ضمن المحاور الكبرى المحددة ، و أعطيت التعليمات للجنة الوطنية و اللجان المحلية بالسماح للمناضلين و المواطنين من كل الأطياف و الشرائح الثقافية و الإجتماعية بإبداء آرائهم بكل حرية و ديمقراطية ، و تمت العملية في أحسن الظروف و تحولت البلاد طيلة الفترة المحددة لمناقشة مشروع الميثاق الوطني و إثرائه الى ورشة فكرية و ثقافية كبرى ، و شهدت كل المدن و القرى و حتى الأرياف ، لقاءات و جلسات و تجمعات شعبية لشرح المحاور الكبرى للميثاق

و فتح المجال أمام الجميع لمناقشتها و إبداء الرأي و تقديم الأفكار و الإقتراحات ، و حاولت كل التيارات السياسية و الإتجاهات الفكرية و الثقافية داخل الحزب و من خارجه أن ترمي بثقلها من أجل التأثير على الإتجاه العام للنقاش ، و تبين من الأصداء الأولى التي سبقت غلق باب النقاش و حوصلة و صياغة التقارير البلدية و الولائية أن المناقشات العامة و الأفكار المظروحة و الآراء التي قدمت تتجه في نفس إتجاه النظام الحاكم منذ ١٩٦٢ و تمحورت حول موضوعين اساسيين

. كل المطالب الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي تم التعبير عنها بصيغ مختلفة كانت تصب في إتجاه تهمين المكتسبات و الإنجازات المحققة على مختلف الأصعدة ، في إنتظار إستلام أو إستكمال المشاريع التي كانت قيد الإنجاز و هي كثيرة على كل حال و في مختلف المجالات ، كما كانت تعبر عن إحتضان أغلبية الشعب الجزائري للإشتراكية بمفهومها الإقتصادي و الإجتماعي البسيط ، و سنتعرض فيما بعد لتحليل أسباب تصويت الشعب الجزائري بأغلبية ساحقة على الميثاق الوطني في صيغته النهائية رغم عيوبه و سلبياته الكثيرة

. المطالبة بالعودة السريعة لإستكمال الشطر الأخير من بيان أول نوفمبر، و الوفاء بالعهود و الإلتزامات الرسمية بإلغاء العمل بالقوانين الفرنسية الوضعية و إستبدالها بقوانين و تشريعات مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وقد ورد هذا المطلب كذلك بصيغ كثيرة أغلبها جاء بطريقة غير مباشرة ، و بما أن المنظومة التربوية كانت منذ الإستقلال وقودا لمعركة الفصل بين التيارين الرئيسيين العربي الإسلامي ، و الفرنكوفوني العلماني البربري الشيوعي ، فقد طالبت الجماهير بتوسيع تكميليات و ثانويات التعليم الإسلامي و إدماج التعليم العام مع التعليم الإسلامي للخروج بنمط موحد من التعليم يوجه لجميع التلاميذ و الطلبة ، حتى نمنع ظهور إزدواجية أخرى في قطاع التعليم تضاف الى الإزدواجية الحاصلة في الواقع بين المعريين و المفرنسين ، بالإضافة الى فتح كليات للعلوم الإسلامية من أجل تكوين نخبة فكرية إسلامية جزائرية ، تتولى قيادة و تطير المشهد الإسلامي ، و في المحصلة النهائية فإن مجمل الأفكار و الإقتراحات التي قدمها الشعب الجزائري لإثراء الميثاق الوطني تقاطعت بشكل كبير مع الإتجاه العام للدائرة الضيقة للنظام الجزائري ، أو النواة الصلبة التي كانت تتكون بطبيعة الحال من الرئيس و قلة قليلة من المستشارين الأوفياء و محيطه القريب، و معظمهم من النخبة الإسلامية المستنيرة المتفتحة على القيم العصرية الإيجابية و هم يشكلون مجموعة صغيرة تعد أفرادها على أصابع اليد الواحد . مالك بن نبي، مولود قاسم نايت بلقاسم، أحمد طالب الإبراهيمي، أحمد حماني، عبدالرحمن شيبان و كانوا في مقدمة النخبة الإسلامية التي قبلت العمل من داخل النظام و محاولة الإصلاح من الداخل ، في مقابل نخبة إسلامية فضلت الإتجاه نحو إصلاح المجتمع و تقديم النصائح للنظام من بعيد ، في محاولة تبدو و كأنها تقاسم تلقائي و غير منظم للأدوار، لتحقيق هدف واحد مشترك بين الجميع و هو بالتعبير الحالي العودة الى تبني مرجعية بيان أول نوفمبر كخلفية سياسية و فكرية لحزب و الدولة، و إعتقاد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي للتشريع ، و إذا كانت النخبة التي كانت تمثل الإسلام الرسمي على مستويات عدة قد قبلت بفكرة الإشتراكية الإسلامية التي زكته قامات فكرية إسلامية لها وزن ثقيل في المشهد الإسلامي العالمي، و لها تأثير في إتجاهات الرأي العام الإسلاميين، و في مقدمتهم الشيخ محمد الغزالي، و بحكم قربها من الرئيس هواري بومدين ، و بالتالي إطلاعها الجيد على مجمل تصورات و أفكاره و آرائه ، و مفهومه لكل من الإسلام و الإشتراكية ، فإن النخب الإسلامية من خارج النظام و نتيجة لنقص المعطيات و عدم ثققتها - الفطرية - في خطابات و مواقف الأنظمة ، كانت متخوفة من تلك التعهدات في يوم من الأيام الى سراب و الوعود المعسولة الى مجرد

شعارات جوفاء للإستهلاك المحلي ، و لإستقطاب الجماهير، و لذلك أبدت تحفظات كبيرة حول الفكرة و المشروع و لم تهضم فكرة الجمع بين نظام رباني و آخر وظيفي من تصميم و صياغة البشر ، و كانت تركز في نقدها لتوجهات النظام على الجانب الفلسفي و الفكري للإشتراكية كنظرية وضعية مادية و إباحية ، ترجع أصولها الى الفلسفة المثالية الأفلاطونية و الى خزعبلات مزدك الفارسي الذي نادى بشيوع بعض الحقوق المادية و الإجتماعية بين الناس ، و هذا الإتجاه هو أقرب الى تظلمات المفكر الإسلامي سيد قطب ، فيما ترى النخبة الإسلامية المحسوبة على النظام في الفكر الإسلامي و تجارب و توجيهات الرسول ﷺ و تعاملات و تصرفات الخلفاء الراشدين مبادئ عامة للإشتراكية يمكن إستثمارها و الإستفادة منها و تكييفها مع التجارب الحديثة ، و هذه المسألة على أي حال كانت جد مربكة للنخب السياسية و الفكرية في العديد من الدول الإسلامية التي إرتأت تبني الخيار الإشتراكي من جانبيه الإقتصادي و الإجتماعي ، دون التصادم مع المرجعية الإسلامية ، في حين كان يرى البعض في خطاب الرئيس و موقفه و بعض قراراته الصارمة في مجالي التعريب و التعليم الإسلامي و موقفه من القوانين الوضعية و الشريعة الإسلامية ، خطوات جريئة في الطريق الصحيح نحو العودة التدريجية لتبني مرجعية إسلامية للحزب و الدولة ، و إعتقاد الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع ، فيما كان البعض يقيم علاقاته بزعماء دول المعسكر الإشتراكي الإتحاد السوفياتي ، الصين ، يوغوسلافيا ، كوبا ، تقييما ساذجا و بدائيا ، و يرى فيها إرتقاء في أحضان الشيوعية ، و الواقع أن الرئيس هواري بومدين كغيره من رؤساء و حكام العالم الإسلامي كان منبها بالتجارب الإشتراكية الناجحة و كان يرى فيها نموذجا قابلا للإستيراد و التطبيق محليا ، و أنها تلتقي مع المقاصد العليا للإسلام في بعض الجوانب الإقتصادية و الإجتماعية حيث عرف كيف يستفيد من الصراع بين الكتلتين الشيوعية و الرأسمالية و يستغل علاقاته الجيدة بالدول الإشتراكية لصالح الشعب الجزائري و لدعم مشروع الثورات الثلاث ، دون أن يرتمي في أحضان الشيوعية و دون أن يتنازل قيد أنملة عن السيادة الوطنية او يضحى بالقيم الوطنية و الروحية ، بدليل رفضه منح الإتحاد السوفياتي إمتياز إقامة قاعدة عسكرية بمرسى الكبير رغم إلحاح قادة الإتحاد السوفياتي ، و كان موقفه من القواعد العسكرية الأجنبية صارما و متشددا، ليس في الجزائر فقط ، بل قاوم من أجل أن تكون القارة الإفريقية خالية من القواعد العسكرية الأجنبية ، و النفوذ الأجنبي في كل المجالات ، من جهة ثالثة كان التيار الشيوعي مرتاحا و منتشيا بعمق و قوة التعاون الجزائري مع دول المنظومة الإشتراكية ، و حاول إستغلال تلك العلاقة في تسويق خطاب سياسي شيوعي متطرف و عمل على بسط نفوذه على بعض المواقع المهمة في هرم السلطة و مواقع القرار، في سياق غير معلن مع رموز التيار الإسلامي الرسمي الذين كانوا بدورهم ينتظرون لحظة الحسم التي أعدوا لها العدة من سنوات ، فكان مشروع الميثاق الوطني فرصة للجميع و إمتحان عسير للنخب المتصارعة إيديولوجيا ، و إذا كان الشعب قد قال كلمته الفاضلة و حدد مسار الطريق بكل وضوح ، و هو التمسك بالخيار الإشتراكي كتجربة إنسانية حديثة و تكييفها مع الإسلام ، و إعتباره مجرد خيار تكتيكي ظرفي قابل للإلغاء و التراجع في أي وقت متى تمكنت البلاد من بناء قاعدة صناعية و زراعية قوية تسمح لها بالإعتماد على نفسها ، مع المضي قدما نحو إستعادة المرجعية الإسلامية كخلفية سياسية و فلسفية للحزب و الدولة و المجتمع مع الشروع في تغيير القوانين الوضعية و مطابقتها مع الشريعة الإسلامية ، و لذلك تعتبر فرصة مناقشة و إثراء الميثاق الوطني سنة ١٩٧٦ مفصلية في تاريخ البلاد ، حيث شكلت فيما بعد قطعة تامة مع المبادئ و الأفكار التي بشر بها الرئيس هواري بومدين ، و تميزت بصعود مفاجيء لرموز التيار الفرنكو شيوعي الواجحة من خلال

تموقع كل من مصطفى الأشرف و رضا مالك في لجنة صياغة الميثاق الوطني، و تمكننا من السيطرة على المجموعة التي كلفت بصياغة أهم و أخطر جزء من الميثاق الوطني، لأنه يحدد المرجعية السياسية و الفكرية للحزب و الدولة و المجتمع و يرسم معالم الطريق ، و هو الجانب الإيديولوجي للحزب و الدولة ، و بالتالي تحديد المرجعية الفكرية للأمة ليستمد منها فلسفته الإجتماعية و الفكرية و منظومته التشريعية ، و هي القضية التي كانت و مازالت الى يومنا محل نقاش و تجاذب و من دون حسم ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بهذه المناسبة هو من الذي وافق على تعيين رموز التيار الفرنكوفوني في لجنة الصياغة ؟ و لماذا أسندت إليهما مهمة كتابة الجانب الإيديولوجي للوثيقة ؟

- رضا مالك ، مصطفى لشرف ... و الأدوار المشبوهة

مصطفى لشرف من مواليد سنة ١٩١٧ درس كغيره من أبناء الجزائر في المدرسة الثعالبية مبادئ اللغة العربية و الدين الإسلامي ، بالموازاة مع دراسته النظامية في المدرسة الفرنسية ثم إلتحق بثانوية بن عكنون ، و إستفاد من منحة لمواصلة الدراسة بجامعة السوربون العريقة بباريس ، و بعد تخرجه عين كأستاذ بإحدى ثانويات العاصمة ، تأثر منذ طفولته بالفكر اليساري الذي أخذ في بداياته أبعادا إنسانية زائفة مناقضة للفكر الإستعماري الرأسمالي ، إكتشف موهبة الكتابة مبكرا و حاول إستغلالها كوسيلة للدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الجزائري ، إنخرط في بداية حياته السياسية في حزب الشعب و تولى رئاسة تحرير جريدته ثم حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، وكان يمثل طليعة النخبة اليسارية في الحركة الوطنية ، إلتحق بصفوف الثورة بعد إندلاعها و كان مرافقا للوفد الخارجي كمصحف مكلف بتغطية نشاطاته، سجن مع الزعماء الأربع ٤ بعد حادثة الإختطاف الشهيرة لطائرة الوفد الجزائري ، ثم أفرج عنه لأسباب صحية ، بعد مؤتمر الصومام أنتخب عضوا بالمجلس الوطني للثورة ، و في مؤتمر طرابلس شارك في صياغة ميثاق طرابلس و كلف بقراءته أمام الحضور، عينه الرئيس هواري بومدين مستشارا برئاسة الجمهورية ، ضمن مجموعة من المستشارين يمثلون النخبة الفكرية و الثقافية من كل الإتجاهات ، و بحكم تجربته في صياغة الموثائق . تحصل على ثقة الرئيس هواري بومدين و أختير كعضو في لجنة صياغة الميثاق الوطني و كلف بكتابة الجانب الإيديولوجي رفقة رضا مالك الذي يشاطره نفس الأفكار و المبادئ و الطروحات ، و من هذه الثغرة التي فتحتها للرئيس هواري بومدين عن حسن نية أو متعمدا أمام رموز التيار اليساري الفرنكوفوني العلماني ، تجددت المشكلة الإيديولوجية التي ظلت عالقة منذ الإستقلال، عادت مشكلة الإيديولوجيا التي حسمت من خلال المناقشات و الآراء و الأفكار التي عبر عنها الشعب الجزائري بكل حرية و ديمقراطية ووضوح من خلال مناقشات إثراء الميثاق الوطني ، لتشكل نقطة الخلاف الجوهرية بين التيار الوطني العربي الإسلامي ، الذي كان يسعى لأحياء المرجعية الوطنية العريقة بأبعادها الروحية و الفلسفية و إعطائها مكانتها المريحة في الحزب و الدولة ، و التيار الشيوعي الذي لم يكن مقتنعا بالخطاب الرسمي الذي حاول تبني حلول وسطى لإرضاء جميع الأطياف الداخلية، و عندما نتوقف عند هذا المنعرج الخطير الذي كان بمثابة الزلزال العنيف الذي قلب أوضاع البلاد رأسا على عقب و أعاد النقاش الى الوراء بمسافات طويلة ، و قد يصاب الرأس بالدوار ، و الجسم بالغثيان ، نتيجة لغياب معطيات دقيقة و رسمية عن هذا الحدث العظيم ، الذي ظل طي الكتمان و التعتيم منذ وفاة الرئيس هواري بومدين ، و صمت الشخصيات التي عاشت تلك الأحداث و رفضت تقديم ما عندها من معلومات للأجيال الشابة ، لكي تعرف تاريخها الحديث من مصادر جزائرية ، خاصة فيما يتعلق بقضية تزوير محاضر مناقشات الميثاق

الوطني و التقرير الذي قدم للرئيس هواري بومدين ، و في غياب معطيات حقيقة تنير طريق البحث و تساعدنا على إستنتاج التاريخ ، لا نملك سوى تقديم تحليلا موضوعيا لما جرى مبني على إستنتاجات و بعض القناعات الشخصية ، و بعض التطورات السريعة التي حصلت بعد الميثاق الوطني

. أولا أن اكبر خطأ يحسب ضد الرئيس هواري بومدين هو تعيين مصطفى الأشرف و رضا مالك و شخصيات سياسية و فكرية محسوبة على التيار الشيوعي في لجنة صياغة الميثاق الوطني ، و تكليفهما بالجانب الإيديولوجي للميثاق و هو المهم و أخطر جزء في الوثيقة ، لأنه يحدد التصور العام و الخلفية السياسية و الفكرية للحزب و الدولة ، و التي ستبثق عنها كل التشريعات و المواقف .

. بعض الأخبار غير الرسمية تشير الى اللجنة الوطنية المشرفة على عملية إثراء مشروع الميثاق الوطني ، تعرضت الى ظغوطات من شخصيات نافذة في النظام و مقربة من التيار الشيوعي الفرنكوفوني العلماني ، من أجل تعديل و تغيير إتجاهات الرأي العام في إتجاه معاكس لرغبات و آمال و تطلعات الجماهير .

. تم تجاهل المرجعية الإسلامية و قضية تغيير القوانين الوضعية و إستبدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية ، في مقابل ترقية الاشتراكية و تحويلها من مجرد خيار إقتصادي و إجتماعي الى إيديولوجية و عقيدة . و تحييد الإسلام و زحزحته الى الصف الأخير ليصبح مجرد علاقة روحية بين الله و الإنسان ، تتمثل في بعض الشعائر التعبدية ، فيتوقف دوره عند عتبة المسجد و لا يتجاوزها الى شؤون الحياة

. أن موازين القوى مالت بطريقة مفاجئة لصالح التيار الشيوعي الفرنكوفوني العلماني، على حساب التيار الإسلامي، الذي أربكته المفاجأة أو المؤامرة ، و أذهلته الصدمة ، التي حولت إتجاه الرأي العام ١٨٠ درجة .

. تعيين مصطفى الأشرف وزيرا للتربية الوطنية، و رضا مالك وزير للإعلام و الثقافة، و عبد اللطيف رحال وزيرا للتعليم العالي ، مباشرة بعد صدور الميثاق الوطني ، يعتبر في تقديري و في نظر العديد من المحللين خطأ إستراتيجي إرتكبه الرئيس بومدين عن قصد أو دون قصد ، يضاف الى أخطائه الأخرى ، خاصة أن عملية عزل مصطفى الأشرف من نفس الوزارة بعد اقل من سنتين من تنصيبه ، قد أعطت الإنطباع بأن الرئيس لا يعاني من اية طغوظات داخلية أو خارجية ، فرضت عليها قناعات أو افكار او شخصيات معينة ، كما أن موقفه من أفكار و طروحات مصطفى الأشرف و التي نقلتها الأستاذة زهور ونيسى، تؤكد وجود حاجز و هوية كبيرة بين الرجلين ، تجعل تبني النظام لأفكار و طروحات مصطفى الأشرف ضرب من الخيال و من رابع المستحيلات.

. دعوة الرئيس الى التحضير لمؤتمر كبير و جامع للحزب، يكون محطة لإلتقاط الأنفاس و تقييم مرحلة هامة من عمر البلاد ، بكل ما فيها من إيجابيات و سلبيات ، و إصداره لقرار تحويل يوم العطلة الأسبوعية من الأحد الى الجمعة ، قد تكون مؤشرات قوية على رغبته في الذهاب بعيدا نحو إصلاحات سياسية جوهرية و عميقة ، تكون الإشتراكية هي كبش الفداء ،

- قراءة موضوعية للميثاق الوطني

يعتبر الميثاق الوطني ١٩٧٦ من أهم الوثائق التي حددت بدقة طبيعة و أهداف المشروع الوطني، و رسمت له آفاقا إستراتيجية تمتد لفترة تفوق المائة سنة تقريبا ، و بإستثناء الباب الأول المتعلق ببناء المجتمع الإشتراكي ، و تعتمد لجنة الصياغة حشر كلمة الإشتراكية بين الجمل و الفقرات و بطريقة فجأة و غير مناسبة بالمرة ، لمجرد إرضاء بعض العواصم الإشتراكية الكبرى موسكو ، و بلغراد

و هافانا ، و حتى باريس ، فقد رسم إستراتيجية التنمية الوطنية ، و أهم المراحل المطلوبة لبلوغ الثورات الثلاث مداها الطبيعي ، و قد تناول الباب الثالث مشروع هذه الثورات بالتفاصيل المملة ، و حدد لها خططا طويلة المدى لتحقيق أهدافها كاملة ، أما الباب الرابع تناول موضوع الدفاع الوطني ، و الباب الخامس الخطوط العريضة للسياسة الخارجية و ثوابتها و ضوابطها ، أما الباب السادس و هو الأهم فحدد الإتجاهات العامة لسياسة التنمية ، كما تناول الباب السابع الأهداف الكبرى للتنمية ، و تبنى الميثاق الوطني التعليم التحضيري و بشر بالمدرسة الأساسية ،

. موقف الأستاذ مصطفى الأشرف من التعليم الإسلامي كان إيجابيا و سبق له و أن عبر للأستاذ مولود قاسم أكثر من مرة و في أكثر من مناسبة عن إعجابه بالمشروع و قال له أنه ليس بالإمكان إنجاز أكثر مما أنجزت البلاد منذ الإستقلال في ميدان التربية ، يقصد بناء منظومة تربوية شاملة و متعددة الأبعاد ، تعليم عام ، تقني ، إسلامي ، شبه عسكري و هناك معلومات تؤكد أن الأستاذ مولود قاسم هو الذي توسط لمصطفى الأشرف لدى الرئيس هواري بومدين من أجل تعيينه في أي منصب وزاري و أكد له بأن من غير المعقول ان تملك الجزائر إطرارات و نخب و لكنها لاتحاول الإستفادة منها و تتركها تحترق مع الزمن كما ، و هناك رواية أخرى تقدم معلومات و تفاصيل حول ظروف تعيين مصطفى الأشرف وزيرا للتربية الأولى رواية الأستاذ محمد بلعالم صديق الأستاذ مولود قاسم و زميله، و الثانية هي تأكيد الأستاذة زهور ونيسي وزيرة التربية الوطنية في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد أن لرئيس هواري بومدين لم يتبن في يوم من الأيام افكار أو طروحات الأستاذ مصطفى الأشرف و كان يردد بأنها لا تعني النظام ، و رواية الأستاذ عبد القادر فضيل الإطار السابق بوزارة التربية و المشرف المفتش العام على المناهج .

. تميزت صياغة بعض محاور الميثاق الوطني بالتلاعب بالكلمات و القفز على الواقع و الإحتيال على الجماهير ، بعبارات منمقة و جمل مزوقة و بكلمة موجزة فإن الميثاق الوطني في صياغته النهائية يشكل ردة و تراجع عن كل الوعود و الإلتزامات التي قدمها النظام ، و خيانة لرسالة الشهداء و بيان أول نوفمبر، و سطو مفضوح على الإرادة الشعبية و تحويل لإتجاهات الرأي العام الجزائري ، و تزوير لمحاضر المناقشات ، و أول ما يلفت إنتباه القارئ لهذه الوثيقة هو سكوتها عن المرجعية الإسلامية للحزب و الدولة و الشعب كما جاءت في بيان أول نوفمبر ، و القفز عليها و الإلتفاف حولها،

. ترقية الاشتراكية من خيار إقتصادي و إجتماعي تاكتيكي ، نابع من تجربة إنسانية ناجحة و قابلة للإستساح في أي مكان تتوفر فيه تقس الشروط و الظروف ، دون الإلتزام بمحتوها الإيديولوجي و الفلسفي و الفكري المادي و الإلحادي و الإباضي ، و تقديمها كبديل إيديولوجي للحزب و الدولة و المجتمع ، بمعنى إلحاق الاشتراكية بجذورها الفلسفية الشيوعية و تحويل الحزب و الدولة و المجتمع الى نسخة مصغرة و ممسوخة من الإتحاد السوفياتي أو الصين أو يوغسلافيا ، و هي على الأقل دول إشتراكية وصلت درجة كبيرة من التقدم المادي و الرفاهية ، و هذه القضية لوحدها تطرح أكثر من سؤال ، فماذا يعني تقديم الاشتراكية كإيديولوجية جديدة للحزب و المبالغة و الإستعمال المكثف و غير المعقول لمصطلح الإشتراكية، و في غير محلها في كثير من الأحيان، حاول كاتب المقدمة أن يقدم الوثيقة كخلاصة مثالية لتجارب تاريخية مرت بها البلاد بالقفز على أهم المراحل التاريخية و تجاهل أهم الحقائق - فإن هذا الميثاق الوطني يعبر عن تجربة و يعرض إستراتيجية ، و الإرتباط واضح بين هذه و تلك ، فالمبادئ التي تقود خطأنا ليست مجردة ، و إنما هي نتيجة للممارسة العملية لشعب بأكمله ، يخوض بكل حزم معركة بناء مستقبله و بحدد و وظيفة الميثاق الوطني الوهمية بكل دقة و دون خجل ، و هي إستمرار تجاهل المرجعية السياسية الحقيقية للشعب و الحزب

و الدولة ، و هي إحدى الثوابت التاريخية التي لا تقبل القسمة أو الجمع أو لطرح ، و هي محددة بشكل واضح و بسيط في بيان أول نوفمبر، و التبشير بما يسميه - التوضيح السياسي و البلورة الإيديولوجية- ليس في الإتجاه الصحيح الذي رسمه بيان أول نوفمبر، و لكن بإختراع إيديولوجية و ضعية و همية مادية إحدانية إباحية غربية عن المجتمع الجزائري ، و يعتبر أن مؤتمر الصومام هو البداية الحقيقية لرسم معالم المرجعية السياسية إن لم يكن هو البداية الفعلية للثورة في منظور التيار العلماني الحدائي ، و هي مغالطة تاريخية تم تمريرها عمدا في الميثاق الوطني حتى يتعود الشعب على نسيان بيان أول نوفمبر ، و يتذكر فقط مؤتمر الصومام الذي يحتفي به التيار العلماني بكل أطيافه ، لأنه قام بمهمة قذرة و في ظروف صعبة ليس لصالح الوطن أو الشعب و لم يستفد منها سوى الإستعمار القديم و الحديث و اذنابه في الداخل و الخارج ، و هي تجاهل المرجعية الإسلامية و إستبدالها بمرجعيات مستوردة ، و هي مغالطة تاريخية من العيار الثقيل — إن الميثاق الوطني هو إستمرار لعملية التوضيح السياسي ، و البلورة الإيديولوجية التي ما فتئت تتطور منذ أكثر من عشرين سنة ، من نداء أول نوفمبر ١٩٥٤، و وثيقة الصومام في ١٩٥٦ ، برنامج طرابلس في ١٩٦٢ و ميثاق الجزائر في ١٩٦٤ الى بيان ١٩ جوان ١٩٦٥ و جاء الميثاق الوطني في ٢٨٠ صفحة و تضمن سبعة أبواب و هي الباب الأول ١ بناء المجتمع الإشتراكي ، من الصفحة الأولى الى الصفحة ٥٤ الباب الثاني الحزب و الدولة ، الباب الثالث ، المحاور الكبرى لبناء الإشتراكية ، الباب الرابع الدفاع الوطني ، الباب الخامس ، السياسة الخارجية ، الباب السادس ، الإتجاهات الرئيسية لسياسة التنمية ، و هو أطول الأبواب حي يمتد من الصفحة ١٧٣ الى الصفحة ٢٢٥ الباب السابع الأهداف الكبرى للتنمية .

- فقرات مختارة من الميثاق الوطني 76 -

إن الشعب الجزائري مرتبط بالوطن العربي ، و هو جزء لا يتجزأ منه ولا ينفصم عنه ، إن الجزائر أمة ، و الأمة ليست تجميعا لشعوب شتى أو خليطا من أعراق متنافرة ، إن الأمة هي الشعب نفسه ، بإعتباره كيانا تاريخيا يقوم في حياته اليومية ، و داخل إطار إقليمي محدد ، ص ٢٣

- إن جميع محاولات الإستعمار لإنكار وجود الأمة الجزائرية بهدف تأييد سيطرته ، قد إصطدمت بصمود و مقاومة هذه الأمة التي إنصهرت منذ قرون ، و قد إستطاعت الأمة الجزائرية ، بفضل تضحيات مليون و نصف مليون من الشهداء ، أن تتنزع إعتراف العالم بها و تكريس وجودها ، ص ٢٣

- ليست الجزائر كيانا حديث النشأة ، فمنذ أيام ماسينيسا المؤسس الأول للدولة النوميديية ، و يوغورطا رائد المقاومة ضد السيطرة الرومانية ، أخذ الإطار الجغرافي يتحدد في معالمه الكبرى .

- إن الشعب الجزائري شعب مسلم ، و إن الإسلام هو دين الدولة ، و الإسلام هو أحد المقومات الأساسية لشخصيتها التاريخية ، و لقد ثبت أنه الحصن المنيع الذي مكن الجزائر من الصمود في وجه جميع محاولات النيل من شخصيتها ، فقد تحصن الشعب الجزائري بالإسلام ، دين النضال و الصرامة و العدل و المساواة ، و إحتفى به في أحلك عهود السيطرة الإستعمارية ، و إستمد منه تلك الطاقة المعنوية و القوة الروحية التي حفظته من الإستسلام لليأس ، و أتاحت له أسباب الإنتصار ٢٥

- و بهذا الصدد ، و إنطلاقا من المبدأ الثابت لوحدة التعليم ، و توحيد التوجيه الإيديولوجي للشباب ، و حتى يكفل لجميع الجزائريين في أقرب الأجل نفس التعليم ، فمن الضروري أن يدمج التعليم الأصلي و التعليم العام في تعليم عام موحد ، و أن يدرج النظامان التعليميان في نظام واحد بنفس الروح ، و نفس البرامج ، و نفس المواد ، و يدعم فيه مادة الدين ، سواء في مرحلة الدراسة الإبتدائية ، أو الثانوية ، و يجب قبل كل شيء أن يكون التعليم جزائريا في برامج و إتجاهاته ، و ذلك بالرجوع الى المنابع الحية للتراث الشعبي الثري ، و تمتين العلاقة بين المدرسة و البيئة الجغرافية البشرية . ٩٧

- المرجعية الإسلامية في قلب العاصفة -

. واجهت النخبة السياسية والعسكرية التي حكمت البلاد غداة الإستقلال معضلة الوفاء لأهم مبادئ ثورة أول نوفمبر المجيدة ، و هو الإطار الإسلامي للدولة ، أي العودة الى تبني المرجعية الإسلامية كفلسفة لنظام الحكم ومصدر رئيسي للتشريع ، و كانت هذه المشكلة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام أحد اكبر التحديات السياسية التي تجاهلها مؤتمر طرابلس و لم يشر إليها من قريب أو من بعيد . و على ما يبدو كان جدول الأعمال مزدحما بالقضايا والأفكار والمشاريع ، و كان الجميع كما يقول . أحد المشاركين في المؤتمر وهو على هارون ، يتخوف من فتح باب النقاش ، و عندما أعطيت الكلمة لعدد من المتدخلين تحول النقاش عن طبيعته الى ملاسنات و مشاحنات بين بن بلة و بن خدة . كأن النخبة السياسية التي خرجت من رحم جبهة التحرير الوطني ، حزب الثورة ، لم تجد الوقت الكافي لمناقشة هذه القضية التي فصل فيها بيان أول نوفمبر ، و المفروض أنها غير قابلة للنقاش و تحتاج فقط الى إختيار أحسن طريقة لتطبيقها في الميدان ، و هكذا تجاوزها المؤتمر بسرعة و بصعوبة و ذكاء ، لصالح الخيار الاشتراكي ، و نظام الحزب الواحد ، و تمديد صلاحية جبهة التحرير الوطني ، كقائد و مرشد و موجه و مؤطر ، لكن من دون مرجعية سياسة واضحة المعالم ، و من دون فلسفة سياسية أو فكرية ، ثم تحولت هذه المشكلة فيما بعد و أثناء إعداد مسودة أول دستور للبلاد الى صراع حول الهوية بين تيار سياسي حاول إحتكار لغة أمازيغية مزعومة لا وجود لها في التاريخ ، و إختراع هوية جزائرية جديدة، تستبعد الإسلام و العروبة و تتطلع الى إستعادة أمجاد وهمية ، أو تكرار تجربة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي قام بمحو كل ما يمت الى الإسلام و العروبة في بلاده و حولها الى نسخة مشوهة من قبرص ، تزعمه حسين آيت أحمد، و جماعته ، تيار الفرنكو بربري لا ئكي ، و تيار العروبة و الإسلام بزعامة بن بلة و بومدين الذي تبنى منذ البداية الدفاع عن أهم مقومات الشخصية الوطنية و شرع في التعريب منذ الموسم الدراسي الثاني، رغم قلة الإمكانيات المادية و البشرية ، و أقر تعليما إسلاميا في الطورين المتوسط و الثانوي ، موازيا للتعليم العام و التقني و وضعه تحت وصاية وزارة خاصة به تسمى وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية . و قد كان مشروع التعريب و التعليم الإسلامي في رأي المتواضع جزء من إعدادات معركة محتملة طويلة الأمد بين التيار العربي و التيار الفرنكويربري الشيوعي ، و من الناحية المبدئية كانت النية موجودة و الإرادة السياسية متوفرة في الرئيس بن بلة و بومدين من أجل العودة التدريجية الى تبني المرجعية الإسلامية كفلسفة للحكم و كمصدر رئيسي للتشريع ، لكن واجه كل منهما صعوبات على الأرض و عراقيل داخلية و خارجية ، حالت دون ذلك و أدت الى تأجيل الفصل في هذه القضية الى الزمن و الأجيال المقبلة ، قلنا في مقدمة الفصل أن عنوان فترة حكم الرئيس هواري بومدين التي كانت إمتدادا لفترة الرئيس المنتخب أحمد بن بلة كان عنوانها الكبير هو الإسلام و الإشتراكية ، و قد حاول كل منهما التمسك بالعروبة و الإسلام و الدفاع عنهما بإجراءات عملية و ليس بمجرد الكلام و الشعارات ، و حاولا الإبتعاد عن بعض المظاهر المشينة لللائكية، و أن تبني الإشتراكية كمنهج تنموي كان خيارا تكتيكا إستفادت من خلاله البلاد من تجارب ناجحة في المعسكر الإشتراكي ، و كانت هناك عدة موانع أخلاقية تحيل دون إقتباس التجارب الليبرالية التي كانت عنوان الإستعمار و إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، من خلال الشركات المتعددة الجنسيات ، التي يتجاوز دورها إمتصاص خيرات الشعوب الفقيرة و المغلوبة على أمرها و حديثه العهد بالإستقلال ، و لكن نظام الرئيس بومدين إنتهى بإنتصار مؤقت للتيار الشيوعي في عدة مواقع أهمها إلغاء التعليم الأصلي ، و تعمد تأخير مشروع الجامعة الإسلامية و المؤتمر الجامع و الحاسم و لما تقطن الرئيس للمكيدة وجد الموت في إستقباله ... رحمه الله .

الفهرس

- المقدمة: ص: 3

- الفصل الأول (1) من مدرسة الكتانية الى قيادة الأركان :
..... ص: 05

شخصية الرئيس ، قاهرة المعز ، في ضيافة الجزائريين ، في قلب الأحداث ،
باخرة ديننا ، قيادة الأركان أو الطريق نحو السلطة ، مؤتمر طرابلس ، جماعة
وجدة ، سيمات و إتجاهات.

- الفصل الثاني (2) التصحيح الثوري حتمية سياسية أم مغامرة عسكرية
؟ ص: 25

أجواء و إرهابات ، بيان 19 جوان 1965 قراءة و تحليل ، السلطة بين العسكري
و السياسي ، حتمية سياسية ، حركة 14 ديسمبر أو المغامرة الفاشلة ، العقيد
زبيري و اللعب بالنار ، الشروع في التنفيذ ، تداعيات و مواقف .

- الفصل الثالث (3) الثورات الثلاث ، الثقافية ، الزراعية ، الصناعية :
..... ص: 47

الثورة الثقافية أولا ، الثورة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية ، الثورة
الثقافية بعد الإستقلال ، مظاهرها و سيماتها ، معركة التعريب ، محو الأمية ،
التعليم الإسلامي ، الإعلام و الثقافة ، الثورة الصناعية ، الأهداف الإستراتيجية ،
نماذج من المشاريع الكبرى ، الثورة الزراعية ، طبيعة المشروع ، حصيلة
الثورات الثلاث .

- الفصل الرابع (4) الإسلام و الإشتراكية وجهها لوجه : ص: 73

المرجعية الوطنية من الأمير عبد القادر الى بيان أول نوفمبر ، نظام بين الإسلام
و الإشتراكية ، الإشتراكية كحتمية إقتصادية ، الإشتراكية الإسلامية ،
مظاهر الإشتراكية ، خطوات نحو الطريق ، الصراع الخفي ، الصدام في المنعرج
الأخير ، أصداء و رجع الصدى ، الميثاق الوطني الفكرة و المؤامرة ، الإنقلاب
الشيوعي ، رضا مالك ، مصطفى لشرف و الأدوار المشبوهة ، قراءة موضوعية في
الميثاق الوطني ، فقرات مختارة من الميثاق الوطني ، المرجعية الإسلامية في
قلب العاصفة .

الكاتب



محمد رابعة ، من مواليد 21 أكتوبر - 1963 بقرية القراح .

القرزي . بلدية أولاد رحمون ، ولاية قسنطينة ، صحفي محترف و

كاتب عصامي ، متزوج و أب لأربع أطفال ، مقيم منذ أواخر سنة ٢٠٠٤

ببومرداس ، يسير حاليا دار القبس للنشر الإلكتروني ، ومديرا للنشر و التحرير

لمجلة القبس السياسية الفكرية الإلكترونية . من مؤلفاته - الإتصالات السرية

بين العرب و إسرائيل ، إسرائيل من الداخل ، أمريكا الوجه و القناع ، رماد الثورة ، السلطة

الجديدة و الثورة المضادة . التصور الإسلامي . لله و الحياة و الإنسان .

من الكتاب

في مساء يوم ١٥ . فيفري . ١٩٥٢ وصل الشاب محمد بوخروبة الى مصر ، و مكث مدة ثلاثة أيام في زاوية السيد البدوي ، ثم دخل القاهرة المعز التي كانت تعج في ذلك الوقت بمختلف التيارات الفكرية و السياسية ، و تعيش مخاضا عسيراً ، أنتج بعد ذلك ثورة بيضاء أطاحت بالملك فاروق على يد الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب ، و تغيرت طبيعة النظام من الملكية الدستورية الى جمهورية اشتراكية تعتمد نظام الحزب الواحد ، قامت الثورة المصرية بعد مخاض طويل و تحالف إستراتيجي لم يصمد كثيراً بين جماعة العسكر بقيادة محمد نجيب و جماعة الإخوان المسلمين ، و كانت قبل ذلك ملتقى لجميع التيارات و الأفكار . يلجأ إليها كل المضطهدين و المستضعفين في الأرض من المفكرين و العلماء و الدعاة ، في تلك الأجواء عاش محمد بوخروبة مرحلة هامة من حياته في القاهرة المعز و عاش تحت ظلال الثورة و عايش تحولات المجتمع المصري في ظل النظام الاشتراكي الذي حاول في البداية تسويق فكرة العدالة الإجتماعية و مجاربة الإقطاعية و البورجوازية و تحقيق التنمية الشاملة ، ثم تحول الى نظام إستبدادي متشدد مع الخصوم و الأصدقاء . . ص ٧ .

إرتكز مشروع الرئيس هواري بومدين على فكرة الثورات الثلاث ، الثقافية و الصناعية و الزراعية ، و هي فكرة و مشروعاً ظهرت في الدول الغربية متفرقة كالثورتين الفكرية و الصناعية ، و عرفت الثورات الثلاث الثقافية و الصناعية و الزراعية مع بداية الدولة الصينية الحديثة ، ثم أصبحت فكرة مشاعة بين الدول ، و عرفنا أن الثورة هي حركة فاعلة لتغيير الواقع . تسبقها و تمهد لها ثورة . ص فكرية و ثقافية هادئة و بطيئة . فالثورات الثلاث هي في حقيقة الأمر خلاصة التجربة الإنسانية منذ غابر العصور الى العصر الحديث ، و إذا عدنا الى التسلسل التاريخي نجد أن الإسلام كدين سماوي و نظام حياة يعتبر ثورة ثقافية و فكرية و علمية بكل المقاييس ، و هو الحدث العالمي الوحيد الذي كان فارقاً بين مرحلتين و أحدث إنقلاباً جذرياً في طبيعة البشر و علاقتهم بالله و الكون و الحياة ، و في جانبه السياسي يعتبر الإسلام نظاماً عالمياً جديداً مبني على فكرة التوازن بين الثنائيات و التكامل بين المتناقضات ، و يخضع لثوابت أساسية غير قابلة للمناقشة أو التعديل و الإثراء ، ص ٤٨